على هامش

التداولية



الدكتورة

وفاء برتيمة

على هامش

التداولية

على هامش

التداولية

الطبعة الأولى

2024

دار الخليج للنشر والتوزيع

الأردن، عمـــــان، العبدلي تلفاكس: 00962779359835

daralkhalij@gmail.com daralkhalij1998 daralkhalij

جملون

على هامش

التداولية

الدكتورة وفاء برتيمة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(6568 /2023/12)

عنوان الكتاب: على هامش التداولية

تأليـــف: برتيمة، وفاء

بيانات النشـــر: دار الخليج للنشر والتوزيع، 2023

الوصف المادي: 202 صفحة

رقم التصنيـــف: 410.1

الواصفـــــــات: /النظريـــات اللغويـــة//الفلـــسفة اللغويـــة/ /اللـــسانيات// التداولية// اللغة العربية /

الطبعـــــــــــــة: الأولى

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعـبر عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9923-23-190 -6

إهداء

إِلَى رَوْح وَالِدِي أَرَفْع حُسْنَات الْعَمَل، إِلَى الْقَسْوَة الَّتِي تَعْلَمنَا مُعَنَّـى الْإِصْرَار، إِلَى الْعَرَاقِيـل لَيْسَتْ الْحَجَّارَة كُلُّهَا تَوَقُّف الـسَّيْر؛ الْإِرَادَة تَجْعَلـكَ تَـصَنُّع مِـنَ الْحَجَّـارَة جِـسْرا وَقَـصْرا، لَا نِهَايَة الْعَاجِزِينَ.

المحتويات

تقديم

ليس جديدا أن يقال أن التداولية نشأت من مخاض عسير لا يسير، تزاحمت فيه الدوافع اللغوية والفلسفية، شكلانية وبنيوية، توليدية ولسانية، وبين تشابك دوافع التنشئة ومبررات التأسيس للتداولية التي تحاول جعل التداولية تقترب من علمية العلم، ورغم أن الأدبيات المعاصرة تنظر للمصطلح التداولي نظرة خلافية وقلقة من زوايا معرفية وايدلوجية ومنطقية ولغوية خاصة مع بدايات القرن العشرين، وتربط إرهاصات ميلاده إلى أعمال الثلاثي اللغوي الاكسفوردي الانتماء "أوستن" (**Austin**) "سيرل" (**Searle**) "غرايس" (**Grice**) محاولين إخضاع المشكلات اللغوية للمعالجة الفلسفية، غير أن في كفة المعارضة يقر الكثير من الفلاسفة والعلماء بفضل الأمريكي "تشارلز موريس" (**Charles W. Morris**) في التأسيس الفعلي للتداولية ومعلمه "ساندرز شارلز بيرس" (**Sanders Charles Peirce**) بمعنى الاستخدام العملي للغة من خلال فلسفة الفعل والممارسة والأداء، عرفت التداولية نقلة مخالفة وقفزة نحو المجهول في ما يتعلق بمستقبلها المتأرجح بين الأدب والفلسفة العملية أو البراغماتية التي تعنى بمصداقية الاستعمال العملي للغة ونتائجه باستخدام اللغة وسياقاتها، مما يجعلها مشروع براديغم عملي وعلمي بشكل أساسي أكثر منه رؤية فلسفية، وهذا ما أدى إلى تفاقم الشكوك في ماهية التداولية؛ التي تعد آخر المدارس اللسانية بين من يقر بأنها لا تخرج عن دوائر المقاربة اللغوية وبين من يتكهن أو يتبصر لها مستقبلا

علميا يؤسس لها نظام لغوي قاعدي، هذا ما سنعرفها من خلال تعرفنا على التداولية مـن خلال هذا العمل المؤشر ب: ((على هامش التداولية))، يعـد هـذا الكتـاب بمثابـة إطلالـة على التداولية مفهوما ونشأة ونظريات، فهو بمثابة سباحة عـلى شـاطئ التداوليـة ؛ولـيس سباحة في أعماق مسائلها، وتفاصيل قضاياها، وإنمـا ذلـك مـتروك للنظـر فيـه في مؤلفـات أخرى إن شاء اللـه ، محـاولين أن نعـرض تحلـيلا ونقـدا مـوجزا مـن خلالـه التعريـف بالتداولية وأهم نظرياتها، رهاناتها وآفاقها، حتى نهتدي إلى الحكـم عـلى طبيعـة ماهيتهـا

وعلى قول "يورغن هابرماس"(**Habermas Jürgen**)- **لا يعرف المرء ماهية فهـم معنـى تعبيري لغوي، إذا لم يكن يعرف أساسا كيف يستغله للوصول إلى فهم مـشرك مـع الآخـر حيال شيء ما**- فهل أدرك الجميع الطرق المثلى للتعبير عن الأقوال والأفعال بلغة وظيفيـة تكفل سياق تداولي ملم بالمعنى وأهدافه أو مقاصده دون عجز لغوي يعود بالسلب عـلى كامل وتمام المعنى و سيرورته؟

المحور الأول

التداولية المفهوم والتأصيل

تمهيد

تشكل اللغة وموضوعاتها منذ القدم تساؤلات مركزية وحساسة حول قضايا التواصل وأدواته وطبيعته، وحدوده، وهذا ما يبرره التقدم والتطور المشهود على مستوى مختلف نظريات اللغة تاريخيا (جدل اللغة العادية واللغة الصناعية)، إذا سيطرت القضايا اللغوية على مطلع القرن العشرين تحديدا، وذلك بتصاعد الدراسات اللسانية الحديثة، لاسيما التداولية التي تنقل اللغة من السياق الصوري إلى السياق الوظيفي،الأمر الذي يجعلنا نتسائل عن ماهية التداولية بدأ من التسمية، المبادئ والأصول و الغايات، هذا ما سنتطرق إليه في المعطيات القادمة معرفيا وتاريخيا من محور الكتاب الأول .

فكيف نظر وحلل أهل الاختصاص اللغوي والفلاسفة والباحثين التداولية ؟

أولا: التداولية: سؤال المعنى والسياقات المعرفية:

1- تعريف التداولية:

1-1- التداولية لغة:

تفرعت التداولية من مصدر، مادة دول، وقد جاء **في القرآن الكريم** قوله تعالى: ﴿ **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللـه الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللـه لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[1] .

(**1**) قرآن كريم، سورة آل عمران، الآية رقم: 140.

قال: «﴿ **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾؛ ﴿ **تِلْكَ** ﴾ اسم إشارة، يعني: هذه الأيام نداولها بين الناس، يعني نجعلها دولًا، تارة يُدال هذا على هذا، وتارة يدال هذا على ذاك، وانظر إلى قوله: ﴿ **نُدَاوِلُهَا** ﴾ حيث أتت بصيغة نون العظمة إشارة إلى أن الله عز وجل لكمال سلطانه وكبريائه يديل الناس بعضهم على بعض، فتارة تكون الأيام لهؤلاء، وتارة تكون الأيام لهؤلاء، فالله عز وجل هو الذي بيده الأمر، حتى إن الدولة تكون في بعض الأحيان لأعدائه على أوليائه لحكم يريدها، بيّنها بقوله: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَالله لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾»[1]، مفاد المعنى من التداولية إذا التناوب في المهام والأدوار داخل السياق المكاني والزماني، وباعتبار اللغة نظام لتواصل يحكم الأفراد والجماعات، فمن الطبيعي أن يتداولون اللغة ودلالاتها وإشاراتها ووحداتها في ما بينهم في سياقاتها العامة.

من أجل الوقوف على معنى التداولية لغة علينا أيضا تتبع جذرها اللغوي الذي تأسست منه وعلى اشتقاقا، وفق ما جاء في المعاجم اللغوية حتى نقارب بين المعاني، جاء في معجم (**مقاييس اللغة**) في مادة (دول) نقول: «(دول) الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدلُّ على تحوَّل شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضعف واسترخاء.

فأما الأول فقال أهل اللغة: انْدَال القومُ، إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداوَلَ القومُ الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنما سُمِّيا بذلك من

(1) نقلا عن: تفسير بن عثيمين. **https://tafsir.app/ibn-uthaymeen/3/140**

قياس الباب؛ أمرٌ يتداو لونه، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا»[1]، التداولية إذا مشتقة من فعل التداول؛ بمعنى التتالي والتعاقب وهو التواصل وهي صفات تعني الزمن والعمل أو الفعل المتعدي لأكثر من جهة ومجال.

في حين جاء في تفسير "بن عطية" على موقع- إسلام ويب- معنى التداولية في السياق الآتي: قوله عز وجل: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَالله لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)** ﴾[2]؛ أخبر الله تعالى على جهة التسلية: «أن الأيام على قديم الدهر وغابره أيضا إنما جعلها دولا بين البشر، أي: فلا تنكروا أن يدال عليكم الكفار، وقال تعالى: ﴿ **نُدَاوِلُهَا** ﴾ فهي مفاعلة من جهة واحدة، وإنما صاغ ذلك، لأن المداولة منه تعالى هي بين شيئين، فلما كان ذلك الفريقان يتداولان حسن ذلك، والدولة بضم الدال المصدر، والدولة بفتح الدال: الفعلة الواحدة من ذلك، فلذلك يقال: في دولة فلان لأنها مرة في الدهر، وسمع بعض العرب الأقحاح قارئا يقرأ هذه الآية، فقال: إنما هو "وتلك الأيام نداولها بين العرب"، فقيل له: إنما هو "بين الناس" فقال: إنا لله، ذهب ملك العرب ورب الكعبة»[3]؛ كل هذه التفسيرات اللغوية تؤكد أن مصدر التداولية هو التداول والتعاقب والتتالي والاستمرارية في الحال والمكان وبين الأفراد والجماعات.

جاء أيضا في **معجم لسان العرب** ل "ابن منظور" ما يوحي بأًصل التداولية لغة الآتي: قال الحجاج: «يوشك أن تدال الأَرْضُ منا كما أُدلْنا منها، أي يُجْعَلٍ لها

---

(1) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج2، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979، ص314.

(2) قرآن كريم، سورة آل عمران، الآيتين: 140-141.

(3) https://www.islamweb.net/ver3/ar.

الْكَرةٌ والدَوْلَةٌ عَلَيْنا، فتأكل لحُومنا كما أكَلْنا ثمارها، تشرب دماءنا كما شرَبنا مياهها، وتَدَاولنا الأَمْر: أَخذناهُ بالدول، وقالُوا: دَوَاليْتَ، أي مُداولةً عَلى الأمر؛ قال سِيبويه: وإِنْ شئت حَمَلْتَهُ عَلَى أنه وَقَع في هذه الحال.

ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتَداولَتهُ الأيُدي: أُخَذتهُ هذه مرة وهذه مرة، ودال الثوب يدول أي يِلي، وقد جَعلَ وُدُهُ يَدُولُ أي يبلي.

ابْنُ الأعرابي: يُقَال حَجَازَيْكَ ودوَالَيْكَ وَهَذَاذَيْكَ؛ قال: وهْذه حرُوفٌ خلقَتُها عَلَى هذا لا تُغَيّر؛ قال: وَحَجَازَيْكَ أمره أن يَحْجزَ بينهم، ويَحتمِل أن يكون معناه كف نفسك؛ وأما وَهَذَاذَيْكَ فَإِنهُ يأمره أن يَقطَعَ أمر القوْم؛ ودَوَالَيْكَ مِنْ تَداوَلُوا الأمْر بَيْتَهُمْ، يَأَخْذ هذا دَوْلة وهذا دَوْلَة، وقولهم دَوالَيْكَ أي تداولا بَعْدَ تَداولٍ»[1]، وفي هذا معنى للتتالي والتزامن والتعاقب ظرف وفعلا أيضا، مما يؤكد أن من أهم خصائص التداولية، التداول؛ بمعنى الحركة والفعل والاستمرار؛ ومنه التجدد حسب الحدث والغرض.

إذا كانت التداولية استوفت حقها لغويا، فكيف نظر لها المحللين اللغويين والفلاسفة معرفيا أو اصطلاحيا؟

1-2- التداولية اصطلاحا:

المتتبع الدارس والناقد لما كتب عن التداولية (**Pragmatique**)؛ يدرك مدى ما يشكله مفهوم التداولية من خلاف في الفهم والتحليل على مد السياقات اللسانية باختلاف جغرافيتها العالمية والثقافية، كون مصطلح التداولية مفهوم مضطرب وخلافي ومتشعب ثقافيا وحضاريا، إذا تعني لفظة التداولية «(**Pragma**) في الإغريقية

(**1**) ابن منظور، <u>لسان العرب</u>، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، مج17، ج2، دار المعرف، مصر، 1981، ص1456.

فعالية أو عملا أو مسألة، وتعني التداولية عند رائدها الأول "تشارلز موريس"[*]: دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها، فهي تهتم بمنتهي اللغة[*] لا باللغة فقط، ويعد هذا التعريف المؤسس الوعاء الذي انصبت فيه التحديدات اللاحقة التي ترى أن اللغة بوصفها نشاطاً كلامياً، تتحكم في مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية، فأي "تحليل تداولي" يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة»[1]، هذه الصورة لماهية التداولية تقدم لنا شق عملي في التداولية أكثر منه نظري، خاصة أن التداولية تمتاز كمصطلح بالمرونة والسيولة؛ مما يجعلها محل تداول وتباين في مختلف الحقول المعرفية، وليست حكرا على اللغويات أو فلسفة اللغة، فهي ارتبطت بالبعد العملي للغة واستعمالاتها خاصة اللغة الطبيعية، حيثما وجدت وفي أي صيغة معرفية وعلمية ووجودية، رغم أن الفيلسوف الأمريكي

(*) موريس تشارلز (**Morris Charles**) (1901-1979): فيلسوف أمريكي يربط بين أفكار الفلسفية الذرائعية وخاصة نظريات الفيلسوف الأمريكي جورج ميد ومفاهيم التجريبية المنطقية، وتحلل مؤلفاته الرئيسية التي تقوم على آراء المدرسة السلوكية، سلوك الإنسان الاجتماعي البيولوجي، وفي الوقت الذي طور فيه موريس آراء تشارلز بيرس، فإنه صاغ المفاهيم والمبادئ الأساسية لعلم جديد هو السميوطيقا مؤلفاته الرئيسية ((أسس نظرية الإشارات)) سنة 1938، ((الإشارات واللغة والسلوك)) في سنة 1946 و((أنواع القيم الإنسانية)) سنة 1956. أنظر: روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، مرجعة جلال صادق العظم، جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص509.

(*) اللغة (**Language**): نظام إشاري لأية طبيعة فيزيائية، يحقق الوظائف المعرفية والتواصلية في عملية النشاط الإنساني. والغة يمكن أن تكون طبيعية واصطناعية معاً، فاللغة الطبيعية هي لغة الحياة اليومية والتي تفيد كشكل للتعبير عن الفكر وكوسيلة للتواصل بين الناس. واللغة الاصطناعية هي لغة خلقها الناس لبعض الحاجات الخاصة (لغة الرموز الرياضية، لغة النظريات الفيزيائية والأنظمة المختلفة للإرشادات... الخ)، واللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ خلال تطور الإنتاج الاجتماعي وتعد جانباً لا ينفصل عنه، فهي وسيلة لتآزر النشاط الإنساني. أنظر: روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص410.

(**1**) بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ط1، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 2012، ص34.

المعاصر "نعوم تشومسكي"[**] يرى أن للغة: «هي جانبنا الإنساني، فنحن نستخدمها، لنسبر أغوار ذواتنا، ضلا عن ذوات الآخرين، وكذلك لكي نتعامل مع مجريات عالمنا وواقعنا؛ وما قد يعرض لنا يه من أعمال ذات معنى ودلالة، تتمثل المهمة الملقاة على عاتق علم اللغويات في تقديم وصف تفسيري، وتقريري متعمق للغة البشرية»[1]، "تشومسكي" يرى أن تحليل اللغة مهمة صعبة، غير أن جهود الفلاسفة التحليلين حاولوا تجاوز عقدة الغموض اللغوي وحيزه الضيق ونقله للانفتاح والتداول داخل وخارج الفعل الكلامي.

لقد عادت الفلسفة التحليلية[*] من خلال المنهج التحليلي بالتقدم في موضوعات اللغة، وفق رؤية عملية معاصرة بدأت في أمريكا، لذلك فإن شرعية

(**) نعوم تشومسكي (**Noam Chomsky**) (1928): عالم لغة وفيلسوف أمريكي أدى عمله الريادي في اللغة (**Syntactic, 1957**)، ومراجعته المدمرة لأحد كتب سكنر (**Language, 1959**)، إلى ثورة الإدراك المعرفي، وانتهاء السلوكية في علم النفس. اللغات محددة إلى حد كبير عبر بناها، ولذا فإن علم اللغة عنده هو دراسة بنية اللغات البشرية. أيضا فإنه يجادل بأن نظرية اللغة هي نظرية في معرفة المتحدث باللغة- اللغة كما هي ممثلة في عقل الفرد. هكذا تصبح النظرية اللغوية دراسة لتلك البنى اللغوية الممثلة في عقول متكلميها التي تكون معرفتهم باللغة. هذا يعني أن علم اللغة فرع من علم النفس المعرفي الذي يدرس البنى الذهنية المسؤولة عن الاقتدار اللغوي. الاقتدار اللغوي مجرد واحد من المكونات المتأثرة التي تسهم في إنتاج السلوك اللغوي، بحيث لا يوفر هذا السلوك سوى مرشد تقريبي لمعرفة المتكلم اللغوية. تستهدف نظرية الاقتدار اللغوي تحديد عوامله من البيانات الأدائية الخاصة باستخدام اللغة عبر استنباط أحكام من المتحدثين تتعلق بهوية سلسلة الألفاظ التي تنتمي إلى لغتهم (أي هوية السلاسل التي يجدونها نحوية)، ثم تشكيل نحو ينتج كل تلك السلاسل ولا ينتج غيرها. أنظر: تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف أ إلى حرف ط، ج1، ترجمة نجيب الحصادي، تحرير الترجمة منصور محمد البابور، محمد حسن أبوبكر، مراجعة اللغة عبد القادر الطلحي، ط1، المكتب الوطني للبحث والتطوير، بنغازي، ليبيا، 2003، ص210.

(**1**) جون ماهر، جودي جروفز، أقدم لك نعوم شومسكي، اللغة والسياسة، تحرير ريتشارد أبيجنانزي، ترجمة محي الدين مزيد، مراجعة وإشراف وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2003، ص14.

(*) الفلسفة التحليلية (**Analytical Philosophy**): تيار واسع الانتشار- ومتنوع إلى حد ما- في فلسفة الحاضر، يوحد جماعات واتجاهات وفلاسفة أفراد مختلفين، كلهم يعتبرون مهمة الفلسفة تحليل اللغة والفلسفة التحليلية

المصطلح العلمية بدأت مع الفيلسوف الأمريكي "شارلز موريس" من خلال اهتمامه باللغة الطبيعية- كما أسلفنا الذكر- وقد انتهى عام (1938) حسب ما تشير إليه الكثير من المواد العلمية إلى تعريف التداولية: «على أنها دراسة العلاقة بين العلامات ومؤوليها»[1]، هذا المفهوم الذي تناوله مقال (هل التداولية علم امبيريقي[*]؟) ضمن كتاب- **تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب**- يؤكد أن

أكثر انتشاراً اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، ولها بعض الفلاسفة الأفراد والجماعات في الدول الاسكندنافية وفنلندا والنمسا... الخ. ويدعو للفلسفة التحليلية مؤيدو التجريبية المنطقية والبراجماتية الجديدة- وكوين، غودمان، ومورتون هوايت- وهناك عدد من الفلاسفة التحليليين الأمريكيين (ولفريد ستيلازر وغيره) لا ينتمون لأية مدرسة والشكل السائد في بريطانيا هو الفلسفة اللغوية. وكل هذه المجموعات التي تنتمي للفلسفة التحليلية تمثل أنواعاً من الوضعية الحديدة. وفي الوقت نفسه فإنه مما يميز معظمهم أن مركز الثقل ينتقل عندهم من المسائل المعرفية العامة إلى الأشكال والوسائل العينية لتحليل اللغة، ويمكن تمييز منهجين رئيسيين: 1/ بناء لغات (نموذجية مصطنعة ذات بنيان منطقي محدد تحديداً دقيقاً- التجريبيون المناطقة، والبراجماتيون الجدد وعدد من التحليليين المستقلين- وهذه الأبحاث تقوم على أساس المنطق والسيمنطيقا المنطقية)؛ 2/ الدراسة التاريخية للغات الطبيعية القائمة (الفلسفة اللغوية) وكتابات الفلاسفة التحليليين المحدثين- إلى حد كبير- ليست في الحقيقة دراسات فلسفية أو معرفية بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولكنها دراسات في المنطق العيي والمناهج النوعية أو اللغويات العينية التي لها- بدون شك- مضمون علمي أما فيما يتعلق بالمشكلات الفلسفية العامة فإن الفلسفة التحليلية إما تتحاشاها، وإما تقدم لها حلولا مثالية غير صحيحة. أنظر: روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص339.

(1) إيفارج تونيزن، هل التداولية علم إمبريقي ضمن كتاب تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب (دراسات وبحوث مختارة)، ترجمة وتنسيق حافظ إسماعيلي علوي، ذهبية حمو الحاج، منتصر أمين عبد الرحيم، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص ص41-42.

(*) امبيريقي: مؤسس على الخبرة. تكون الفكرة أو الانطباع امبيريقيا إذا كان مستمدا في النهاية من الحواس الخمسة، يضاف إليها أحيانا الاستبطان. ليس من الضروري أن تكون مستمدة من حاسة واحدة، ولكن ثمة حاجة لأن يقوم العقل بمعالجة المعطيات التي يوفرها الحس، بل إنها قد لا تعد معطيات أصلا ما لم يقم العقل بنشاط ما. أنظر: تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف أ إلى حرف ط، ج1، المرجع السابق، ص100.

"موريس" يركز على العلاقة بين التداولية والدلالة(**) وفي هذا **احتماليين** لتفسير: «لعل الإشارة إلى المؤولين تضع التداولية بعيداً عن التركيب الذي عرفه "موريس" على أنه دراسة العلاقات بين العلامات وغيرها، وتضعها كذلك بعيداً عن الدلالة التي عرفها على أنها؛ دراسة العلاقات بين العلامات والأشياء التي تنطبق عليها، إن التقرير الواضح من هذه الفروق الذي ينطبق على دراسة اللغات الطبيعية، واللغات الاصطناعية يعود إلى "رادولف كارناب"(*)، حيث بين أن

(**) الدلالة (**La Signification**): الدلالة معنى يفيده لفظ أو رمز ما، ومنه دلالة الكلمة أو الجملة. يقول الجرجاني: (الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدال. والشيء الثاني هي المدلول). فالدلالة إذن، كما أصبح ذلك واضحا في علم اللّسان، هي العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول.

وللدلالة منزلة خاصة في المذهب الفينومينولوجي الذي يمكن تعريفه بأنه وصف للدلالات بقطع النظر عن كل حكم من أحكام الوجود. فنحن قد نحلل مثلا المعنى الخاص والدلالة الخاصة لديانة ما دون أن نأخذ أي موقف أو نكوّن أي حكم فيما يتعلق بقيمتها أو بوجود الإله الذي تدعر إلى عبادته. ومن هذا المنظور فإن مبدأ الفينومينولوجيا، بوصفه مبدأ يقوم على تحليل الدلالات، إنما يدعو فقط إلى الفهم لا إلى الحكم، أي أنّه يوجب تعليق الحكم (**Epochè**). أنظر: جلال الدين سعد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (د.ط)، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص192.

(*) ردولف كارناب (**Rudolf Carnap**) (1891-1970): فيلسوف وعالم منطق امبيريقي ألماني انتقل إلى الولايات المتحدة عام 1935. كان تلميذا لفريجه وقد تأثر كثيرا به، كما تأثر برسل وفتجنشتين. كان كارناب عضوا بارزا في حلقة فينا ومدافعا قياديا عن الوضعية المنطقية قبل الحرب العالمية الثانية. الإحكام الاصطلاحي يشكل علامة فارقة لإسهاماته في علم الدلالة الصوري، فلسفة العلم، وأسس الاحتمال الاستقرائي.

أهم أعماله المبكرة هو **Der Logische Aufbau der Welt** عام 1928، الذي ترجم تحت عنوان **The Logical Structure of the World** عام 1967؛ في هذا الكتاب حاول كارناب الإفصاح بشيء من التفصيل عن البرنامج الامبيريقي المتشدد الخاص بإعادة تشييد المعرفة البشرية بالعالم الاجتماعي والمادي والعقول الأخرى على أساس الخبرة الفردية، مكتفيا بافتراض كنقطة بدء علاقة التشابه المتذكّر بين الخبرات. أنظر: تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف ظ إلى حرف ي، ج2، ترجمة نجيب الحصادي، تحرير الترجمة منصور محمد البابور، محمد حسن أبوبكر، مراجعة اللغة عبد القادر الطلحي، ط1، المكتب الوطني للبحث والتطوير، بنغازي، ليبيا، 2003، ص759.

النظرية التداولية يمكن أن تتضمن عناصر دلالية وتركيبية»[1]، وهذا ما يؤكد أن طبيعة التداولية أو ما هويتها مستقاة من اهتمامات الفلسفة التحليلية الانجلوسكسونية والتي توسعت إلى أمريكا ثم بعض أوروبا من خلال إتباع المنهج التحليلي والمنطقي.

غير أن هناك من يرى أن مصطلح ((التداولية)) تعود: «في أصلها الأجنبي (**Pragmatique**) إلى الكلمة اللاتينية (**Pragmaticus**) العائد استعمالها إلى عام 1440م، وتتكون من الجذر (**Pragma**)، وتعني عملاً أو فعلاً، ثم صارت الكلمة مع اللاحقة تطلق على كل ما له نسبة إلى العمل أو الفعل»[2]؛ غير أنه من باب التحليل والموضوعية، علينا أن ننظر في: «الروابط الموجودة بين "النفعية" (**Pragmatisme**) والتداولية (**Pragmatique**) إن النفعية نظرية فلسفية عامة للعقلانية الملاحظة بوصفها متصلة بالمصالح الأساسية للإنسان، ولقد تطوّرت في الولايات المتحدة الأمريكية، في منعطف القرن العشرين حول "شارل بيرس" (1839-1914) الذي قام بمقتضى كونه سيميائياً، أيضاً بدور أساسي في النشأة المفهومية للمقاربة التداولية، ولقد وضحها "وليام جيمس"[*] الذي استخلص

---

(1) إيفارج تونيزن، هل التداولية علم إمبريقي ضمن كتاب تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص42.

(2) مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني: قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونين (قضايا لسانية)، ط1، دار ضفاف، لبنان، 2015، ص13.

(*) وليام جيمس (William James): عالم نفساني وفيلسوف برجماتي. ولد في مدينة نيويورك في 11 يناير سنة 1842، وتوفي في 26 أغسطس سنة 1915. وكان الابن الأكبر لهنري جيمس الكاتب الساخر، الذي كانت نزعته الدينية متأثرة بسويدنبرج، التيوصوفي الشهير. ومن أخوة وليم كان هنري جيم القصصي الشهير والناقد صاحب التأثير في النقد الانكليزي عامة. ومن مؤلفاته: Principles of Pyschology(1890)، Pragmatism(1907). أنظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص ص447، 450.

منها سنة 1906 نظرية في الحقيقة، ساخراً من مواقف "بيرس"، وبالتوازي مع ذلك استخلص "جون ديوي"(**) نظرية أداتية من هذه الفكرة (1903) إنّ النفعية التي تُوصف عادة في أوروبا بكونها فلسفة في العمل، تختزل الحقيقة في المنفعة (**L'utilities**)، قد اقترحت دروبا أكثر تطوراً ولا تعدم قدراً من الطرافة، ويلتحق قسم منها بالمقاربة التداولية وانطلاقاً من العقلانية، يقع تفضيل التجريبية العلمية على الشك الديكارتي: إذ يصبح الافتراض، بمقتضى ذلك، مستوى من العمل، يجب فحصه اختبارياً، في الواقع، بما في ذلك مسألة "الديمقراطية"»[1].

لم بتوقف معنى التداولية عند محيط المعنى الانجليزي بل امتد إلى المعنى الأوروبي ففي اللغة الفرنسية مثلا نجد أن التداولية ارتبطت بالمجال القانوني والقضائي حيث يشير "مرتضى حبار كاظم" في كتابه- **اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني**- بالقول: «أما في الفرنسية فقبل أن تدخل بحال الدراسات الفلسفية والأدبية، استُعملت في المجال القانوي وتحديداً في عبارة (**Pragmatique Sanction**)، وتعني المرسوم أو المنشور الذي يهدف إلى تسوية قضية مهمة باقتراح الحلول العملية

(**) جون ديوي (Dewey John) (1859-1952): فيلسوف ومربي أميركي شمالي، انتمى منذ ولادته إلى الطبقة البورجوازية. من أهم مؤلفاته: معالم نظرية نقدية في الأخلاق، قانون الإيمان التربوي، المدرسة والمجتمع، الديمقراطية والتربية (1916)، دراسات حول النظرية المنطقية (1903)، المنطق: نظرية البحث (1983). أنظر: روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له الرئيس شارل حلو، مراجعة جورج نخل، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص463.

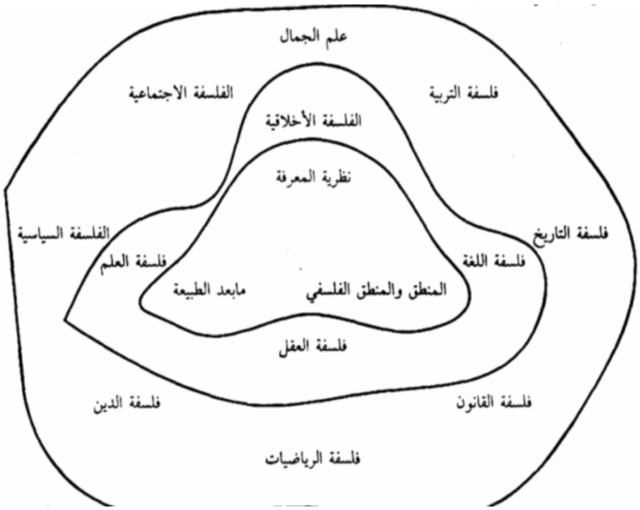
(**1**) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، ط1، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986، ص28.

والنهائية، ثم استُعملت في مجال العلوم البحتة لتدل على كلّ بحث أو اكتشاف له صفة إمكانية التطبيق العملي، وفي وقت متأخر تسللت الكلمة إلى اللغة المستعملة في عبارات مثل: هذا تفكير عملي أو هو عمّلي، للدلالة على أنّ شخصاً ما ميّال إلى إيجاد الحلول العملية والواقعية لما قد يُطرح من إشكالات، وتعني التداولية في الاصطلاح اللساني ذلك الاهتمام المنصب على مستوى لساني خاص يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق التواصلي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية، وبعبارة أخرى: إن التداولية تركز اهتمامها؛ على بجموعة الضوابط والمبادئ التي تحكم عملية تأويل الرموز والإشارات اللغوية في إطار التواصل البشري»[1]، هذا ما يؤكد أنها معرفة فاعلة وفعالية انسانية مستمرة في اطار التواصل والاتصال، فالتداولية من منظور "هشام إبراهيم عبد الله الخليفة" من العلوم التي لم تنل حقها من الدراسة والفهم رغم تطور المدارس اللسانية واللغوية عامة، والتداولية حسب رأيه هي: «فرع جديد من فروع علم اللغة ابتدعت له مقابلا هو (علم الفعليات) لكي تأخذ المساحة التي تستحقها»[2]، يفهم من هذا أن التداولية فسيلة لغوية في طور النمو والتطور، هذا ما عبرت عنه الفلسفة كمن خلال اهتمامها باللغة ويعكس هذا الاهتمام دوائر الفلسفة الداخلية والخارجية التي تمثل لنا مدى التفاعل والتداخل بين الفلسفة ومختلف فروع المعرفة والعلم ومن بين أهم المواضيع الداخلية للفلسفة والتي لها أثرها الفعال خارجيا اللغة كما هو موضح في الآتي:

---

(1) مرتضى حبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، المرجع السابق، ص ص13-14.

(2) هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي **Speech Act Theory**: بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي (بحث في علم الفعليات **PRAGMATICS**)، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2007، ص16.



دوائر الفلسفة الداخلية والخارجية[1]

فلسفة اللغة إذاتعالج الآتي:

1. «**افتراضات للغة**: إمكان اللغة الخصوصية.

- الأفكار الفطرية: قواسم مشتركة بين كل اللغات- قواسم بنيوية: نماذج التمثيل (تشومسكي)، قواسم ميتافيزيقية: دور الفرديات، إمكان لغة تموضع القواسم (ستراوسن)- إمكان لغة الفكر (فودر).
- القصدية (موضوع مرتبط: فلسفة العقل): لغة الحيوان- لغة لآلة- اللغة والناس.

2. **طبيعة اللغة**: النحو (البنية التحتية والبنية الفوقية - البنية التحتية والصورة المنطقية).

- اللغة والأنساق الرمزية الأخرى.
- اللغة والتأويل: القابلية للترجمة، التحليلية.

(**1**) تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف ظ إلى حرف ي، ج2، المرجع السابق، ص1062.

3. **علم العلامات**: السنتاكس (موضوع مرتبط: المنطق الصوري).

- السيمانتكس: نظريات المعنى (الدلالة والصدف- الأسماء، الأوصاف والعلامات الإشارية- المواضي والمحاميل: المعنى والإشارة: المغزى والفحوى).
- البراجماتك (أنواع الاستلزام (موضوع مرتبط: نظريات أفعال الكلام).

4. **علم التأويل:**

- المواضيع المرتبطة الأساسية: المنطق والمنطق الفلسفي، فلسفة العقل، الابستمرلوجيا، الفللسفة الأخلاقية، علم اللغة»[1].

كل هذه المهام اللغوية تدرسها الفلسفة اللغوية[*].

كما عرفت التداولية بعدة مسميات كونها مصطلح مرن وممتد ومن بين المصطلحات الأكثر ذيوعا الذرائعية الجديدة (**New Pragmatism**): «يعود أصل

(**1**) تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف ظ إلى حرف ي، ج2، المرجع السابق، ص 1068.

(*) الفلسفة اللغوية (**Linguistic Philosophy**): تعرف أيضاً باسم ((التحليل المنطقي)) و((التحليل اللغوي)) و((فلسفة لغة الحياة اليومية)). تيار في الفلسفة التحليلية، انتشر في بريطانيا (ج. رايل، ج. ويزدوم، ج. أوستين وغيرهم)؛ وفي الولايات المتحدة تبنى آراء مماثلة ماكس بلاك و.ن.ب. مالكولم وغيرهما ويصدر هذا التيار من ((فلسفة الحس المشترك)) عند جورج ادوارد مور، وآراء فتغنشتاين المتأخرة والفلسفة اللغوية شأنها شأن المدارس الأخرى للوضعية الجديدة تنكر أن الفلسفة هي نظرة شاملة للعالم، وتعتبر المشكلات الفلسفية التقليدية أشباه مشكلات، تنشأ عن فشل في استيعاب الطبيعة الحقيقية للغة بسبب التأثير المشوش للغة على الفكر وهي على عكس هذا تذكر أن الفلسفة يجب أن تحل المصاعب الناجمة عن الاستخدام الخاطئ للكلمات. ويذهب ممثلو مدرسة كامبردج في الفلسفة اللغوية إلى أن الفلسفة يحب أن تقوم بوظيفة ((علاجية))، وذلك بتطهير لغتنا مما فيها من نواحي الضعف والفلاسفة اللغويون في جهودهم- للتخلص من الميتافيزيقا-، لا يرفضون فحسب ((الميتافيزيقا الانطولوجية)) الخاصة الفلسفة التقليدية فهم إذ ينكرون إمكان التوصل إلى أي تصور فلسفي شامل، يستبعدون أيضاً ميتافيزيقا الوضعية المنطقية مع مبدئها في ((التحقيق)). أنظر: روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص ص346-347.

هذه لتسمية إلى منظري السيمياء مثل "شارلز موريس" و"تشارلز ساندرز بيرس"[*] و"جون ديوي" على وجه الخصوص، وتختلف دلالتها حسب الحقل الذي نبعت منه: كالفلسفة، واللسانيات، والاتصال، على أن سمتها الغالبة تظل توجهها العملي، ونتيجة لتداخل حقولها بحقول مجاورة، فإن لها كثير من الترجمات في اللغة العربية، منها التبادلية والاتصالية والنفعية إلى جانب الذرائعية»[1]، وحجة هذا الاقتران الشرطي بين الاسم والمسمى هو ارتباطها بالتيار البراغماتي في أمريكا وأعلامه في الفترة المعاصرة وسعيهم لجعل كل المعارف والعلوم عملية ونفعية وفورية للإنسان والواقع: «أما وصف هذا الاتجاه بالذرائعية فيعود إلى كونه امتدادا لفلسفة معروفة بهذا الاسم أسسها الفيلسوف الأمريكي تشارلس ساندرز بيرس في لقرن لتاسع عشر، إذ أصبح مصطلحا فلسفيا في عام 1878، غير أن بيرس صاغ المصطلح برسم مختلف (**Pragmaticism**) في

(*) تشارلز ساندرز بيرس (**Charles Sanders Peirce**) (1839-1914): فيلسوف ومنطقي أمريكي مؤسس الذرائعية (البراجماتية) كان أستاذاً بجامعات كامبردج وبالتيمور وبوسطن في مقاله- كيف تجعل أفكارنا واضحة (1878)-، ادخل ما يسمى (قانون بيرس) قيمة فكرة ما تكمن في نتائجها العملية وقد وحد بيرس بين النتائج العملية والإحساسات فاتخذ موقف بيركلي وفهم العلم على أنه (تقوية العقيدة)، وقد وضع بيرس ثلاثة مناهج ذرائعية: (منهج الثبات، منهج السلطة والمنهج العلمي) الذي تحول إلى (مبدأ بيرس). وقد وضع بيرس- على النقيض من نظرية المعرفة المثالية الذاتية- نظرية مثالية موضوعية في التطور، تقوم على أساس مبدأ (الصدفة) و(الحب) باعتباره القوة الموجهة للتطور، وقد أثرت مؤلفاته في المنطق- الذي كان يفهمه على أنه (نظرية عامة في العلاقات) تأثيراً هامًا على المنطق الرياضي والوضعية الحديدة، ومؤلفاته الرئيسية في محال نظرية الاحتمال ومنطق العلاقات. أنظر: روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص97.

(**1**) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 2002، ص162.

عام 1905 ليكون شارة على منحاه الخاص في هذا الاتجاه، ثم عدل الذرائعية وأذاعها الفيلسوف الأمريكي لآخر والأكثر شهرة وليام جيمس، وقوامها أن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع أو بإمكانية تبلورها عمليا، وأنه حتى حين تكون الأفكار غير عملية؛ فإن الواقع التاريخي والعملي يظل مهيمن عليها، ومن هنا أمكن تسمية هذه الفلسفة التي أصبحت سمة على الثقافة الأمريكية، الفلسفة العملية، وتأسيسا على هذا التوجه العملي ترفض الذرائعية الوضع المثالي الذي تفرضه الفلسفات لعقلانية والمثالية بنزوعها إلى التنظير، لأن ذلك يفرض على تعددية العالم واختلافاته نظاما واحدا يحاول اكتناهه متجاهلا حقيقة تركيبه»[1]؛ وقد ورد في (دليل أكسفورد)- الجزء الثاني- أن مصطلح (**Pragmatism**) يفيد معنى: «البراجمتكس (علم استخدام اللغة) أي: دراسة اللغة بطريقة تركز على مستخدميها وسياقها عوضا عن- الإشارة، الصدق، أو النحو- هكذا يقر التحليل البراجماتكي للملاحظات الأمرية وجوب أن يكون المتحدث أعلى مرتبة، وأن يكون للمستمع القدرة على تنفيذ الأمر على المستوى المقالي، يخبرنا التحليل كيف يتفاعل المشتركون في محادثة كما يحدث حين يشير إلى المستمع، بأنه يحكي قصة أو يقيم الصلاة، أيضا على المستوى المقالي يبين لنا التحليل البراجماتكي كيف تعين الترتيبات التحادثية على تبديد غموض ما يقال، في حفلة يحضرها "بل آدمز"، نفهم أن المتحدث يشير إليه وليس إلى "بل بيكر" حين يقول إن (بل غبي) وعلى نحو مماثل، يبين هذا النوع من التحليل كيف

(**1**) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص163.

تحتاز الترتيبات التحادثية على تضمينات، قدم "بل آدمز" للحصول على وظيفة، وسئلت عن طلبه، إذا كان كل ما تقوله إنه شخص كيس، فإنك تضمن تحادثيا أنه ليس ثمة أشياء أكثر بكثير يمكن أن تقال عنه»[1]؛ هذه الشواهد والتمثلات توحي لنا أن التداولية من مهامها الركيزة البحث في دلالات الخطاب الفعلية أو أفعال الكلام بين الشركاء المتحدثين، وهناك من رأى أن التداولية هي: «دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفة (**Functional Perspective**) وهو نوع من التعريف يحاول أن يوضح جوانب التركيب اللغوي بالاحالة الى اسباب غير لغوية، لكن مثل هذا التعريف يقصر عن تمييز التداولية اللغوية عن كثير من فروع علم اللغة المهتمة بالاتجاهات الوظيفية في اللغة، ومنها علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي»[2]، ورغم تشعب التداولية في عدة تخصصات معرفية وعلمية، إلا أنها تحافظ على خصوصيتها بالدرجة الأولى فهي: «فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم (**Speaker Intentions**) أو هو دراسة معنى المتكلم (**Speaker Meaning**) فقول القائل أنا عطشان مثلاً قد يعني أحضر لي كوبًا من الماء، وليس من اللازم أن يكونَ إخباراً بأنّه عطشان، فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته، وإذا كان كذلك فكيف يمكن للناس أنْ يفهم بعضهم بعضاً؟ على أن مصطلح معنى المتكلم مفضل عند الذين يدرسون اللغة من الوجهة الاجتماعية بالرغم من أنه لا يلتفت إلى أن تفسير ما نسمع يحتاج إلى

(**1**) تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف ظ إلى حرف ي، ج2، المرجع السابق، ص141.
(**2**) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2002، ص12.

التحـرك بـين مـستويات عديـدة مـن المعنـى، ومـصطلح تفـسير الكـلام (**Utterance Interpretation**) المفضل عند الذين يمثلـون الاتجـاه المعـرفي (**Cognitive**) يتجنـب هذا الخطأ لكنه يصرف جل اهتمامـه إلى متلقـي الرسـالة، وفي هـذا تجاهـل للـضوابط والقيود الاجتماعية التي تحكم إنتاج الكلام»[1]، فالموضوع الذي تتـأس عليـه التداوليـة هو فهم مقاصد المتكلمين المعرفية والاجماعية، على الـرغم مـن الاختلافـات المفهوميـة التي تردحسب "هشام إبراهيم عبـد اللــه الخليفـة" إلى «مـشكلة تعريـب المـصطلح ونحت الكلمات، فعلم البراكماتيات (**Pragmatics**) الذي وضعنا لـه مـصطلحًا مقـابلا هو (الفعليّات) هو علم جديد في العالم الغـربي؛ ناهيـك عـن العـالم العـربي، فهـو شـبه مجهول في الثقافة العربيّة المعاصرة، وبما أن نظرية أفعال الكلام تشكّل الجزء الأهمّ من هذا العلم؛ فإن هناك مشكلة في تعريب المصطلح»[2]، ثـم يـبرر التـسمية القائمـة عـلى الفعل بالقول: «أما بالنسبة لمصطلح البراكماتيات (**Pragmatics**) فلكون هـذا الحقـل اللغوي جديدًا ولعدم وجـود مـصطلح يقابلـه في العربيـة، فقـد اضـطررت إلى صـياغة مصطلح مقابل أعتز به وأصر عليه هو (الفعليات) وهذا المصطلح له مـبررات عديـدة، فهو يشمل ما نعنيه حين أتكلم عن المعنى أو المغزى (الفعلي) للكلام تمييزًا عن المعنـى اللغُوي الوضعي الذي هو موضوع علم الدلالـة ومـصطلح (الفعليّـات) أيـضًا يـشير إلى كون اللغة نوعًا من الفعل، وهذا واضح في نظرية أفعال الكلام التي تشكّل الجزء الأهم في الفعليّات، وهذا هو أصل الكلمة الإغريقية (**Pragma**) التـي أشـتق منهـا المـصطلح

(**1**) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص13.
(**2**) هشام إبراهيم عبد اللـه الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص23.

وتعني (الفعل) ومن المصطلح اشتققت النسبة (فعلياتي) وغنيّ عن التعريف أن المصطلح الذي يستعمله المترجمون حاليًا وهو (ذرائعيات) أو (الذريعيات) للدلالة على الفعليّات هو بكل بساطة استعمال خاطئ، لأنه استعمل أساسًا للدلالة على المدرسة الفلسفية الأمريكيّة المعروفة (**Pragmatism**) وكما هو معروف لا علاقة للفعليات بهذه المدرسة الفلسفية من قريب أو بعيد، وبعضهم يستعمل مصطلح (علم اللغة التداولي) وهو ترجمة لا بأس بها لكنها لا تغطي المصطلح الأجنبي مثل مصطلح (الفعليّات)»[1]؛ يقدم "هشام إبراهيم" مصطلح الفعليات كبديل لمصطلح الذرائعيات الذي يراه قاصرا على التعبير عن المعنى التداولي وسياقاته اللغوية والتفاعلية، كما يرى أن مصطلح التداولية لا يمكن أمنخته بالمناخ الفكري العربي، لأنه لا يوجد ما يقابله معجميا بل لابد من تقديم مصطلح له خصوصية بالمجال العربي هو الفعاليات، لأنه يدل على مصدر فعل الكلام ومن طبيعة الفعل الكلامي الامتداد في المجال والزمن والتعدد في المعاني والتنقل داخل الجماعات وبين الأفراد وفق ما تقتضيه ثقافاتهم.

المشروع التداولي الأمريكي المعاصر يتجاوز خصوصية اللغات وثقافاتها التي عرفت كذلك التداولية لكن المشروع التداولي الأمريكي مختلف؛ لأنه مركزا على جعل التداولية براديغم اللغة العملي.

إذا يرتكز تعريف التداولية على: «دراسة اللغة في الاستعمال (**In Use**)، أو في التواصل (**In Interaction**)، لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات

(**1**) هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص ص26-27.

وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول (**Negotiation**) اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي)، وُصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما»[1]، هذا التعريف العملي للتداولية جعلها مشروطة بفعل التواصل والاستعمال للخطاب، الأمر الذي جعل التداولية **تعنى ب**: «دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف لم تكون مجموعة من الجمل شاذة (**Anomalous**) تداوليا أو تعدٌّ في الكلام محال كأن يقال مثلاً؛ أرسطو يوناني لكني لا أعتقد ذلك! أو يقال: آمرك بأن تخالف أمري أو يقال: الشمس لو سمحت تدور حول الأرض، وعلى الرغم من أن إيضاح الشذوذ في هذه الجمل قد يكون سبيلاً جيدا للوصول إلى نوع من الأسس التي تقوم عليها التداولية، فهو لا يعد تعريفا شاملاً لكل مجالاتها»[2]، ولأن التداولية غنية بالتعريفات المتعددة والمتباينة، وإن تقاربت نسبيا، عدت من جهة أخرى: اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستطيع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولاسيما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق، وتشمل هذه المعطيات:

- «معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.
- الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

(1) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص ص13-14.
(2) المرجع نفسه، ص11.

- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيه»[1]؛ رغم أن التداولية تلم بمختلف جوانب التجربة اللغوية وخبراتها العملية بين الأفراد والجماعات وآثارها الكلامية في فعل الخطاب.

غير أن مصطلح "التداولية" (**Pragmatique**): «يبدو على درجة من الغموض، إذ يقترن به في اللغة الفرنسية، المعنيان التاليان "محسوس" و"ملائم للحقيقة"، أما في الإنكليزية وهي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية، فإنّ كلمة (**Pragmatic**) تدلّ في الغالب على (ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية)، وهكذا يبدو لأوّل وهلة، أن الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمّى تداولية ضخم، وتُلُقّيَ عموماً بوصفه كياناً غامضاً، أو قل جراباً جديداً توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي إلى الاختصاصات المؤسسية، وهي اللسانيات وعلم اجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي والدلائلية... إلخ، نحو المشاكل التي أثارتها هذه الاختصاصات ولم تتوصل إلى معالجتها بشكل مُرضٍ، ومن بين المنظرين الأعلام الممثلين للتداولية المذكورين هنا نجد فيلسوفين وهما "أوستين" (**Austin**) و"سورل" (**Searle**)، وعالم اجتماع هو "غوفمان" (**Goffman**)، وكذلك نجد عالماً مختصاً في اللسانيات- علمية محكمة- الاجتماعية الإثنولوجية هو "غمبرز" (**Gumper**) وتضاف إلى هؤلاء مدرسة ذات توجه نفسي أساساً، هي مدرسة "بالو ألتو" (**Palo Alto**)»[2]، وهي مدارس عريقة وجهود مؤسسة في تاريخ التداولية وامتداداتها المعاصرة اللغوية والفلسفية.

(**1**) بشير البستاني، <u>التداولية في البحث اللغوي والنقدي</u>، المرجع السابق، ص35.

(**2**) فيليب بلانشيه، <u>التداولية من أوستن إلى غوفمان</u>، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2007، ص ص17-18.

يفسر تعدد المواقف إزاء معنى مصطلح التداولية إلى مستوى الفهم ودرجاته وخلفياته الفكرية وحتى الأيدلوجية، ذلك لأن: «تفاوت تعريفات التداولية وتباينها كان الناتج الطبيعي لتفاوت مقاصد معرفتها، فهناك مَنْ حصر مجالها في الخطاب على العكس من اللسانيات التي اهتمت برصد الجملة، ومنهم مَنْ حصرها في دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها، ومنهم من فتح حقل دراستها بحيث جعلها تدرس كل ما يحيط بالمتكلمين وبعملية التواصل نفسياً وظرفياً واجتماعيا، ومنهم من اهتم بدراستها للأدب ورمزيته ومجازاته وحجاجه في ضوء توجهاتها الجديدة»[1]، لاسيما أن مسائل اللغة والعلامات ليست جديدة الطرح بل قديمة مستحدثة فمن: «الرواد الأوائل لعلم العلامات أفلاطون (ح 428-348 ق.م) الذي يتأمل في محاورة كراتيلوي (**Cratylus**) أصل اللغة، وأرسطو (384-322 ق.م) الذي يولي عناية بالأسماء في كتابية فن الشعر، وعن التأويل الكلمة (**Semiatic**) مشتقة من الجذر اليوناني (**Seme**) كما في كلمة (**Semeiotikos** 12) التي تعني مؤول العلامات وعلم العلامات هو تحليل العلامات، أو دراسة طريقة عمل أنظمة العلامات»[2]، وهذا من ضمن اهتمامات الفعل التداولي خاصة المعاصر الذي عمل على تطويره مؤسسه "بيرس" حيث يرى: «أن أهم صور الثالثية تشتمل على المعنى والتمثيل، ومعظم أعماله إنما تعول على نظرية مركبة في المعنى، السميوطيقا التي يتبناها. من المرجح أنه كان يعتقد أن كل شيء علامة، بيد أن العلامات التي حظيت أكثر من غيرها باهتمامه هي الأفكار والإقرارات

(**1**) بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، المرجع السابق، ص14.

(**2**) بول كوبلي، ليتسا جانز، أقدم لك علم العلامات، ترجمة جمال الجزيري، مراجعة وإشراف وقديم إمام عبد الفتاح إمام، ط1، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2005، ص10.

الخاصة بالفهم العلمي، نظرية المعنـى (النحـو التـأملي) هـذه إنمـا تؤسـس فـيما يفـترض أعماله في المنطق مفتاح الثالثية المتضمنة في العلامـات هـو مفهومـه في التأويـل، لا تـشير العلامة إلى أي شيء إلا عبر فهمهما أو تأويلها على اعتبار أنها تقوم مقام موضوع ما، وهذا التأويل سوف يكون دوما علامة أخرى للموضوع نفسه. هكذا تكـون الـسميوطيقا أساسـا نظرية في الفهـم، تـصورا في الطريقـة التـي نرشـد ونقيـد وفقهـا في الوصـول إلى تـأويلات العلامات. غالبا ما يتضمن التأويل إشارة، تطور فهمنا للموضوع المعني، هكذا قـد يـتجلى فهمي لإقرارك بأنك تعب في تفكيري في أنك تريد مني أن أعتقـد أنـك تعـب، في اعتقـادي أنك تعب، في توقعي أن تنام، في عرضي عليك تناول فنجانـا مـن القهـوة، ومـا في حكمهـا. الفكرة التأويلية تتوسط بين العلامة وموضوعها»[1].

يعتبر تشارلز بيرس أحد الرجال البارزين في تاريخ نظرية العلامات، فهناك مقال مبكر أوضح اهتمامه بهذا الموضوع بعنـوان- قائمـة جديـدة للمقـولات- (**On a New list of categories, 1867**)... كما «تعد صياغة ((القضية البرجماتيـة)) (**Pragmatic Maxim**) نتاجا متأخرا ظهر من خلال عمله الطويل في نظريـة العلامـات، تعتـبر العلاقـة الـسلوكية أساسـا تقـوم عليـه البرجماتيـة لهـذا أخـذنت الاعتبـار- كفلـسفة- أن تتنـاول المـشكلات التقليدية في الفلـسفة وبهـذه الطريقـة فقـد أصـبحت البرجماتيـة أكـثر تحيـدا ((ودقـة)) كمـصطلح، أعنـي أن البرجماتيـة أصـبحت فلـسفة تقـوم عـلى أسـاس الدلالـة (المعنـى) السلوكية»[2].

(**1**) تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف أ إلى حرف ط، ج1، المرجع السابق، ص ص185-187.

(**2**) أنظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1996، ص ص30-32.

إذا يمكن لنا إيجاز دوافع نشأة التداولية في الآتي: مثالية اللغة لا واقعيتها، عزل اللغة عن قضايا الإنسان وأبعاده المركبة، فهي لغة متجاوزة للاشتغال الإنساني لا مجاورة له، إهمال دواعي التخاطب ومقاصده بين المتكلمين، هذا ما عكفت التداولية على الاهتمام به على المستوى العقلاني والواقعي، لتعزيز الفعل التداولي وربطه بسياقاته المتعددة ومقاصده التواصلية.

خاصة أن التداولية تعنى بتحديد الغاية من فعل الخطاب أو الكلام ومدى انسجامه مع المتداول واقعيا، وهذا يقع في علاقة الدال بالمدلولات في المجال التداولي الذي من شأنه تحديد طبيعة التواصل والتعامل اللغوي، فإذا كانت كل من الدلالة والتداولية يتداخلان في علم اللسانيات؛ فهل هذا يعني أنهما واحد من حيث المعنى والمهام والهدف أم أنهما مختلفان معنى ومتكاملان وظيفة ومجالا؟

2- العلاقة بين ثنائية (التداولية والدلالة) في سياق الخطاب وحدود المعنى:

نظرا لتقارب المفاهيم وتداخلها ضمن السياق اللغوي واللساني، يخلط الكثير بين المعنى المعرفي والإجرائي للدلالة والتداولية: «على مدى الأربعين عامًا الماضية، أصبح البحث اللغوي في علم الدلالة تقنيًا بشكل متزايد، وقد أدى ذلك إلى تغيير الطريقة التي يجب أن يفكر بها الفلاسفة في المعاني ونظريات المعنى، على الرغم من أن علم الدلالات الرسمي، كما مارسه اللغويون، بدأ في بوتقة الفلسفة، إلا أن العديد من الفلاسفة لا يعرفون التفاصيل الفنية»[1]، هذا ما يؤكد

---

(1) Zoltán Szabó and Thomason Richmond, Philosophy of Language (Cambridge Textbooks in Linguistics), Cambridge University Press, Cambridge, 2018, p01.

مدى العلاقة الوظيفية بين التداولية والدلالة، وذلك تبرره عدة أسباب مفاهيمية منطقية وعملية، نوجز منها الآتي:

1. «يشترك المحوران الدلالي والتداولي في أنهما مختصان بما يتجاوز الرمز اللغوي نفسه إلى أبعاد أخرى، غير أنهما يفترقان في أن الدلالة تدرس المعنى المجرد خارج إطار المقام، أما التداولية فتهتم بما يرمي إليه المتكلم من معان تتجاوز المعني الدلالي للكلمات؛ بما يستدعي الإحاطة بالمقام والمرجعية الثقافية للمتكلم والمخاطب معا.
2. ينبغي ألا يغيب عن ذهننا أن التداولية والدلالة كلاهما معني بقضية المعنى، ويوضع "ليش" (**Lech**) الفرق بينهما بالجملتين الآتيتين: (1) ماذا تعني (أ)؟ و(2) ماذا تعني أنت ب (أ)؟
3. إن الفرق بينهما هو أن الدلالة تهتم بالمعني (**Meaning**) في نفسه (الجملة رقم 1) في حين تستحضر التداولية لفهم المعني عنصر المتكلم (**Speaker**) أو مستعمل اللغة (الجملة رقم 2) مع ما يقصده من قصود»[1].

يفرق المفكر المغربي "طه عبد الرحمن" بين الدلالة والتداول، فيصف الدلالة بأنها مؤشر إلى معنى معين، في حين أن التداول يشتمل على ثلاثة عناصر، هي: «عنصر **ذاتي** يتمثل في التعبير عن معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته، وعنصر **موضوعي** يتمثل في الوقائع الخارجية ومن ضمنها الظروف الزمانية والمكانية، وعنصر **ذواتي** ويدل على المعرفة المشتركة بين

(1) بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، المرجع السابق، ص ص39-40.

المتخاطبين»[1]، فمهمة التداولية ذات أبعاد ثلاثية مشتركة بين الذات والموضوع والرابط بينهما والذي تبرره المعاني من خلال القصد من الكلام.

خص "طه عبد الرحمان" نفسه بفضل تأسيس الاصطلاح العربي ((تداولية)) نظير المصطلح ((براغماتية)) في المناخ الفكري اللساني واللغوي خاصة والثقافي العربي عامة بالقول: «لقد وضعنا مصطلح (مجال التداول) أو (المجال التداولي) منذ أول اشتغالنا بالنظر في الممارسة التراثية في مطلع العقد السابع وذلك لحاجة اقتضاها هذا النظر، ومنذ ذلك الحين ما زالت فائدة هذا المصطلح تتزايد في أعين الباحثين الذين تلقوه بالقبول سواء منهم الذين يشتغلون بالتراث أو أولئك الذين يتعاطون الدراسات اللغوية»[2].

بما أن التداولية صنف من المدرسة اللسانية، فإن "طه عبد الرحمان" يقسم اللسانيات إلى ثلاثة أقسام: {

1. **الداليات**: نقصد بها الدراسات التي تختص بوصف- وإن أمكن بتفسير- ((الدال)) الطبيعي في نطقه وصوره وعلاقاته؛ وبهذا تكون ((الداليات)) عندنا شاملة للأقسام الثلاثة المشهورة: الصوتيات، الصرفيات والتركيبيات.
2. **الدلاليات**: هي الدراسات التي تختص بوصف- وإن أمكن بتفسير- العلاقات التي تجمع بين ((الدوال)) الطبيعية و((مدلولاتها)) سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعياناً في الخارج.

---

(1) نقلا عن: بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، المرجع السابق، ص40.

(2) طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993، ص244.

3. **التداوليات**: هي الدراسات التي تختص بوصف- وإن أمكن بتفسير- العلاقات التي تجمع بين ((الدوال)) الطبيعية و((مدلولاتها)) وبين ((الدالين)) بها، وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح ((التداوليات)) مقابلاً للمصطلح الغربي ((براغماتيقا)) لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنى ((الاستعمال)) و((التفاعل)) معاً}[1].

ربما يبدو التعامل مع مصطلح التداولية في سياقه الغربي أكثر مرونة ووضوح، عكس السياق العربي، وهذا يعزى إلى ركيزة جوهرية تتعلق بطبيعة الخطاب الغربي والخطاب العربي وآلياته ومعاجمه اللغوية بين من يضيق فيه المعنى وبين من يتسع ويتجدد ويتمدد فيه، فمثلا الاستعمالات اللغوية في الحقل العربي مرنة وتقاربية ومضبوطة وكثيرة الترادف، عكس البنية اللغوية في الغرب التي طغت عليها الرمزية والقواعد المنطقيةّ، لذلك يُقترح حسب "صلاح إسماعيل" في كتابه ((فلسفة اللغة)): «ترجمة (**Pragmatics**) بعلم الاستعمال بدلا من علم التداول، لأن كلمة تداول لها استخدامات واسعة وشائعة مثل تداول العملة أو تداول الأوراق المالية وغيرها، والوقوف على التمييز الدقيق بين العلمين يسوغ ترجمتي لهذا المصطلح صحيح أن العلمين يهتمان بنقل المعنى من خلال اللغة، وأن التمييز الصارم بينهما من الأمور الخلافية في فلسفة اللغة وعلم اللغة على حد سواء، ولكننا نستطيع أن نعود إلى التمييز المبكر بينهما، والذي وضعه "تشارلز موريس" (**Charles Morris**) أول من ابتكر مصطلح (**Pragmatics**) في قوله:

---

(1) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص28.

علم الدلالة (**Semantics**) يعالج علاقة العلامات... بالموضوعات التي تدل عليها، أما علم الاستعمال (**Pragmatics**) فيخص علاقة العلامات بمفسريها»[1]؛ فالأول يبحث في علاقة الإشارة أو الرمز أو الدلالة بدلالاتها أي البحث في علاقة المحمولات بالموضوعات والثاني يبحث في علاقة العلامات بمعانيها، ومن أجل تحديد خصوصية كل فرع لغوي ومعرفي عن الأخر، خص مؤسس ((التداولية)) بعض الضوابط التنظيمية والعملية الشارحة للبعد المعرفي لكل من الدلالة والتداولية لتفادي الخلط بينهما، وضع "موريس" هذا التمييز في إطار تقسيمه الثلاثي لعلم العلامات (**Semiotics**):

1. «**النحو- التركيب (Syntax)**: وهو دراسة العلاقة النحوية للعلامات (**Signs**) بعضها ببعض.
2. **علم الدلالة (Semantics)**: يدرس علاقات العلامات بالأشياء التي تنطبق عليها العلامات.
3. **علم الاستعمال (Pragmatics)**: يبحث علاقة العلامات بالمفسرين.

وهذا التمييز الثلاثي لعلم العلامات حظي أيضا بتأييد من "رودلف كارناب" (**Rudolf Carnap**) حيث يقول: إذا وضعنا في بحث إشارة واضحة إلى المتكلم أو مستعمل اللغة بصفة عامة، فإننا ننسب هذا البحث إلى مجال علم الاستعمال (**Pragmatics**)... وإذا صرفنا الانتباه عن مستعمل اللغة، وحللنا فقط التعبيرات ودلالاتها، فإننا نكون في مجال علم الدلالة (**Semantics**) وأخيرا، إذا صرفنا الانتباه عن الدلالات أيضا، وحللنا فقط العلاقات بين التعبيرات، فإننا نكون في

(**1**) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2018، ص122.

مجال النحو المنطقي (**Syntax Logical**) ويسمى علم اللغة الكامل الذي يتألف من الأجزاء الثلاثة المشار إليها علم العلامات (**Semiotics**)»[1]، غير أن "موريس" يعترف بفضل جهود "بيرس" قائلا في هذا المجال: إن تصنيفه للعلامات، ورفضه فصل عمليا العلاما الحيوانية والبشرية فصلا كاملا، ونظراته الثاقبة غالبا في المقولات اللوية وتطبيقه لعلم العلامات على قضايا المنطق والفلسفة والفطنة العامة لملاحظاته وتمييزاته، كل ذلك يجعل من عمله علم العلامات مصدرا للتحفيز، فلم نجد له أندادا في تاريخ هذا المجال[2].

كما نجد تعريفاً لسانياً عند "آن ماري دير" (**Mari Diller Anne**) و"فرانسوا ريكاناتي"[*] يكمن في أن: «التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية، وتهتم من هنا عند الأخيرين بالمعنى كالدلالية، وهي تهتم ببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها، ويظهر تعريف إدماجي آخر، تحت ريشة "فرانسيس جاك" (**Francis Jacques**)، إذ تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية معاً، وهكذا تدرك اللغة

(**1**) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص123.

(**2**) تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، المرجع السابق، ص111.

(*) وفرانسوا ريكاناتي (**François Recanati**) (1952): انضم فرانسوا ريكاناتي المتخصص في الفلسفة التحليلية إلى المركز الوطني للبحث العلمي في عام 1979 بعد حصوله على درجة الدكتوراه في جامعة أكسفورد، لقد أمضى حياته المهنية بالكامل هناك وتولى العديد من المسؤوليات (بما في ذلك إدارة معهد جان نيكود من 2010 إلى 2018)، ومدير الدراسات في **EHESS**، كما قام أيضًا بالتدريس في العديد من الجامعات الأجنبية (بما في ذلك بيركلي وجنيف وهارفارد وسانت أندروز)، وتمت دعوته لإلقاء دروس رئيسية ودورات محاضرات في عدة قارات أبرزها: **Pufendorf Lectures, Lund, 2008**؛ محاضرة غاريث إيفانز التذكارية، أكسفورد، 2011؛ ومحاضرات جوتلوب فريج، تارتو، 2014؛ محاضرات كراكوف في فلسفة اللغة، كراكوف، 2018. أنظر: **https://www.college-de-france.fr/fr**

من خلال هذه التداولية، كمجموع شخصي للعلامات التي يتحدد استعمالها من خلال قواعد موزّعة، لأنها تهم مجموع شروط إمكانية الخطاب»[1]، وهناك من فسر الفصل والوصل بين التداولية والدلالة من خلال: «الدفاع عن أطروحات مبسطة تعتبر علم الدلالة مختصا بدراسة المعنى الحرفي، والتداولية مهتمة بدراسة اللغة خلال استخدامها، أو أن علم الدلالة يهتم بمعاني الجمل، بينما تهتم التداولية بمعاني الخطابات (...) "ليفينسون" (1983) يعتبر تعريف علم الدلالة بكونه دراسة للمعنى مغرق في السطحية بقدر تعريف التداولية بأنها دراسة استخدام اللغة، في المقام الأول إذا لم تكن التداولية تهتم بالملامح الدلالية، وبالمعنى فعليها إذن أن تحدد بوضوح أكبر ما هي ظاهر السياق ذات الأهمية في دراسة التداولية، إضافة إلى ذلك عن أي نوع من المعنى نتكلم بمعنى أوسع أي أهو المضمون الاصطلاحي مشتملا على معاني السخرية، المجاز... الخ، أو المضمون الاصطلاحي بمعناه الأكثر حصرية؟ (...) من هنا قد يسعنا أن نميز بين علم الدلالة، الذي قد يكون مجال اهتمامه هو معنى الجمل، باستقلال عن السياق والتداولية التي قد تهتم بمعنى الخطابات بالمعنى المرتبط بالسياق، لكن ليفينسون وصل إلى النتيجة المتمثلة في أن علم الدلالة مشروط بشرطي الصحة/الخطأ، وبالتالي فإن هذين الشرطين لا يمكن تطبيقهما سوى على الخطابات لا على الجمل مع الأفضلية المترتبة على ذلك للتداولية على علم الدلالة»[2].

---

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص03.

(2) فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية: مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل، ترجمة يحي حمداي، ط1، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2014، ص ص37-38.

وضح هذا الاستشهاد الفرق العملي والنظري بين المصطلحين وحصر الفرق بين من مهمته معنى الجمل منفصلة عن السياق وهو عمل علم الدلالة وبين من يشتغل على معنى الخطاب ضمن سياقاته، وهذا محور التداولية ويعود هذا الاختلاف إلى: «علم الدلالة البنيوي (**Semantica Estructural**) الذي ينصب اهتمامه على نظرية المعنى حصرا، وفلسفة اللغة (**Filosofia del Lenguaje**) ذات الميل الأنجلوساكسوني مع مقاربة للقضايا الخاضعة لشروط الحقيقة، تتمسك الأولى بمفهوم للمعنى مجرد من السياق، بينما راح الاتجاه الثاني يكتسب صيغة تداولية بقدر محاولته شرح مظاهر المعنى التي لم تكن لتكتسب دلالة دون اعتبار عناصر أخرى من خارج الجمل، وهذا حال الإشاريات (**Deicticos**) مثلا التي تتطلب معلومات سياقية عن أين، ومتى، وحول من يتم الكلام عنه في لحظة معينة، وفي الجوهر فإن فكرة علم الدلالة التداولي هذه هي ما أدى إلى ابتداع تسمية التداولية الجذرية (**Pragmatica Radical**) التي حاول ممثلوها البرهنة على أن العديد من مظاهر المعنى المعتبرة كجزء من الدلالة الحرفية لعبارة ما، الحقيقة إلى علم الدلالة بل إلى التداولية»[1]؛ المعنى وتجلياته من الداخل وفي الخارج هو محور التداولية.

وعليه هناك فريق من الدارسين والنقاد: «يلخص التداولية في دراسة الآثار اللغوية التي تظهر من الخطاب، وتنظر في عنصر الذاتية للخطاب، ويشمل هذا التداولي ضمائر الشخص ومهيئات الزمان والمكان، وبالنظر في الجاذب الضمني

(**1**) فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، المرجع السابق، ص ص38-39.

والتلميحي والحجاجي للكلام، والسياق يفرض على الباحث احترام مجموعة من قوانين الخطاب في أثناء مخاطبته الآخر، وعدها بعض الباحثين بوصفها؛ الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية ونلمح في هذا التحديد أعطاه المجاز أهمية خاصة، وهو ما تحفل به التداولية كثيراً، لكنه ليس المجال الوحيد الذي تتناوله بالدرس والمعالجة، ورُصد للتداولية تعريف آخر؛ أنها تمثل دراسة تهتم باللغة ي الخطاب، وتنظر قي الوسميات الخاصة به، وينزع هذا التعريف إلى حصر مجال التداولية في الخطاب والابتعاد عن الدراسة التقليدية للجملة»[1].

هذا ما يكشف عن العلاقة التكاملية والوظيفية بينهما في سياق المعنى، وهذا مبدأ وغاية التداولية منذ ظهورها لا تدرس المعنى منفصل بل ضمن سياقاته التواصلية: «وقد تبنت البراجماتية منذ نشأتها بحث علاقة العلامات بمؤوليها في سياق الاتصال ومن ثم اتجهت نحو سياق اللغة الاستعمالي دون دراسة بنية اللغة ونظامها القواعدي وأساليبها، وهو ما يعرف في العرف الغربي بدراسة علاقة الدال بالمدلول وعلاقة الدلالة بقواعد النحو، وعلاقة العلامات بالتركيب النحوي، ولم تدرس علاقة المتكلم باللغة وبالمتلقي خلاف ما يتوهم بعض التداوليين العرب، واكتفت بدراسة استعمال اللغة في السياق، واعتدت بمظاهر التأويل التي يستوعبها السياق الاستعمالي دون السياق اللفظي، فالجملة تحتمل معاني سياقية خارجية، ومن ثم تستعين البراجماتية بمعطيات العلوم الإنسانية التي تساعد في التفسير، وقد

(1) بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، المرجع السابق، ص35.

استوعب البحث العربي المتقدم كل هذه الجوانب دون إقصاء شيء منها، بل اعتمد البنية اللغوية وكل العناصر التي ساهمت فيها من داخل اللغة وخارجها، وسبق المسلمون غيرهم في دراسة السياق والقصد، ولم يفصلوا دلالة السياق اللغوي عن السياق الخارجي، فالأخير بعيّن قصد الأول»[1]، وهذا مفاده التكامل في بناء المعاني وصدقها- كما سبق وأشرنا إليه- ولعل ما يميز التداولية كنظرية مبادئها التي تفصل بينها وبين غيرها من التخصصات اللسانية وتميزها عنهم ويمكن توضيحه في العنصر الموالي.

3- مبادئ التداولية:

من المسلم به أن لا علم أو معرفة يمكن الاعتراف بها والتحقق من مشروعية أهدافها إلا بالنظر والتدقيق في مبادئها وفرضياتها؛ ومن أهم المدارس المعاصرة التي انبثقت من جملة عوامل كالمدرسة التحليلية، المدرسة اللسانية... التداولية التي تعد أكثر التيارات جدلا بين الفلاسفة واللغويين؛ فما هي يا ترى أهم مرتكزاتها النظرية والعملية؟

لإعطاء فكرة عن المظهر التجديدي، بل والجدلي للتداولية نقول بأنها تشكل موضع تساؤل في طرحها عدداً من المبادئ، التي يقوم عليها البحث التداولي، وهي:

- «أسبقية الاستعمال الوصفي والتمثيلي للغة.
- أسبقية النظام والبنية على الاستعمال.

(1) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية): دارسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2012، ص22.

- أسبقية القدرة على الإنجاز.
- أسبقية اللغة على الكلام»[1]، هذا ما يجعل اللغة نظام معرفي وعملي موضوعي إذا: «تعد التداولية، استطالة لسانية أخرى للسانيات التلفظ، التي دشنها بنفنست (**Benveniste**)، إذ إن التمييز الكبير لا يتم أبداً بين اللغة والكلام، ولكن بين الملفوظ الذي يقصد به ما يقال، والتلفظ كفعل القول»[2]، فهي تهتم بالمقصد أو النية من فعل الكلام وأُثره العملي أو الفعلي وليس بسوره اللفظي أو الشكلي كما ساد من قبل في بعض المدارس التقليدية، من جهة أحرى نجد نوع من التبسيط في كتاب التداولية عند علماء العرب كالآتي:

- «دراسة "استعمال اللغة" التي لا تدرس "البنية اللغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة؛ أي باعتبارها "كلاماً محدداً" صادراً من "متكلم محدّد" وموجهاً إلى "مخاطب محدد" ب "لفظ محدد" في "مقام تواصلي" محدد لتحقيق غرض "تواصلي محدد".
- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات»[3].

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص4.
(2) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص4.
(3) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2005، ص ص26-27.

إن هذه المسلمات التداولية وجهان لعملة واحدة، فعملة التداولية تحوي مبادئها النظرية والعملية، مما جعلها تبدو مهاما أكثر منها مبادئ، خاصة أن العقل القارئ تعود على عرف أن المبادئ تكون دائما نظرية أو خارطة نحو استشراف بديل نظري وعملي، إذا الباحث المتفحص في تاريخ التداولية ودلالاتها المعرفية، يقف عند حقيقة لا يختلف فيها عقلين، مفادها أن التداولية ليست نظرية أدبية صرفة ولا فلسفية خالصة؛ بل خلاصة التصور الفلسفي العملي والفعل الأدبي التطبيقي، **الأول** يركز على علاقة التصور بالمعنى وضعيا، **والثاني** يركز على تطابق الدلالة مع المدلول في سياق لساني، «ومن أهم تأشيرات بحوثها في الدرس اللساني السوسيري أن العلاقة بين الدال والمدلول التي شرحها دي سوسير وأوضح أنها اعتباطية، أصبحت علاقة بين الدال وبين بعض تأثيرات بيانه، وقيمة العلامة تصبح قيمة جدالية على الأقل لا قيمة مستقلة ثابتة، نحو مثال سوسير في تشبيه اللّغة بلعبة الشطرنج، فالبيدق- وإن كان لا يحمل قيمته في ذاته- فإنّ قيمته لا تتحدد وخطورته لا تبدو إلا من خلال حركته، وكذلك تتصف قيّم العلامات بالجدلية-»(1)، ولذلك كل سؤال حول جذر القوام للتداولية سيعود بنا إلى عمليات بذر فلسفية يتلاقح فيها المنطق مع التحليل واللغة، لجعل هذه الأخيرة أكثر عملية وعلمية؛ لذلك من الطبيعي أن يكون تفسير معنى التداولية مرتبط بأصولها المنطقية والتحليلية وفلسفة اللغة.

فعلا التداولية كانت عبارة عن خطة عملية للانتقال من البحث في المظاهر اللغوية إلى معانيها وعلائقها الوضعية من خلال تحليل الخطابات اللغوية وربطها

---

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، 2009، ص34.

بسياقاتها الدلالية والتداولية، ولا يمكن تصور ماهية علم ما خارج تاريخيته هو الشأن نفسه للتداولية.

إن تحري المعنى والصدق في فلسفة اللغة وسياقات التداولية لم يكن وليد الصدفة بل أفرزته عدة إرهاصات مركبة، فما هي يا ترى أهم العوامل التي ساعدت على نشأة التداولية وتأسيسها وكانت مصدر مباشر أو غير مباشر لها؟

ثانيا: مصادر التداولية:

ارتبط ميلاد ونمو وتطورالتداولية كمصطلح معاصر بالمناخ الفكري الانجلوسكسوني ونظريات فلاسفة اللغة الأمريكان (علم الاجتماع والبراغماتية، علم النفس...) لكن بشكل متحفظا خاصة: «التداولية بمثابة نظرة انجلوسكسونية بالأساس، وذلك لأسباب ثقافية وتتسم الثقافات الانجلوسكسونية والبروتستانتية بتوجهها إلى الواقعة التداولية (في المعنى التداولي للمصطلح) أكثر من الثقافات الإغريقية اللاتينية والكاثوليكية التي تميل أكثر إلى التجريد (...) إنّ المصادر التداولية تتأتى أيضاً من مناخات ثقافية أخرى (ألمانيا، فرنسا اليونان، إيطاليا...)»[1]، هذا ما ينفي طابع النفعية عن التداولية ويرفعها إلى مستوى العملية العلمية والموضوعية التواصلية اللغوية، غير أن اللغة كظاهرة حضارية وثقافية وإنسانية تشهد انقسام داخل بنيتها انطلاقا من الخلاف حول طبيعتها ووظيفتها، لذلك اختلف العلماء والفلاسفة في وجود لغة واحدة تواصلية تتوقف على اللغة

(1) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص29.

العادية بـل: «الواقـع أن فلـسفة اللغـة حـديثا ميّـزت بـين لغتـين؛ لغـة عاديـة؛ وهـي اللّغـة الطبيعية الجارية كما يتكلمها رجل الشارع، ولغة مثالية صناعية؛ تشتمل عـلى كـل الـشروط المنطقية والنحوية، وقد اختلف الفلاسفة حـديثا مـن داع إلى دراسـة اللغـة الأولى إلى داع إلى دراسة الثانية»[1]، بحيث تتلخص اتجاهات فلسفة اللغة في: «إيضاح القواعد النحوية وأصـول اللغــات الطبيعيــة أو مــا يعــرف ب (الفلــسفة التحليليــة) وتمثلهــا أعــمال "فريجــه"[*]، "هوسرل"، و"رسل"[**]، "فيتغنشتاين"[***]... دراسة أفعال الكلام، حو أعمال "أوستين"، "سورل"؛

---

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القـديم، المرجـع الـسابق، ص32.

(*) فريجه غوتلوب (**Frege Gottlob**) (1848-1925): عـالم منطـق وريـاضي وفيلـسوف ألمـاني، كـان أستاذاً بجامعة يينا من عام 1879 إلى 1918، وفريجه هـو مؤسـسة ذلـك الجـزء مـن الـسيمنطيقا الـذي يـرتبط بمفـاهيم الدلالـة والمعنـى والتعبـيرات اللغويـة. أنظـر: روزنتـال يـودين، الموسـوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص331.

(**) برتراند أرثر ويليام رسل (**Bertrand Arthur William Russell**) (1872-1970): رياضياتي ومنطقي وفيلسوف وعالم اجتماع إنكليزي. من مؤلفاته: مبادئ الرياضيات (1903) وهو أول كتاباته في المنطق، قبل فيه راسل بوجود الأعداد وآلهة هوميروس والعلاقـات، وبوجـود الأوهـام والأمكنـة ذات الأبعـاد الأربعة، وأسس الرياضيات (1903). أنظر: روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العـرب والأجانـب، قدم له الرئيس شارل حلو، مراجعة جـورج نخـل، ج2، ط1، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، 1992، ص ص482-484.

(***) لودفيغ فتغنشتاين (**Ludwig Wittgenstein**) (1889-1951): هو فيلسوف نمساوي من أصـل يهودي درس الهندسة في جامعة برلين ثم في جامعة مانشستر. من مؤلفاتـه: الرسـالة المنطقيـة الفلـسفية (1921)، مباحـث فلـسفية (1950-1958). أنظـر: روني إيـلي ألفـا، موسـوعة أعـلام الفلسفة العرب والأجانب، ج2، المرجع السابق، ص134.

التحليل المنطقي للغة واستبعاد الميتافيزياء أو ما يعرف ب (الوضعية المنطقية)(****)، وتمثلها أعمال "رودولف كارناب":

- البنيوية(*) الفلسفية التي تنطلق من البنيوية اللسانية، ولكنها تضيف إليها الاهتمام بالواقع، وهو اهتمام فلسفي لا لساني.

(****) الوضعية المنطقة: اسم أطلقه بلومبرج وفايجل عام 1931 على الحركة الفلسفية الصادرة عن جماعة فيينا، ويستخدم هذا الاسم في كثير من الأحيان بمعنى غامض مهوش بصدد الحديث عن الفلسفة التحليلية عامة، والأفضل أن يقتصر استخدامه للدلالة على معناه الأصلي، حين يكون مرادفا لما يسمى بالتجريبية "المنطقية" أو "العملية" أو "المتسقة". أنظر: جوناثان ري، وج. أو. أرموسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وآخرون، مراجعة وإشراف زكي نجيب محمود، ط1، المركز القومي للترجمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ص413.

(*) البنيوية (**Le Structuralisme**): ليست البنيوية مدرسة فلسفية أو ميدانا خاصا للمعرفة، بل هي اتجاه فكري أصبح يغزو جميع الميادين. وما هو أساسي في البنيوية يرجع أصلا إلى عالم اللسان فردنان دي سسور (**F. de Saussure**) وكتابه (دروس في الألسنية العامة) سنة 1916. ومن أهم رواد هذا الاتجاه: الاثنولوجي كلود ليفي شتروس (**C. Lévi- Strauss**)، المحلل النفساني لاكان (**Lacan**)، الفيلسوف الماركسي ألتوسير (**Althusser**) والفيلسوف ميشال فوكو (**M. Foucault**).

في أصلها؛ البنيوية هي النظر إلى المشاكل الفلسفية من زاوية المنطق العلمي ومن وجهة نظر علم اللسان. وفي هذا السياق أصبع المنطق. مع فتغنشطاين (**Wittgenstein**) ومن نحا منحاه، يغض الطرف عن معنى القضايا المعيش ويؤكد على بنيتها المنطقية وشكلها العام.

وفي الحقل الألسني؛ بين فردنان دي سسور أنه اللغة نسق يتألف من رموز وعلامات متداخلة، وأنه يجب دراسة عناصر اللغة لا من حيث معناها ومحتواها فحسب بل أيضا من حيث علاقاتها بعضها ببعض داخل النسق اللغوي.

ثم إن البنية اللغوية تفسّر كل الظواهر الأخرى؛ فانطلاقا من النموذج الألسني يمكن دراسة الأنماط الاجتماعية والمؤلفات الأدبية والعادات والتقاليد... الخ. فالإنسان أصبح يدرس انطلاقا من كلامه ولغته، وكما كان يقول أندري مالرو (**A. Malraux**) ليس الإنسان مجموع أفعاله بل هو مجموع أقواله ومجموع جمله. إن المجتمع بأسره (علاقات الأنساب والأساطير البدائية وعادات الطبخ...) يمكن تفسيره وفقا للنموذج اللغوي ووفقا للنسق الألسني. أنظر: جلال الدين سعد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، المرجع السابق، ص ص80-81.

- التيار التأويلي(**) الذي يوسع المدلول إلى أبعد الحدود نحو أعمال: ديتلي، كيمو، هايدغر(***)، جادامير(****)...»(1)، وهذا ما سنعرفه- لاحقا- فكيف ساهمت هذه المشارب في نشأة التداولية وتطورها؟

1- السيمياء البراجماتية (Pragmatic Semiotics):

تقوم نشأة التداولية في الفكر الأمريكي المعاصر ونظرياته العملية التي تحاول كسر طابوهات الفكر المثالي وجعلها أكثر علاقة بالواقع وقضايا الإنسان ومن مقدمات اهتمامات الرؤية المعرفية الأمريكية هو ربط التداولية بفلسفة اللغة أو فلسفة الفعل، ففي «سنة 1938 ميز الفيلسوف الأميركي شارلز موريس (**Charles Morris**) في مقال كتبه في موسوعة علمية، بين متلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي علم التركيب (وبالإجمال النحو الذي يقصر على دراسة

(**) التأويل: علم (الهرمونيطيقا). يمكن أن نشتق من اسم هرمس، رسول الآلهة اليونانية (**Hermeneuein**) التي تعنى "أن تؤول" و(**Hermeneutike**) أي فن التأويل. أصبح مهما بعد حركة الإصلاح الديني، حين احتاج البروتستنت إلى تأويل الإنجيل بطريقة صحيحة. يعزو علم التأويل الوسيط الإنجيل أربع مستويات من المعنى الحرفي، المجازي، الأخلاقي والتمثيلي. غير أن حركة الإصلاح تصر على التفسير الحرفي أو النحوي؟. وعلى دراسة العبرية واليونانية. أنظر: تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف أ إلى حرف ط، ج1، المرجع السابق، ص127.

(***) مارتن هايدغر (**Martin Heidegger**) (1889-1976): فيلسوف ألماني يعتبر عادة أحد مؤسسي الوجودية. أنظر: تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف ظ إلى حرف ي، ج2، المرجع السابق، ص1004.

(****) هانز جورج جادامير (**Hans-Georg Gadamer**) (1900-2002): فيلسوف ألماني كان تلميذا لهيجل، وهو المؤيد المعاصر الأبرز لعلم التأويل. أنظر: تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف أ إلى حرف ط، ج1، المرجع السابق، ص224.

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق، ص ص33-34.

العلاقات بين العلامات) وعلم الدلالة (الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائم بين العلامات وما تدل عليه) وأخيرا التداولية التي تعني في رأي موريس بالعلاقات ومستخدميها»[1]، في نفس السياق "موريس" في تأسيسه للتداولية عام (1938) لم يجعلها مستقلة عن السيمائية بل جزء منها في شقها الأدائي والاستعمالي، إذ أن: «التداولية جزء من السيميائية، التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، وهذا تعريف واسع، يتعدى المجال اللساني (إلى السيميائي) والمجال الإنساني (إلى الحيواني والآلي)»[2]، وهذا يراد به جعل التداولية نظرية عامة تخضع لها جميع العلاقات.

لم يقف الأمر عند جهود "موريس" إذا أخذ هذا التوجه بالبروز منذ أوائل الثمانينيات حين نشر الأمريكيان ستيفن ناب ووالتر مايكلز مقالة عنوانها "ظل النظرية" (1982) وصفا فيها النظرية بأنها؛ محاولة للسيطرة على تفاسير نصوص مختلفة بالاستعانة بنظرية عامة للتفسير، وهذا غير ممكن كما يقول لمؤلفان، لأنه يستحيل التحكم بالممارسة من خارجها، ذلك أن الإنسان، كما يقول ستانلي فش، وهو أحد أشهر أصحاب هذا الاتجاه، واقع دائما ضمن الممارسة والظروف أو مموضع، والنصوص التي تحتاج تفسير وقراءة أكثر تفرد أكبر من أن تحتويها نظرية هيرمينيوطيقية أو تفسيرية واحدة، وممن عرفوا بهذا الاتجاه بالإضافة إلى المشار إليهم أعلاء الناقدان الأمريكيان إيرك دونالد هرش وو.ج.ت. ميتشيل،

(1) آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998، ص29.

(2) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص03.

محـرر كتـاب ضـد النظريـة: الدراسـات الأدبيـة والذرائعيـة الجديـدة (1985)، وكـذلك لفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي(*) والفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتار الذي هاجم النظرية في كتابه الحالة ما بعـد الحداثيـة (1984، صـدر الأصـل 1979) بوصـفها محاولـة للتحكم بما يسميه ليوتار "ألعاب اللغة" التي تؤلف الخطاب»[1].

وإن كانت اللغة قديمة قدم الإنسان غير أن تفسيرها وتطورها يخضع لجملة اعتبارات تتماشى وتطور عقل الإنسان وحاجاته في إيجاد مداخل وظيفية أكثر منها تأمليـة وتأويليـة لقضاياه وتطلعاته خاصة أنه: «من المعروف أن الدراسات التداولية قد ظهرت في الولايـات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عـشر المـيلادي، وتطـورت بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة مباشر، ومن ثم فقد تبلورت النظرية البراغماتيـة مـع وليـام جـيمس (**William James (1842-1912)**) الـذي اهـتم بالجانـب المنفعـي والمـصلحي، حيـث ربـط الفكـرة بطابعهـا المنفعي في الواقع، إذ كان وليام جيمس يربط الفكـر بـالواقع العمـلي والممارسـة الواقعيـة بالتشديد على المصلحة والمنفعـة والإنتاجيـة بغيـة بنـاء مـستقبل عمـلي زاهـر، أمـا شـارل (**Charles 1834-1914**) وساندرس بيرس (**S. Peirce**) فقد اهتما بتداولية سيميائية قائمة

(*) ريتشارد روتي (**Richard Rorty**): فيلسوف أميركي معـاصر ولـد في نيويـورك عـام 1931، شـغل كـرسي الفلسفة في جامعة برنستون، وابتداء من 1983 انتقل إلى قسم الإنسائيات ثم جامعة فرجينيا عمل على تجديد الذرائعية انطلاقاً من تطوير تراث جيمس وديوي. من مؤلفاته الفلسفة ومرآة الطبيعة (1979)، نتـائج الذرائعيـة (1982)، الموضـوعية والنـسبية والحقيقـة (1991). أنظـر: جـورج طرابيـشي، معجـم الفلاسفة (الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون- اللاهوتيـون، المتـصوفون)، ط3، دار الطليـة، بـيروت، 2006، ص226.

(**1**) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص ص167، 168.

على نظام العلامات، حيث ميز بين الرمز والإشارة، والأيقون، وبـدأ في تفريعها إلى أقطـاب سيميائية ثلاثية ذات طابع منطقـي ووجـودي وأنطولـوجي، وبعـده جـاء شـارل مـوريس ليميز بين ثلاثة مظـاهر في اللغـة الطبيعيـة: المظهـر التركيبـي، والمظهـر الـدلالي، والمظهـر التداولي، وبذلك بشر مـوريس بالمقاربـة التداوليـة التـي تعنـى بالوظيفـة الـسياقية، وقـد جاءت هذه المقاربة الوظيفية السياقية رد فعل على منهجية نـوام شومـسكي التـي ترتكـز على التركيب والدلالة، وتقصي الوظيفة الـسياقية، وهـي وظيفـة ضروريـة لاكـتمال الفهـم الحقيقي المتعلق باللغة الإنسانية، على الرغم من أن نوام شومـسكي، فـيما بعـد، سـيدمج القدرة التداولية إلى جانب القدرة الكفائية ضمن نظريته اللسانية التفسيرية التي تـسمى بالنظرية التوليديـة التحويليـة (**Generative Grammar**)»[1]، ومـن بـين العوامـل التـي جعلت التداولية تقترن بالمجتمع الأمريكي وتزدهر فيه نوجز الآتي:

1. **السيمياء البراجماتية**: التي أرسـاها الفيلـسوف الأمـريكي "تـشارلز سـاندرز بـيرس"، وقـد طورها تلميذه "موريس"، ظهرت البراجماتية في أعمال بيرس الفلسفية والسيميائية، فقـد كتب مقالات في المعرفة البراجماتية، وقد ظهر كتابه (وصـف نظـام الإشـارات) في 1870، وظهر كتابه (فلسفة الإشارات) في 1884، وقد تأثر ب "كانت" والمنهج التجريبي في رؤيته الجديدة في الربط بين اللغة والواقع، وقد رأى أن النظام السيميائي عبارة عن مثلث تمثـل **الإشارة فيه الـضلع الأول**، وهـو الـذي لـه صـلة حقيقيـة بالموضـوع الـذي يمثـل **الـضلع**

(1) جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، مكتبة المثقف، المغرب، 2015، ص11.

الثاني المحدد للمعنى الذي يشمل **الضلع الثالث**، فالمعنى عنده إشارة تعود إلى موضوعها الذي أنتج المعنى، وركز بيرس على الوظيفة المنطقية للإشارة خلاف "ديسوسير" الذي ركز على الوظيفة الاجتماعية، وتعد الوظيفة المنطقية جوهر الفلسفة التحليلية، وقد ظهر مفهوم "الفعل اللغوي" في مقال بيرس المشهور "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" الذي نشره في عام 1878، وهو امتداد مقاله "تثبيت المعتقد" الذي نشره عام 1877، وكتب بعد عامين من مقاله "تأثير الأفكار في الأفعال"، وقد عالج مفهوم الأفعال في سبع مقالات بعنوان "محاضرات في البراجماتية"، وقد ربط فيها بين البراجماتية والظواهر الوجودية العينية (**Phinominolgie**)، وذكر أن المعيار الحقيقي للمعنى يجب أن لا يشير إلى الفعل بل إلى الغاية القصوى التي تحكم هذا الفعل»[1].

تجلت فروع التداولية عند "موريس" في تقسيمه علم الرموز إلى ثلاثة فروع هي:

- «**الأول**: علم التركيب (تركيب الجملة **Syntax** أو **Syntactics**): دراسة العلاقة الشكلية بين تركيب الجملة.
- **الثاني**: علم الدلالة (**Semantics**): دراسة علاقة الرموز بالأشياء التي تشير إليها.
- **الثالث**: البراجماتية اللسانية (**Pragmatics**): دراسة علاقة الرموز بمفسري هذه الرموز أو علاقة العلامات بمفسريها، وهذا هو الظهور العلمي الأول لموضوع دراسة البراجماتية اللسانية»[2].

(1) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص ص27-28.
(2) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع نفسه، ص ص29-30.

إذا عندما تطرح السيميائية مفاهيم مثل "علامة"، فإنها لا تتصرف مثل العلم، إنها تتصرف مثل الفلسفة عندما تطرح تجريدات مثل الذات أو الخير والشر أو الحقيقة أو الثورة، الآن، الفلسفة ليست علمًا، لأن تأكيداتها لا يمكن اختبارها تجريبيًا، وهذا الاستحالة يرجع إلى حقيقة أن المفاهيم الفلسفية ليست تعريفات (**Ernie**) لبيانات (أصلانية)، يمكن التعرف عليها سابقًا والتي تعرض حتى الحد الأدنى من التشابه في الشكل أو الوظيفة، الكيانات الفلسفية موجودة فقط بقدر ما تم افتراضها[1]، "فموريس" متأثرا بالبنيوية اللسانية لم يكتفي بوصف استعمال اللغة بل ربط المعنى اللغوي بسياق الخطاب بين الفاعلين اللغويين من خلال الاهتمام بالعلامات ومعانيها بين الشركاء اللغويين داخل المجالات الخطابية من حيث الحوار والتواصل والانجاز.

لقد: «دخلت- قد- على جل ما قام به "بيرسّ" وتلميذه "موريس" فأكدت وأقرت جهودهما الحثيثة في تأسيس وإرساء ركائز التداولية وتعزيزها؛ ومن بعده خلفه من دفع بها إلى الأمام بقوة؛ واصل تلميذه الفيلسوف الأمريكي تشالز وليام موريس (1901-1979) البحث السيميائي، وحقق فيه نتائج جعلته إمامه، وطور البراجماتية اللسانية، وعد مؤسسها الحقيقي، وقد تأثر بالفلسفة التحليلية في دراسة اللغة»[2]، خاصة أن جهودهم تزامنت عصرا وشراكة أو عملا: «قد اشترك موريس مع تشالز بيرس وآخرين في وضع أسس ودارسات موسعة خاصة بمبحث الإشارة

---

(1) Umberto Eco, Semiotics and the Philosophy of Language, Indiana University Press, 1986, p09.

(2) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص29.

"السيميوطيقا"[*] (**Semitic**) وتقسيمها إلى إشارات لغوية وغير لغوية تنقسم إلى علامات، وهذه بذورها تنقسم إلى غيرها مما ساعد على ظهور علم السينمطيقا (علم المعاني) «**Semantics**»[1]، المهمة التي تجعل من التداولية مادة استعمالية ومنهج منطقي يقوم على التفاعل بين العلامة وسياقاتها المركبة؛ «ورأى أن التداولية لا تدرس اللغة المنطوقة وحدها، بل تدرس أيضاً العلاقة بين الرموز أو العلامات المستخدمة وما تشير إليه، وعلاقة العلامات بعضها ببعض، والعلاقة بين العلامات المؤولة ومستخدميها أو مجال الاستعمال، وتعد التداولية أهم إضافة في جهود موريس إلى جانب استحداثه نظام الشفرة»[2]، إن الترميز المستحدث في علم التداولية هو الذي يقدمها كأنموذج معرفي يقارب العلمية في موضوعيتها وتجريبها، فكيف ساهمت الفلسفة التحليلية في تطوير التداولية وجعلها أكثر علمية؟

2- دور فلسفة التحليل في إقامة علم التداولية:

شغلت مسائل اللغة ومقاصدها؛ اللغويين وفلاسفة التحليل اللغوي والمنطقي على حدا سواء، ذلك أن: «الأسئلة التأسيسية التي تطارحها المناطقة قادتهم إلى

(*) السيميوطيقا (علم العلامات): النظرية العامة في العلامات، يميز بيرس بين ثلاثة أنواع من العلامات: الأيقونات التي تشبه الموضوعات التي تعيّن (مثال اللوحات الطبيعية)، والعلامات الطبيعية (مثل السحب التي تدل على المطر)، والعلامات العرفية (مثل الأحمر للخطر، ومعظم الكلمات على الأقل). عادة ما تقسم السيميوطيقا إلى ثلاثة حقول: السيمانتكس الذي يدرس الدلالات، والسينتاكس الذي يدرس البنية (النحوية، السطحية والعميقة)، والبراجمتكس الذي يتعامل مع مقاصد وآثار واتصالات بعد- لغوية. أنظر: تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف أ إلى حرف ط، ج1، المرجع السابق، ص504.

(**1**) تشارل موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، المرجع السابق، ص13.

(**2**) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص31.

مواجهة مشاكل التمييزات التصورية التى تثير تأمل التداوليين وتأويلاتهم، وهكذا، فقد طور "فريجه" (**Frege**) التفريق بين (المعنى) و(المرجع)، فالإحالة تقع خارج اللغة، **إنها ما نتحدث عنه**، أي هو شيء ينتمي إلى العالم الواقعي أو المتخيل، بينما المعنى هو صيغة التعيين التي تبنتها اللغة، ولذلك فهما غير متطابقين، ولقد وقف دي سوسير على أمر الاختلاف القائم بين المتصورين، ولكن لم يكن مسألة المرجع بالنسبة إليه لسانية، بل ما يهم فقط هي مسألة العلاقة بين الدالّ (الكلمة) والمدلول (المفهوم)، وفيما بعد طرحت اللسانيات البنيوية مسألة الصلة بالمرجع، وعلى النقيض من ذلك يرى فريجه أن التحليل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار صيغتين مختلفتين في التعيين من ذلك أن عبارتي (عصير العنب) و(مشروب الآلهة) لهما مرجع واحد يتمثل في (الخمر) في حين أنهما ذاتي معنيين مختلفين إذ ليستا مترادفتين، وقد اقترح "فريجه" إضافة إلى ذلك مبدأين للتحليل الدلالي المنطقي، وهما **مبدأ السياقية** (يجب أن يفحص معنى الكلمات انطلاقاً من السياق الذي تشكله الملفوظات التي تُستعمل فيه) و**مبدأ شرطية الصدق** (معنى الملفوظات يتحدّد تبعاً لشروط الصدق المرجعي)»[1].

بمعنى محاولة تحرير اللغة من ركام الألفاظ المزيف الذي لا يخدم المعنى واستشراف منهج ورؤية عملية تعطي للمعنى دلالاته من خلال معيار الصدق، وقد حملت الفلسفة اللغوية على عاتقها الاهتمام بهذه القضايا اللغوية وغاياتها المنطقية فهي: «تشمل بحوث رواد فلسفة اللغة الطبيعية والفلسفة التحليلية،

(**1**) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص ص38-39.

مقابل مدرسة اللغة الشكلية، وتقوم على دراسة كيفية توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال الإبداع، وتلك هي المنابع التي نشأت فيها التداولية في الواقع، من خلال أعمال الفيلسوف وعالم الرياضيات الألماني (فريجه)، ثم الفيلسوف وعالم الرياضيات البريطاني (راسل)، اللذين طوّرا كثيرا من قضايا الفلسفة التحليلية وهي التي أنتجت فيما بعد الفلسفة الأوستينية في اللغة، من خلال تناولها للقضايا التداولية؛ حيث عولجت الظواهر التي من قبيل الإحالة، والأفعال اللغوية، الاستلزام الحواري...) ثم انتقلت عن طريق الاقتراض إلى حقل الدراسات اللغوية»[1]، ويعود هذا إلى جهود فلاسفة التحليل المعاصر ونذكر منها بإيجاز الآتي:

2-1- إسهامات "غوتلوب فريجه" في الحقل التداولي:

يعتبر "غوتلوب فريجه": «أحد آباء المنطق الحديث وأحد آباء تحليل اللغة، لقد طور نظرية تنسب إلى كل عبارة وإلى كل صيغة أو جملة شيئين اثنين: المعنى والإحالة أو الدلالة»[2]، وهذا ما يعكس تشريح "فريجه" للغة كظاهرة لها سياقها الخارجي ومكنوناته الداخلية التي تحدد مستويات اللغة من حيث المبنى (الصيغ اللغوية والتراكيب) والبناء (المعاني والمدركات اللغوية) والهدف (واقع اللغة وتجسدها كدلالة محققة أو متحققة ماديا)، هذا ما عالجه فريجه في تحليل: «لغة

---

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق، ص50.

(2) بيار كونزمان وآخرون، أطلس– **Dtv** - الفلسفة، ترجمة جورج كتورة، ط8، المكتبة الشرقية، لبنان، 1991، ص219.

التداول، وكانت مقالته "حول المعنى والدلالة" من أكثر المقالات دراسة للغة وصلتها بالمنطق فقد تناول الأسماء والعبارات والقضايا وهى تمل بلا شك جزءاً أساسياً في علم المنطق، فإذا أهملنا دور الشخص المتكلم والانطباعات النفسية التي قد تثيرها اللغة عند استعمالها، فإننا نميز ثلاثة مستويات تكون أساساً للدراسة المنطقية، وهذه المستويات هي:

1. «مستوى الرموز والصيغ والتراكيب والأشكال وتتجلى في هذا المستوى الناحية الصورية للغة من دون أن يكون للمعنى دور رئيسي فيها.
2. مستوى المعنى وتتجلى في هذا المستوى الناحية الفكرية للغة وارتباط الأفكار بالرموز والصيغ والأشكال.
3. مستوى الدلالة، وتتجلى فيه الناحية الشيئية أو المأذية التي تشير إليها العبارات اللغوية المختلفة فهي- أي الصفة الشيئية- ليست في اللغة ذاتها، بل خارجة عنها»[1].

ولتوضيح مهمته المنطقية في التأسيس للغة بديلة عن اللغة العادية عمد إلى استعارة أدوات فلسفية لها خصوصية بغيره من معاصريه مثل "ليبنيز" (**Leibniz**) وفكرة الاستبدال (**Substitution**) بحيث تصبح العملية وظيفية وذات معنى وصدق: «استعار فريجي مبدأ "الاستبدال"، تعتبر الأشياء متماهية حين تستطيع استبدال أحدها بالآخر، دون أن يتغير شيء في الحقيقة (**Salva Veritate**)، فإذا عمدنا مثلا إلى استبدال مكون أساسي لتعبير ما بآخر على أن يكون له الإحالة

---

(1) محمد عزمي نظمي إسلام، المنطق الصوري والرياضي: دراسة تحليلية لنظرية القياس وفلسفة اللغة، ط1، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 2002، ص243.

عينها، فإن المعنى يتغير، لكن الإحالة تظل كما هي، إن إحالة الجملة هي إذا قيمة صدقيتها (أي صحيحة أو خاطئة)، أما معنى الجملة فهو الفكرة التي تعبر عنها؛ تختلف الأفكار حين يعتبر أحدهم بعضها صحيحا والبعض الآخر خطأ، وبحسب مثال فريجي أن لنجمة الصباح معنى يختلف عن المعنى الذي يعطى لنجمة المساء، علما أن لهما الإحالة عينها (كوكب الزهرة)، كذلك تعبر العبارتان "طلعت نجمة الصباح" أو "طلعت نجمة المساء" عن أفكار مختلفة (خاصة بالنسبة إلى شخص يجهل أن المعني بذلك هو كوكب الزهرة)؛ إن إحالتهما متماهية، فإذا كانت الأولى صادقة تكون الثانية أيضا صادقة، وإذا كانت إحداهما كاذبة تكون الثانية كاذبة أيضا»[1]، تجلت تمظهرات التحليل المنطقي للغة وفق النظام الفريجي في عدة مرتكزات من شأنها إخراج اللغة من ثوبها العادي وتوطينها ضمن كيان منطقي ومثالي وتكييفها للتداول العام ويتوقف تحقيق هذا المقصد على مدى مراعاة هذه الأساسيات الموضوعية منها:

أ. «تحليل لغة التداول والاستفادة من المقومات أو الأفكار والروابط المنطقية الموجودة فيها، مع بيان عدم صلاحيتها لأن تكون لغة علمية دقيقة.

ب. تعريف المفاهيم والأفكار المستخدمة في المنطق والرياضيات ووضع القواعد الخاصة بالتعريف.

ج. كشف القوانين والمبادئ الأساسية فى الرياضيات وبيان كيفية الحصول عليها من الأفكار والروابط والعلاقات المنطقية عن طريق تركيبها في صيغ هي أما

---

(1) بيار كونزمان وآخرون، أطلس– Dtv- الفلسفة، المرجع السابق، ص219.

بديهيات أو قوانين استنتاجيه ولغة التداول هي مليئة بالأخطاء ولـذلك يـسعى غـيره من المناطقة لتأسيس لغة صناعية رمزية»[1].

فقد «طوّر غ. فريجه (**G. Frege**) وهو فيلسوف ورياضي ألمـاني عـاش بـين سـنة 1848 وسنة 1925، ثم ب. رسل (**B. Russel**) وهو فيلـسوف وريـاضي بريطـاني عـاش بـين سـنت 1872 و1970، النظريــة الفلــسفية التــي تُــدعى "منطقويــة" (**Logicisme**) واســتهدفت المنطقوية بشكل تبسيطيّ إعادة تأويل الرياضيات باعتماد مبادئ منطقية صرفة (مـن دون مُسبقات **A Priori** مستقدمة من الفيزياء) وأوّل نتيجة للمنطقويـة أنّهـا فـضّلت الفلـسفة التحليلية على النظريات التي يمكن تسميتها ب "التأليفية"، والحـال أن الفلـسفة الأوسـتينية للغة، إنّما تولدت عـن الفلـسفة التحليليـة، وبـين فريجـه وأوسـتين تتموقـع أعـمال لودفيـغ فيتغنشتين التي ستقود إلى نشأة التداولية، إضافة إلى أن أعمال فريجـه سـتؤدّي إلى الفـصل الواضح للغة العلمية عن اللغة العادية، فـالأولى ضروريـة في البرهنـة الحـسابية، ويجـب أن تكون أحادية المعنى صريحة، وليس لها من هدف سوى وضـع حقيقـة، أمـا اللغـة العاديـة فيجب أن تكون متعدّدة المعاني كي تتمنّـع بـثراء الممكنـات التـي تهِيـئ لهـا تأديـة وظائفهـا التواصلية، بالشكل الملائم، وبالمرة فقد وضع "غ. فريجه" حجر الأساس لعلـم الدلالـة، ومـن ورائها التداولية وذلك بمفهمته الـروابط الدلاليـة/الموضـوعية والتواصـلية، إن مـسألة تعـدّد المعنى (**Equivocité**) ووظائف اللغة العادية التي تمثل صُعوبة من وجهة النّظر المنطقيّـة، هي التي نشّطت أعمال أوستين»[2].

(**1**) تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف ظ إلى حرف ي، ج2، المرجع السابق، ص241.

(**2**) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص ص29-30.

خاصة أن مشكلة المعاني من وراء الاستعمال اللغوي نالت من اهتمام الباحثين على مختلف تياراتهم ومدارسهم حصة الأسد، إذا يعتبر "غوتلوب فريجه": «أحد آباء المنطق الحديث وأحد آباء تحليل اللغة، لقد طور نظرية تنسب إلى كل عبارة وإلى كل صيغة أو جملة شيئين اثنين: المعنى والإحالة أو الدلالة»[1]، وهذا ما يعكس تشريح "فريجه" للغة كظاهرة لها سياقها الخارجي ومكنوناته الداخلية التي تحدد مستويات اللغة من حيث المبنى (الصيغ اللغوية والتراكيب) والبناء (المعاني والمدركات اللغوية) والهدف (واقع اللغة وتجسدها كدلالة محققة أو متحققة ماديا)، هذا ما عالجه فريجه في تحليل: «لغة التداول، وكانت مقالته "حول المعنى والدلالة" من أكثر المقالات دراسة للغة وصلتها بالمنطق فقد تناول الأسماء والعبارات والقضايا وهى تمثل بلا شك جزءاً أساسياً في علم المنطق، فإذا أهملنا دور الشخص المتكلم والانطباعات النفسية التي قد تثيرها اللغة عند استعمالها، فإننا نميز ثلاثة مستويات تكون أساساً للدراسة المنطقية، وهذه المستويات هي:

1. «مستوى الرموز والصيغ والتراكيب والأشكال وتتجلى في هذا المستوى الناحية الصورية للغة من دون أن يكون للمعنى دور رئيسي فيها.
2. مستوى المعنى وتتجلى في هذا المستوى الناحية الفكرية للغة، وارتباط الأفكار بالرموز والصيغ والأشكال.
3. مستوى الدلالة، وتتجلى فيه الناحية الشيئية أو المأذية التي تشير إليها العبارات اللغوية المختلفة فهي- أي الصفة الشيئية- ليست في اللغة ذاتها، بل خارجة

---

(1) بيار كونزمان وآخرون، أطلس– **Dtv** - الفلسفة، المرجع السابق، ص219.

عنها»[1]، تجلت صور التحليل المنطقي للغة وفق النظام الفريجـي في عـدة مرتكـزات من شأنها إخـراج اللغـة مـن ثوبهـا العـادي وتوطينهـا ضـمن كيـان منطقـي ومثـالي وتكييفهـا للتـداول العـام ويتوقـف تحقيـق هـذا المقـصد عـلى مـدى مراعـاة هـذه الأساسيات الموضوعية منها:

- «تحليل لغة التداول والاستفادة من المقومات أو الأفكار والروابط المنطقية الموجـودة فيها، مع بيان عدم صلاحيتها لأن تكون لغة علمية دقيقة.
- تعريف المفاهيم والأفكار المستخدمة في المنطق والرياضيات ووضع القواعـد الخاصـة بالتعريف.
- كشف القوانين والمبـادئ الأساسـية فى الرياضـيات وبيـان كيفيـة الحـصول عليهـا مـن الأفكار والروابط والعلاقات المنطقية عن طريق تركيبها في صيغ هي أمـا بـديهيات أو قوانين استنتاجيه، ولغة التداول هي مليئة بالأخطاء ولذلك يسعى غيره من المناطقـة لتأسـيس لغـة صـناعية رمزيـة»[2]، هـذا الهـدف كـان مـسعى في مـشروع "راسـل"في التخطيط للغة متكاملة.

2-2- إسهامات "راسل" في الحقل اللغوي التداولي:

أكدت الدراسـات النقديـة المعـاصرة أن الفلـسفة التحليليـة شـكلت منعطفـا محوريا داخل الدرس اللغوي ومن خلال فلـسفة اللغـة فـرق "راسـل: «بـين اللغـة العادية الغامضة والقاصرة عـلى أداء مهـام المعنـى: واللغـة المثاليـة... (**Ideal**) أو

(**1**) محمد عزمي نظمي إسلام، المنطق الصوري والرياضي، المرجع السابق، ص243.
(**2**) تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف ظ إلى حرف ي، ج2، المرجع السابق، ص241.

اللغــة الــصناعية (**Artificial**) أو اللغــة الكاملــة منطقيــاً... (**Logically Perfect Language**) ولم يمثل هذا الموقف وحده في القرن العشرين بـل كـان معـه فتجنـشتين في "نظرية الذرية المنطقية" (**Logical Atomism**) لم تكن جهودهم نسخ وتطابق بـل كـل واحد عبر عن رؤيته في عمل تم نشره بعد جهد 20 سنة، بحث ولمدة عشرين عاماً تقريباً، ثم تبين لهما خطأ النظرية، بل تبين لها أن مشروع إقامة اللغة المثالية عمل مـستحيل»[(1)]، هذا ما أعاد للغة وتداولها أهميتها العمليـة والعلميـة: «إذا تعـد فلـسفة برترانـد راسـل مرحلة مهمة في تـشكيل البراجماتيـة اللـسانية، فقـد ربـط الـوعي بالمـدركات الحـسية أو الخبرات الحسية، حيث أكد على ضرورة عدم فصل الـوعي عـن مثـيرات العـالم الخـارجي، وهذا يتطلب دخول هذا الإنسان في علاقة مع العالم الخارجي، ليكتـشفه لذاتـه ولأفكـاره ولعواطفه، ويتجلى في هـذه اللحظـة التـي يكتـشف فيهـا العـالم رد الفعـل الحقيقـي»[(2)]، فالوعي عبارة عن ردود أفعال الإنـسان تجـاه المحـيط الخـارجي، وهـذا يعنـي أنـه طاقـة تميز الإنسان عن الجماد، وأكد "راسل" على ارتباط الوعي الحقيقـي باليقظـة، ولا يتحقـق من الحالة التي يغيب فيها عن عالمه أثناء النوم أو غيره، فهو قائم في الواقع، وأكـد كـذلك على ضرورة الانتباه إلى أثر اللغة في الوعي، يـرى "راسـل": «أن العـالم مؤلـف مـن وقـائع، والواقعة هي ذلك النوع مـن الـشيء الـذي يجعـل القـضية صـادقة أو كاذبـة، ولا نقـصد بالواقعة إذا ما تشير إليـه كلمـة أو اسـم فقـط، فالاسـم "أفلاطـون" مـثلا لا يمثـل واقعـة،

(**1**) محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ط1، دار النهضة العربيـة للطباعـة والنـشر، بـيروت، لبنـان، 1985، ص30.

(**2**) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص ص55-56.

وذلك لاختلافها عن المفرد من الأشياء، كما أن هـذا الاسـم لا يـشير إلى واقعـة، لأنـه لـيس قضية، فالوقائع إذا هي ما تشير إليه القضية، ويعبر عن هذه الوقـائع بعبـارات لغويـة أو قضايا وتختلف الوقائع كذلك، إضـافة إلى اختلافهـا بالنـسبة للعلـوم، مـن حيـث تركيبهـا، فلدينا وقائع فردية ووقائع عامة، كما توجد وقائع موجبه وأخرى سالبة، فـإذا قلنـا "هـذا كتـاب" و"كـل إنـسان فـان" فإننـا أمـام واقعتـين: الأولى فرديـة والثانيـة عامـة، وإذا قلنـا "أفلاطون يوناني" و"أفلاطون غير يوناني"، فإننا نريد بالقضية الأولى واقعة موجبة وبالثانيـة واقعة سالبة. وعلى الرغم من اعتقاد رسل بوجود وقائع سالبة، إلا أن المـسألة بحـد ذاتهـا معقدة وغامضة لا يمكن التسليم بها بهـذه البـساطة، وذلـك لـسبب ثابتـا، فنحـصل عـلى قضايا يتغير فيها الموضوع، كما يمكننا تغيير المحمول وإبقاء الموضوع ثابتـا، فنحـصل عـلى قضايا يتغير فيها المحمول»[1]؛ خاصة أن للغة حسب رأيه جهاز ونظـام غـير منـسق، ومـن ثم يميز بين نوعين من اللغة؛ لغـة مرشـدة تمكـن الإنـسان مـن فهـم طبيعـة العـالم الـذي نتحدث عنه، ولغة مضللة وخدّاعة للتفكير.

فقد كان "رسل" بحاجة لأن يتخذ من «المنهج العلمـي دعامـة أساسـية لفلـسفته التحليلية (**Analytical Philosophy**)، فالفلسفة بالنسبة لـه نـشاط وحركـة دائمـة، مـن خـلال هـذا النـشاط يمكـن للفلـسفة أن تعكـس لنـا بمنظارهـا الخـاص النتـائج (**Results**) التي تصل إليها العلوم التطبيقية، وذلك عن طريق محاولة إيجـاد وسـيلة ملائمـة لمعالجـة مـشكلات العلـم، إذا كـان لنـا أن نـصف فلـسفة "رسـل" بأنهـا ذات

(**1**) محمد عزمي نظمي إسلام، المنطق الصوري والرياضي، المرجع السابق، ص ص236-237.

طابع علمي، فإن وصفنا هذا لفلسفته إنما ينبع من قوله بأنه يمكـن للفلـسفة أن تؤسـس ذاتها على أساس من العلم بصورتين: فهي إما أن تؤكد نتائج العلم الأكثر عمومية، وتحاول أن تضفي عليهـا طابعـاً أكـثر عموميـة وجـدة؛ أو أن تـدرس منـاهج (**Methods**) العلـم، وتبحـث عـن إمكانيـة تطبيقهـا بعـد إدخـال التعـديلات الملائمـة عليهـا والتـي تناسـب اهتماماتها، فما يمكن نقله من دائرة العلوم الخاصة إلى دائـرة الفلـسفة إنمـا هـو المنـاهج ذات الفائدة لا النتائج»[1].

فهو المنهج الذي يؤصل للمعارف والعلـوم رغـم الاعتراضـات التـي واجهـت التحليـل كمنهج غير يقيني للمعرفة والحقيقة: «منـذ أقـدم الأزمنـة حـصل أن اعـترض الكثـير مـن الفلاسفة على التحليل: فقد رأوا أن التحليل تزييف، وأن الكل، أي كل لا يتألف من أجـزاء منظمة بشكل مناسب، وأننا إذا ذكرنا أي جزء بمفـرده، فـإن فعـل الفـصل يغـيره، وأن مـا ذكرناه ليس ما كان جزءاً عضوياً من الكل، وإن مبدأ الذرية الذي كنا قد بحثنـاه في فـصل سابق يمثل الطرف المضاد لطرف القائلين بمبدأ واحد، ويمكن القول، إن مبدأ الذريـة يمنـع التركيب، ولغويا هو يمنع إضفاء أسماء علم على الكليات المركبة، عندما تعرف أنهـا مركبـة ومن جهتي أقول إني أرفض هذين الطرفين، إن الذين ينفـون مـشروعية التحليـل ملزمـون بـالقول بوجـود معرفـة لا يمكـن التعبـير عنهـا بكلـمات، وأنـه تبعـاً لـذلك، يمكـن تحليـل المنطوقات المؤلفة من جمل إلى سلسلة من المنطوقات اللفظية، وإذا كان لابـد مـن نفـي ذلك، فيلزم نفي أن تكون الجملة عقداً من الكلمات، وفي هذه الحالـة تـصير شـيئاً يفـوق

(**1**) برتراند راسـل، فلـسفة الذريـة المنطقيـة، ترجمـة مـاهر عبـد القـادر محمـد، (د.ط)، دار المعرفـة الجامعية، مصر، 1998، ص ص12-13.

الوصف»[1]، وهذا يعني أن المثالية تنظر للأشياء مـن داخلهـا بـشكل مركـب، الواقعيـة تجعل من تحليل اللغة وسيلة لفهم العـالم الخـارجي، لـذلك ميـز "راسـل: «بـين اللغـة العادية الغامضة والقاصرة على أداء مهام المعنى: «واللغـة المثاليـة... (**Ideal**) أو اللغـة الصناعية (**Artificial**) أو اللغة الكاملة منطقيـاً... (**Logically Perfect Language**) ولم يمثل هذا الموقف وحده في القـرن العـشرين بـل كـان معـه فتجنـشتين في "نظريـة الذرية المنطقية" (**Logical Atomism**) لم تكن جهودهم نسخ وتطابق بل كل واحـد عبر عن رؤيته في عمل تم نشره بعد جهد 20 سنة، بحث ولمدة عشرين عاماً تقريباً، ثم تبين لهما خطأ النظرية، بل تبين لها أن مشروع إقامة اللغة المثالية عمـل مـستحيل»[2]؛ لكنهما اتفقا في الخطوط الرئيسية للموقف الفلسفي، أعلن رسل نظريتـه في مجموعـة محاضرات بعنوان "فلسفة الذرية المنطقية" عام (1918) ونـشر فتجنـشتين نظريتـه في أول كتبه "مقال فلسفي منطقي عام (1921)»[3]، خاصة أن "راسل" يعول عـلى المعـاني الحقيقية التي تحملها اللغة في التعبير عن قـضاياها بـشكل واقعـي ومنطقـي: «كنـت اعتبر اللغة شيئا شفيفا، أو وسيطا (يقوم بيننا وبين الوقائع) يمكننـا أن نـستخدمه دون أن نغيره التفاتاً، فأما فيما يتصل ببنية اللغة، فقد اضطرتني المتناقضات التي نـشأت في المنطق الرياضي إلى التسليم بقصور هذا الرأي، أما بالنسبة لمفردات اللغـة، فقـد ثـارت المشكلات اللغوية في وجهي، عندما أردت أن أبحث إلى أي حد يكون التفـسير الـسلوكي

(**1**) برتراند راسل، بحث في المعنى والصدق، ترجمة إسماعيل حيدر، مراجعة المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2013، ص ص483-484.

(**2**) محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص30.

(**3**) محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، المرجع نفسه، ص30.

للمعرفة، وكان لزاماً على- نتيجة لهذين السببين- أن أوجه اهتماما أكبر مما كنت أفعل من قبل إلى الجوانب اللغوية من عملية المعرفة، لكنني لم أستطع أن أشعر بأدنى تعاطف مع أولئك الذين يعتبرون اللغة مجالا مكتفياً بذاته لأن الصفة الجوهرية في اللغة، هي أن لها معنى، أي أنها مرتبطة بشيء آخر غيرها، وهذا الشيء- بوجه علم- غير لغوى»[1]، يرفض "راسل" أن ينحو منحى غيره في ربط اللغة بالنواحي السيكولوجية ويحاول ربطها بالجانب المعرفي والابستمولوجي من خلال رموز رياضية ومنطقية أكثر دقة في التعبير عن المسمي "راسل" لغته بعدة أسماء منها: اللغة الكاملة المنطقية واللغة المنطقية الكاملة واللغة المنطقي المثالية[2].

لذلك ركزت نظرية الذرية المنطقية عند "راسل"على اللغة الصناعية لا اللغة العادية ومنه: «لا يمكننا فهم أي تعبير لغوي إلا إذا كان يشير إلى خبرة حسية لنا، فإذا لم نعرف الأشياء في حدود خبراتنا الحسية؛ فلن تكون لنا وسيلة لمعرفة أي شيء، بل لن تكون لنا وسيلة للحديث عنها، وليس هذا عجباً، فكل الفلاسفة- على اختلاف أمزجتهم الفكرية- يبدؤون مما هو معروف مباشرة، يبدأ الفلاسفة التجريبيون من أفكار تجريبية، ويبدأ الفلاسفة المثاليون من واقعة تجريبية واحدة على الأقل وهي أن شيئاً ما موجود، وليكن وجوداً نفسياً، ثم يحاولون البرهان على قضايا أخرى، وتفعل الذرية المنطقية نفس الشيء حين نرى أن أي شيء في

---

(1) برتراند راسل، فلسفتي كيف تطورت، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، تقديم زكي نجيب محمود، ط1، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة، مصر، 1960، ص07.

(2) محمد مهران رشوان، فلسفة برتراند راسل، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1976، ص372.

العالم يجب أن يقوم على ما هو معطي»[1]؛ تبدو القضايا مشتركة لكن طرق تحليليها والبرهنة عليها مختلفة؛ مما يجعل وسائل التعبير عنها ذات طبيعة مختلفة.

بناءا على تلك الاتجاهات المختلفة- المذكورة أعلاه- تعالج الذرية المنطقية المواقف الثلاثية الآتية:

1. «اسم العلم المنطقي حد التحليل أي أنه الحد الذي يقف عنده التحليل ولا يمكن تحليله.
2. مشكلة القضية العامة أو القضية الكلية والخلاف على تحليلها.
3. اللغة تصوير دقيق للواقع أو أن هنالك مطابقة تامة بين تركيب القضية التجريبية وتركيب الواقعة التي تدل عليها»[2].

وفي سياق التعبير اللغوي يصرح "راسل" قائلا: «وأدت بي نظريتي في العبارة الوصفية إلى تناول مشكلة المدلول والمعنى- وهنا أريد أن تنحرف كلمة "المدلول" للألفاظ المفردة، وكلمة "المعنى" للعبارات- وإنها لمشكلة معقدة، فتناولتها بالبحث في كتابي "بحث في المدلول والصدق" عام (1940) وكان لابد أن يسوقني البحث إلى علم النفس، بل إلى علم وظائف الأعضاء؛ فإنني كلما ازددت تفكيرا فيها قئ اعتقادي بأن المنطق مستقل بذاته تمام الاستقلال، ولما كان المنطق- في رأيي- علما أبعد تقدما وأكثر دقة من علم النفس، كان خيرا لنا بالبداهة أن نلجأ إلى المنطق في حل مشكلاتنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وما

(1) محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص32.
(2) محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، المرجع نفسه، ص33.

أمكن بحده بطرائق المنطق لا ينبغي أن نلجأ فيه إلى علم النفس مثلا... ها هنا أدركت أن نصل "أوكام"(*) وسيلة منهجية مفيدة»(1)، فهو يطبق نهج "أوكام" ويفضل ويختار المنطق دون غيره لدقته وخصوبة معانيه؛ وعلى أساس التفريق بين اللغة التي تشير إلى واقعة معينة بوصفها اللغة الأساسية، واللغة التي تتحدث عن اللغة (مثل عبارة إن عبارة السماء تمطر عبارة عربية) بوصفها لغة وراء اللغة، واللغة التي تتحدث عن اللغة التي وراء اللغة، يضع "رسل" معياراً دقيقاً للتمييز بين العبارات الدالة على معان، والعبارات الفارغة من أي معنى، وكان "رسل" حتى عام 1920 من القائلين بالثنائية أي بوجود العقل والمادة، لكنه فيما بعد اقتفى خطى "وليام جيمس" ونادى بمذهب الأحادية المحايدة، وذهب إلى أن

(*) أوكام (**William of Occam**): فيلسوف ولاهوتي انجليزي، ولد في أكهام (**Ockham**) في جنوبي انجلترا بين سنة 1295 وسنة 1300، وتوفي في منشن (ميونخ، جنوبي ألمانيا) حوالي سنة 1350. فأصدر عفوا عن كام لكن ليس لدينا أخبار عن أوكام منذ سنة 1349. أنظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المرجع السابق، ص ص252-253.

في المرحلة الأولى ألّف: "شرحا على كتاب الأقوال" صدره بمقدمة. و"سبع مساجلات" (**Quodlibeta**) سجل المناقشات التي جرت بينه وبين الطلاب في أكسفورد. "العرض المذهبي لكل الفن القديم" وهو كتاب "إيساغرجي" لفورفوريوس و"والمقولات". و"موجز الكتاب الطبيعة" لأرسطو. "القضايا المئة اللاهوتية".

وإلى المرحلة الثانية تنتسب مؤلفاته التالية: "سفر المائة يوم" وعنونه بهذا العنوان لأنه ألفه في تسعين يوما، وفي تسعين يوما وفيه يدافع عن آراء الفرنشيسكان في مسألة فقرة المسيح ويفند رسائل البابا يوحنا الثاني والعشرين، في هذا الشأن، "في عقائد البابا يوحنا الثاني والعشرين" يدور حول تفنيد بعض آراء البابا حول "الرؤيا الطوباوية"، وهي آراء: أراد بها البابا التقريب ما بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية تمهيدا لتوحيدها.

وإلى الفترة الثالثة ينتسب كتاب: "ضد يوحنا الثاني والعشرين: خلاصة أخطاء البابا". وفيه يحاول أن يثبت أن البابا يوحنا الثاني والعشرين مات هرطيقا. "وكتاب الحوار بين المعلم والتلميذ" وفيه يبرر عزل الإمبراطور لودفج للبابا يوحنا الثاني والعشرين. أنظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المرجع السابق، ص253.

(**1**) زكي نجيب محمود، برتراند رسل، (د.ط)، مؤسسة هنداوي، مصر، 1960، ص21.

العقل والمادة بمنزلة تركيبات (بنايات) منطقية استمدت من معطيات لا هي بالعقلية ولا هي بالمادية، ولكنها محايدة، هي مادة التجربة تتجمع في تركيب معين وتترابط تبعاً لقوانين السيكولوجية وتساعد على تكوين العقول، ولكنها عندما تترابط تبعاً لقوانين الفيزياء تكون الأشياء[1]، غير أن "راسل" كما- سبقت الإشارة إليه- لم يهتم بالجانب السيكولوجي بل بالوقائع الذرية لجعل اللغة ذات معنى معرفي وليس نفسي أو اجتماعي.

كما يرى "راسل": «أنه ليس أجدر بالفيلسوف من المفردات اللغوية، حيث إن الألفاظ المستخدمة عادة في اللغات الطبيعية غامضة وملتبسة ومن هنا فإن على الباحث الفلسفي أن يحدد معانيه، وان يحرص باستمرار على فهم المعاني الدقيقة التي تستخدم فيها الألفاظ حيث ترد على قلم هذا الفيلسوف أو ذاك، ولذا فقد ظل راسل يفرق بين مظهرين مختلفين للغة: مجموع مفرداتها من جهة وتركيبها أو بنائها من جهة أخرى. الجمل والقضايا هي العبارات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها إلى قضايا أو جمل اصغر منها، أما الذرات في مستوى الكلمات فهي الوحدات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها إلى كلمات اصغر منها، فهو يبحث عن الذرات أو الأوليات التي تتألف منها المعرفة ثم يحاول بناء اللغة والمعرفة»[2]، ولأن الفلسفة المعاصرة تجاوزت النسقية (السستام) المغلق كما هو شأن الفلسفة التقليدية والحديثة؛ نحو الانفتاح والكثير من المتغيرات: «فليست مهمة الفلسفة

(**1**) علي مولا، قصة الفلسفة من البداية إلى يومنا، (د.ط)، منشورات مكتبة علي مولا الرقمية، 2023، ص275.

(**2**) برتراند راسل، فلسفتي كيف تطورت، المصدر السابق، ص21.

بناء نسق فلسفي على طريقة الفلاسفة القدامى، بل دراسة الكون والتعرف عليه بمنهج علمي، وفهمه باصطناع اللغة المناسبة، وقد وجد "راسل" هذه اللغة بتطبيق المنطق الرياضي أو الرمزي على اللغات الطبيعية، وباصطناع نظرية الصورة المنطقية، وبذلك قضى على العبارة المنطقية التقليدية، التي تنقسم إلى موضوع ومحمول والتي كانت السبب في إخفاء البناء المنطقي لعبارة، وفي تخبط الفلاسفة في متاهات الميتافيزيقية، فمهمة المنطق الرياضي هي تحويل العبارات من لغتها الطبيعية إلى صورة منطقية تجعلها واضحة ومفهومة لا تحتمل البس، فالمنطق هو صميم الفلسفة، والمشكلة إن لم تكن منطقية فهي ليست فلسفية، ومهمة المنطق خلق اللغة المثالية التي تحل المشكلات»[1]، وهذا ما جعل الفلسفة المعاصرة تشهد منعطفا لغويا هاما؛ **يشير "راسل" في كتابه "فلسفتي كيف تطورت" إلى المنعطف الفلسفي والعلمي الذي اختاره من خلال تبرأه من دوغما المثاليات:** «على أنني بعد أن أنجزت كل ما قصدت إليه في ميدان الرياضة البحتة- بدأت أفكر في العالم الفيزيقي، فكان أن اهتديت تحت تأثير وايتهد (**Whitehead**) إلى حد كبير- إلى تطبيق جديد لنصل "أوكام"، الذي أوقفت عليه مجهودي لنفعه في فلسفة الحساب، فقد أقنعني "وايتهد"، بأننا نستطيع أن نقيم الفيزياء دون اعتبار النقاط واللحظات جزءاً من مادة العالم، إذ أنه كان يرى وقد وافقته على ذلك- أن مادة العالم الفيزيقي يمكن أن تتكون من حوادث، يشغل كل منها حيزا متناهياً من المكان الذي هو زمان وكما يحدث في كل استعمال لنصل

(**1**) علي مولا، قصة الفلسفة من البداية إلى يومنا، المرجع السابق، ص274.

أوكام، لم أكن مضطراً إلى إنكار وجـود الكائنـات التـي كنـت اسـتغنى عنهـا، لكـن كـان في إمكاني أن أمتنع عن إثباتها، وقد كان من مزايا نصل أوكام، أنـه يقلـل مـن الفـروض التـي يتطلبها تفسير أي فرع من فروع المعرفة كائناً ما كان هذا الفرع، فمـن المـستحيل- فـيما يتطلب العالم الفيزيقي- أن نثبت أنه ليس فيه نقاط هـي لحظـات»[1]، يبـدو أن "راسـل" أخذ فكرة المفاضلة من نصل"أوكام" واختار اللغة المنطقية بديلا عن اللغة العاديـة؛ ذلـك ما يبرر قول راسل: «فأنا مازلت متمسكا بمبدأ العلاقات الخارجية، وبفلسفة التعـدد التـي ترتبط به.

يرفض "راسل" أن ينحى مسلك غيره في ربط اللغـة بـالنواحي الـسيكولوجية ويحـاول ربطها بالجانب المعرفي والابستمولوجي من خـلال رمـوز رياضـية ومنطقيـة أكـثر دقـة في التعبير عن المسمي "راسـل" لغتـه بعـدة أسـماء منهـا: «اللغـة الكاملـة المنطقيـة واللغـة المنطقية الكاملة واللغة المنطقي المثالية»[2]، لم يتوقف العطاء المنطقي اللغوي عند أسماء معينة أو جغرافية معينة بل كان يتمـدد نتيجـة التفاعـل بـين مختلـف العلـوم والمعـارف ونحن من باب الاختصار في الاستشهاد، لأن تاريخ الفلاسفة التحليلين ودورهـم في فلـسفة اللغة لا يتوقف على اسم معين دون غيره، لكن أخذنا نماذج أكثر حضورا ولـيس مـن بـاب المفاضلة العلمية أو الفلسفية والأنموذج التالي هو "فتنجتشين" الذي يعـد "عـراب فلـسفة اللغة العادية".

---

(1) برتراند راسل، فلسفتي كيف تطورت، المصدر السابق، ص5.

(2) محمد مهران رشوان، فلسفة برتراند راسل، المرجع السابق، ص372.

3-2- إسهامات "فتجنتيشتين" في الحقل اللغوي التداولي:

يعد "فتجنتشين" من أكثر المناظرين لفلسفة اللغة العادية والعملية في القرن العشرين: «فلم يبقى إذن ضمن الاهتمامات التداولية، من تلك التيارات الثلاثة إلا تيار واحد هو تيار "فلسفة اللغة العادية" الذي أسسه الفيلسوف لودفيغ فيتغنشتاين، والمادة الأساسية للفلسفة عند فيتغنشتاين هي اللغة، فكان يرى أن جميع مشكلات الفلسفة تُحَلْ باللغة، فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغة أو إهمالهم لها، وراح يطوّر فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة، فالاستعمال هو الذي يُكسب تعليم اللغة واستخدامها»[1]؛ "فتجنشتين" حول جعل اللغة واضحة الاستخدام بين الجميع في سياقها التداولي مثلا: «عندما يكون شخص ما بالفعل بارعًا في ممارسة استخدام التقنيات التي تشكل ألعابنا اللغوية، يكون فيه في وضع يسمح له بفهم التعريف الظاهري، أو بالتساوي، لطلب اسم شيء ما، "ما هذا اللون؟"، "ما هو الرقم الذي يأتي بعد أحد عشر؟"، "من هذا؟"، وما إلى ذلك، كلها تفترض إتقان تقنية تسمية الألوان، والعد، وإعطاء الناس الأسماء الصحيحة، على التوالي، يتم افتراض نفس الإتقان العملي في فهم "هذا (اللون) يسمى "أحمر" أو هذا (الرقم) يسمى "اثنين" أو "هذا (الرجل) هو لودفيج فيتجنشتاين" بالنظر إلى هذا التمكن العملي من التقنيات اللغوية، قد نذهب إلى بلد أجنبي ونتعلم لغة سكانه عن طريق التعريفات

---

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المرجع السابق، ص23.

الظاهرية، يمكننا استخدام الإتقان العملي للغة الخاصة بنا في فهم، أو في بعض الأحيـان في التخمين، معنى الكلـمات التـي يحـددها المتحـدثون الأصـليون بـشكل ظـاهري في بعـض الأحيان تكون هذه التخمينات صحيحة، وأحيانًا تكون خاطئة، وما يوضحه هذا هو ما إذا كنا سنستمر بالفعل في استخدام الكلمات المحددة وفقًا لدورها في لعبة اللغة للمتحـدثين الأصليين»[1]، لقد تحدث "فتجشتين" عن التحليل كشرط منهجي لتحقيـق الوضـوح كغايـة وربطه بالعالم وربط العالم بالوقائع وهذه الأخيرة ربطهـا باللغـة، ذلـك إن: «الادعـاء بـأن اللغة هي نظام الترويج الذي يصور الحالات المحتملة للأمور يقود فيتجنشتاين إلى التركيز على جانب واحد ضيق من لغتنا، وتجاهل جميـع الاسـتخدامات غـير الـصريحة للحقـائق التي نستخدمها لها، إن الحاجة إلى الضغط على التشابه بين المقترحات والصور هـي التـي تدفعه إلى الاعتقاد بأن العالم يتكون من كائنـات بـسيطة مرتبـة في حقـائق وأن العـروض الترويجية تتكـون مـن أسـماء هـذه الأشـياء البـسيطة، مرتبـة في ترتيـب محتمـل للأشـياء البسيطة التي تقف عليهـا الأسـماء، هـذا الاقـتران بـين الأسـماء والأشـياء البـسيطة، الـذي يعتقد فيتجنشتاين أنه يجب أن يوجد فيه، لكي تمثل اللغة العـالم، لـيس واضـحًا في جمـل اللغـة العاديـة، ولكـن يجـب الكـشف عنهـا مـن خـلال التحليـل»[2]، حيـث ربـط اللغـة بالفكر والمنطق، ورغم أنه يعـرف العـالم أنـه مجموعـة مـن الوقـائع وفي هـذا إشـارة إلى العـالم المتحقـق التجريبـي والـواقعي أكـثر مـن المثـالي، فهـو اسـتعان بـأدوات واقعيـة

---

(1) Marie McGinn, Wittgenstein and the Philosophical Investigations, ROUTedge Philosophy Guidre Books, Edited by Tim Crane and Jonathan Wolff University College London, 1997, p78.

(2) Marie McGinn, Wittgenstein and the Philosophical Investigations, Op- cit, p36.

توضح دلالة اللغة وتداوليتها: «يقدم فيتجنشتاين مفهوم لعبة اللغة من أجل إبـراز حقيقـة أن اللغة تعمل في الحياة العملية والفعالة للمتحدثين، وأن استخدامها يـرتبط ارتباطًـا وثيقًـا بالسلوك غير اللغوي، الذي يشكل بيئـة طبيعيـة، يقـدم المفهـوم فـيما يتعلـق بثلاثـة أنـواع مختلفة من النشاط هي:

1. «أحد الطرفين ينادي بالكلمات والآخر يعمل عليها.
2. التلميذ ينطق بكلمة عندما يشير المعلم إلى حجر.
3. يكرر التلميذ الكلمة بعد المعلم، يحدث النشاطان الأخيران أثناء تعليم التلميذ للغـة، ويلاحظ فيتجنشتاين أنه على الـرغم مـن أن هـذه الأنـشطة "تـشبه اللغـة"، إلا أنهـا ليست لغة مناسبة لهذه الأنشطة، إنها تشبه اللغة بقدر ما تستخدم الكلمات وتربط هذا الاستخدام بنشاط الإشارة إلى أنـواع معينـة مـن الأحجـار، لكنهـا تمثـل مقـدمات للاستخدام الكامل للغة، في نشاط البناء يستخدم فيتجنشتاين مصطلح "لعبـة اللغـة" فيما يتعلق بالأنشطة التي من خلالها نعلم الأطفال لغـة ونـشاط اسـتخدام اللغـة في سياق النشاط الهادف»[1]، الممارسة اللغوية مـن خـلال الحـوار والتواصـل مـن شـأنها تعزيـز الفعـل التـداولي بـين المتعـاملين داخـل سـياقاته العمليـة، فالتجربـة والخـبرة الواقعية هي معيـار صـدق المعنـى ودلالاتـه، حيـث: «ينطلـق تحليـل فتجنـشتين في الرسالة من خطين متوازيين يمثل أحدهما تحليـل العـالم ويمثـل الآخـر تحليـل اللغـة، والعالم له بنية واللغة لها بنية أيضا، إذا نظرنا إلى بنية العالم، نجد أن العالم عبارة عـن

(1) **Marie McGinn, <u>Wittgenstein and the Philosophical Investigations</u>, Op- cit, p47.**

مجموعة من الوقائع، وتتألف الوقائع من حالات الواقع، وتتألف حالات الواقع من أشياء، وإذا نظرنا إلى بنية اللغة، نجد أن اللغة هي مجموع القضايا، وتتألف القضايا من قضايا أولية، وتتكون القضايا الأولية من أسماء، وإذا كان تحليل العالم قد انتهى إلى أشياء، وانتهى تحليل اللغة إلى أسماء، فما العلاقة بين اللغة والعالم، أو قل بين الأسماء والأشياء؟ جواب فتجنشتين بصورة عامة أن اللغة صورة للعالم والاسم الوارد في القضية يمثل الشيء ففي الواقعة والعلاقة بين الاسم والشيء هي علاقة واحد بواحد، وهذا الجواب أصبح يعرف باسم نظرية الصورة في المعنى (**Meaningpicture Theory**) مع ملاحظة أن فتجنشتين يقاوم بناء نظريات فلسفية كما أسلفنا، وتقدم الرسالة تقريرا عن التمثيل بصفة عامة. ويكمن جوهر اللغة في تمثيل الطريقة التي توجد بها الأشياء في الواقع، يكون التمثيل ممكنا من خلال الاتفاق في الصورة بين ما يمثل أي القضية وما يتم تمثيله أي الواقعة»[1]؛ فهو بمعنى يلم نواحي التحليل في نطاقين: «الواقع الخارجي أو العالم، مجالا اللغة والفكر (سواء كان فكراً فلسفيا أو علميا أو غير ذلك)»[2].

وفي مسألة اللغة وعلاقتها بالوقائع يقدم "فنتجنشتين" تفسير علائقي يشرح فيه علاقة اللغة بالفكر والواقع قائلا: «ها نحن أولا قد رد دنا الفكر إلى اللغة واللغة إلى تركيبات صور معينة ورددنا العالم الخارجي إلى وقائع قوام كل واقعة منها

(1) هانس سلوجا، فتجنشتين، ترجمة وتقديم صلاح إسماعيل، ط1، المركز القومي للترجمة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2014، ص21.

(2) عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتين، (سلسلة نوابغ الفكر الغربي)، (د.ط)، دار المعارف، مصر، 1967، ص79.

أشياء بسيطة ترابطت من علاقات، فيبقى السؤال: ما العلاقة بين اللغة من جهة والعالم من جهة أخرى؟ الجواب عند فتجنشتين أن العلاقة هي كالعلاقة بين الصورة وأصلها، فإذا كان بين التركيبة اللغوية المعينة وبين الواقعة التي تقابلها ما يسمونه بعلاقة واحد بواحد، أي أن كل طرف في جانب يقابله طرف في الجانب الآخر وكل علاقة في جانب يقابلها علاقة في الجانب الآخر، كانت التركيبة اللغوية- أي القضية بلغة المنطق- صادقة على واقعتها، ومن مجموعة الصور اللغوية الصادقة يتكون العلم، ومن مجموعة الوقائع يتكون العالم»[1]، لذلك يربط "فتنجشتين" مهام الفيلسوف بفلسفة اللغة ويشترط أن تكون الفلسفة معبرة عن وقائع حقيقية وليست جوفاء خالية من أي غاية؛ «يذهب فتجنشتين إلى أن كل ما هو فلسفي، إنما يتعلق بما يمكن إظهاره فقط، أي بما هو مشترك بين الواقعة ورسمها المنطقي، وينتج عن هذه النظرية أنه لا يمكن أن يقال شيء صادق في الفلسفة، فكل قضية فلسفية تعتبر رديئة من ناحية قواعد اللغة»[2]، ينقل "فتجنشتين" معنى اللغة كنظام معرفي وليس أداة توصل فحسب، فاللغة هي تجربة حياتية خارج تداعيات الميتافيزيقا، لهذا: «أعلن فيتجنشتاين عن المذاهب التالية الجذابة للأعضاء المناهضين للميتافيزيقيا في الدائرة: مجموع الافتراضات الحقيقية هو مجموع العلوم الطبيعية (أو مجموعة العلوم الطبيعية بأكملها) الفلسفة تهدف إلى التوضيح المنطقي للأفكار. الفلسفة ليست جسما من العقيدة

---

(1) أنظر: لودفيغ فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة زكي نجيب محمود، (د.ط)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1968، صفحة (ذ).

(2) لودفيغ فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، المرجع السابق، ص46.

بـل هـي نـشاط... لا تـؤدي الفلـسفة إلى "افتراضـات فلـسفية"، بـل تـؤدي إلى توضـيح الافتراضـات»[1]، بمعنـى ننتقـل بلغتنـا العاديـة مـن الميتافيزيقـا إلى الاسـتعمال اليـومي والواقعي من خلال طرق اللعب وقيمتها في نحـت المعنـى وتداولـه: «أن نخلـق لعبـة في اللغة هو أن نتخيل نظاماً رمزياً مصنوعاً بشكل اصـطناعي، ولكـن منظـوراً فيـه كطريقـة اتصال كاملة في حد ذاتها، إن ألعابا كهذه ليست بالنسبة للفيلـسوف نمـاذج مجـردة أكـثر بساطة تقلد مظاهر اللغة الطبيعية، بل هي طرق تعبيريـة مختلفـة تنـير حـوادث اللغـة الطبيعية بالتشبيه بالواقع ليست اللغة سوى (صورة حياة) لا تحمـل في ذاتهـا أي مفهـوم وجودي عاطفي: إن الأحاسيس التي يمكن أن ترافق لعبة لغوية، يجب أن تـأتي في المرتبـة الثانية بعدها، على شكل تفسير ممكن، ولكن اللعبة اللغوية هي صورة حياة بمعنـى أنهـا جزء من تصرف عام للاتصال، أما معـاني الرمـوز فـلا تعـدو كونهـا نـسبية بالنـسبة لهـذه العمومية، لم تعد تطرح المشكلة الفلسفية إذن كتفتيش عن صورة عامة للقضية الحاملـة للمعنـى، إن صـياغة كهـذه لا قيمـة لهـا في «الرسـالة المنطقيـة- الفلـسفية إلا في نطـاق اكتشاف اللعبة اللغوبة الخاصة بالعلم. يـصر فتجنـشتين مـن الآن وصـاعداً عـلى تعدديـة ألعاب اللغة، وعلى أن مهمة التحليل الفلسفي هي توضيح شروط المعاني المتعـددة لهـذه الأنظمة المختلفة»[2]، فهو ينقل اللغة من الإطار الصوري إلى الفعل الاجتماعي.

---

(1) John Canfield, <u>Philosophy of Meaning, Knowledge and Value in the 20th Century</u>, Taylor & Francis Group, 2016, p139.

(2) روني إيلي ألفا، <u>موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب</u>، ج2، المرجع السابق، ص138.

بهذا تقترن الفلسفة بالمنطق لتعالج قضايا اللغة من حيث مشكلاتها المحورية من خلال فلسفة اللغة إن موضوع الفلسفة هو: «التوضيح المنطقي للأفكار والفلسفة ليست نظرية بل هي فاعلية، ولذلك يتكون العمل الفلسفي أساسا من توضيحات، ولا تكون نتيجة الفلسفة عدداً من القضايا الفلسفية، إنما هي توضيح للقضايا»[1]، وهذا ما أكده في أكثر من موضع بأن سوء استخدام اللغة يعرقل الفهم والتداول، ولذلك يدعونا إلى استعمال وانتقاء ألفاظ تكون أكثر وضوحا وملائمة: «والتحليل يظهر لنا في هذه الحالة أن كثيراً من مشكلات الفلسفة تنشأ مثلا من استخدام كلمة ما في سياق مخالف للسياق الذي كان يجب أن توضع فيه أو تستخدم فيه، ويزول ذلك اللبس وسوء الفهم المتعلق باستخدام الألفاظ إذا ما استبدلنا صورة تعبير بصورة أخرى، ونستطيع أن نسمى ذلك (بتحليل) صورة التعبير»[2]، ومن أجل توضيح فكرته إزاء قضية اللغة وعلاقتها بالواقع والعالم حاول تبسيط اللغة في شكل ألعاب من أجل تعزيز مهارات الفهم والتواصل والتعامل: «إن الجديد في فلسفة فتجنشتاين المتأخرة هو تجسيده للغة في شاكلة ألعاب لغوية فهو يؤكد على أن الأشكال المنطقية موجودة في الألعاب اللغوية (**Language Games**)، فاللغة لكونها تحتكم لقواعد معينة فهي تضفي صبغة اجتماعية على سلوك الأفراد، لقد أدت هذه النظرية إلى إحداث تحول في التفكير الفلسفي المعاصر، بحيث تحول الاهتمام من النموذج التركيبي والبنيوي إلى النموذج التداولي الإست عمالي، كما لم يعد الاهتمام قائما بالتحليل المنطقي أو

(**1**) لودفيغ فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، المرجع السابق، ص36.

(**2**) عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتين، المرجع السابق، ص79.

البنية الصورية للعبارة أو القضية، وإنما تحول الاهتمام إلى الوظيفة التعبيرية والتواصلية أو التبليغية للغة»[1]، وذلك من خلال ربط اللغة بسياقها التداولي والعملي، خاصة أن: «فيتجنشتاين يقدم مفهوم لعبة اللغة من أجل إبراز حقيقة أن اللغة تعمل في الحياة العملية والفعالة للمتحدثين، وأن استخدامها يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسلوك غير اللغوي، الذي يشكل بيئة طبيعية. يقدم المفهوم فيما يتعلق بثلاثة أنواع مختلفة من النشاط:

1. أحد الطرفين ينادي بالكلمات والآخر يعمل عليها.
2. التلميذ ينطق بكلمة عندما يشير المعلم إلى حجر.
3. يكرر التلميذ الكلمة بعد المعلم.

يحدث النشاطان الأخيران أثناء تعليم التلميذ للغة، ويلاحظ فيتجنشتاين أنه على الرغم من أن هذه الأنشطة "تشبه اللغة"، إلا أنها ليست لغة مناسبة، هذه الأنشطة إنها تشبه اللغة بقدر ما تستخدم الكلمات وتربط هذا الاستخدام بنشاط الإشارة إلى أنواع معينة من الأحجار، لكنها تمثل مقدمات للاستخدام الكامل للغة في نشاط البناء. يستخدم فيتجنشتاين مصطلح "لعبة اللغة" فيما يتعلق بالأنشطة التي من خلالها نعلم الأطفال لغة ونشاط استخدام اللغة في سياق النشاط الهادف»[2].

---

(1) لودفيغ فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبد الرزاق بنور، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007، ص196.

(2) Marie McGinn, Wittgenstein and the Philosophical Investigations, Op- cit, p46.

إذا يحلل "فتجنشتين" هوية اللغة كونها منظومة مركبة: «يقرب ل.ف. اللغة من اللعبة بل يعتبر أن اللغة تتمثل في مجموع الألعاب اللغوية الممكنة، وأوجه الاستعارة متعدّدة، فاللعبة تتضمن القواعد تماماً مثل اللغة واللعبة فعل مثل اللغة، واللغة مكونة من الألفاظ مثلما تكوّن اللعبة من قطع وأشكال، واللغة نظام يأخذ فيه كل لفظ مكانه باعتبار، محيطه كذلك تكتسب كل قطعة أو شكل في اللعبة قيمتها من القطع الأخرى، وأخيراً وليس آخراً، فإنّ اللغة مؤسسة اجتماعيّة، لا يمكن تصوّرها خارج عمليات التبادل مثلما لا يمكن تصوّر لعب يقوم به شخص فرد مرّة واحدة (ألا يتضمن النظام الانتظام أي التكرار كما قلنا آنفا) لذلك ارتبطت اللغة بشكل حياة (**Lebensform**)؛ هكذا تنتمي اللغة إلى تاريخنا الطبيعي، فلا يمكن أن نفهم أسداً ولو كان يتكلّم، ولا يمكنه أن يفهمنا ولو كان له ذهننا فتاريخ تعاملنا وتجارب استعمال الألفاظ والعبارات، أي مجموع الألعاب اللغوية مرتبط بالمؤسسة الاجتماعية التي عقدت الألعاب واللغة بحيث لم يعد من الممكن التفاهم باستعمال اللغة من خارج النظام ذاته (نقصد به شكل الحياة)؛ فأن تفهم لفظة يعني أن تفهم قضيّة، وأن تفهم قضية يعني أن تفهم لغة، وأن تفهم لغة يعني أن يكون لك باعتبارك متقبلاً التاريخ الطبيعي نفسه للباحث، إن لنظرية ل.ف. بعداً إناسياً حتماً!»[1].

ما يعكس ارتباط معنى اللغة باستخداماتنا لها، "فتجنشتاين" تحاشى ربطها بقواعد المنطق الصارم، مما يؤكد مرونة اللغة العادية، لذلك شبهها باللعبة في أداء

(1) لودفيغ فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، المصدر السابق، ص ص65-66.

وظائفها الرمزية والمباشرة ضمن سياق الاستعمال والحاجة سواء كانت كلمة أو جملة أو عبارة ذلك: «أن اللغة ليست كالرجل الصارم الذي يعرف ماذا يريد، ويفعل دائما طبقا لقاعدة محددة وإنما كرجل فضفاض متفائل له مناشط متعددة، يتلاعب بما لديه من أدوات دون صرامة أو خطة محكمة»(1).

كما يفسر "فتجنشتين" الغرض من تعدد المفهوم والألعاب بتقديم التفسيرات الآتية: «**أولا** من المحقق بصورة واضحة أن ألعابنا. اللغوية تعتمد على كيفية وجود الأشياء، **ثانيا** هناك حاجات واهتمامات إنسانية، وهذه الحاجات والاهتمامات يجوز أن يطرأ عليها التغيير، **ثالثا** هناك طريقة ندرك بها الأشياء وهذه الطريقة ربما تتغير أيضا عبر الزمان، زد على ذلك أن حاجاتنا واهتماماتنا وطرق رؤيتنا تتأسس جميعا في صورة حياتنا البشرية وهذه الصورة للحياة لا تتغير بسهولة هكذا من لحظة إلى أخرى، ويثير فتجنشتين هذه المسألة بصورة مفعمة بالحياة إلى حد كبير في (ملاحظات على كتاب فرايزر الغصن الذهبي) ويسأل نفسه في هذا الموضع لماذا نستطيع فهم الأساطير القديمة حتى لو لم نفكر حول العالم في حدودها، ويقترح أن هناك جوانب معينة مشتركة في الحياة البشرية نبنى عليها الأساطير ونستطيع تحديدها»(2).

هذا ما جعل "فتجنشتاين" يثور على مبدأ الترادف أو العنصر المشترك الذي يجعل للكلمة معنى محدد وواحد عند "مور" خاصة أن "فتجنشتاين" يرى: «أن

---

(1) محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص ص105-106.
(2) هانس سلوجا، فتجنشتين، المرجع السابق، ص161.

معنى الكلمة هو مجموعة استخدامات الناس لها في اللغة العادية»(1)؛ عكس ما هو كائن في للغة الاصطناعية- الوضعية المنطقية- وهنا أيضا: «لا يمكن أن نقيس الفلسفة مع أي مذهب، بل هي نشاط وفاعليه، إن فعل الإظهار لا يتحقق إلا وسط الحياة»(2)، فاللغة قضية مفكر فيها بين العالم والمنطق، الأمر الذي يجعل رمزية اللعبة اللغوية أقرب للتقنية في تحصيل المعنى المشترك في العالم الواقعي الذي ندرك فيه حدود اللغة وإمكانياتها: «عندما يكون شخص ما بالفعل بارعًا في ممارسة استخدام التقنيات التي تشكل ألعابنا اللغوية، يكون فيه. في وضع يسمح له بفهم التعريف الظاهري، أو بالتساوي، لطلب اسم شيء ما "ما هذا اللون؟"، "ما هو الرقم الذي يأتي بعد أحد عشر؟"، "من هذا؟"، وما إلى ذلك، كلها تفترض إتقان تقنية تسمية الألوان، والعد، وإعطاء الناس الأسماء الصحيحة، على التوالي. يتم افتراض نفس الإتقان العملي في فهم "هذا (اللون) يسمى أحمر"، أو "هذا (الرقم) يسمى اثنين"، أو "هذا (الرجل) هو "لودفيج فيتجنشتاين". بالنظر إلى هذا التمكن العملي من التقنيات اللغوية، قد نذهب إلى بلد أجنبي ونتعلم لغة سكانه عن طريق التعريفات الظاهرية، يمكننا استخدام الإتقان العملي للغة الخاصة بنا في فهم، أو في بعض الأحيان في التخمين، معنى الكلمات التي يحددها المتحدثون الأصليون بشكل ظاهري. في بعض الأحيان تكون هذه التخمينات صحيحة، وأحيانًا تكون خاطئة، وما يوضحه هذا هو ما إذا كنا سنستمر بالفعل في استخدام الكلمات المحددة وفقًا لدورها في لعبة اللغة للمتحدثين الأصليين»(3).

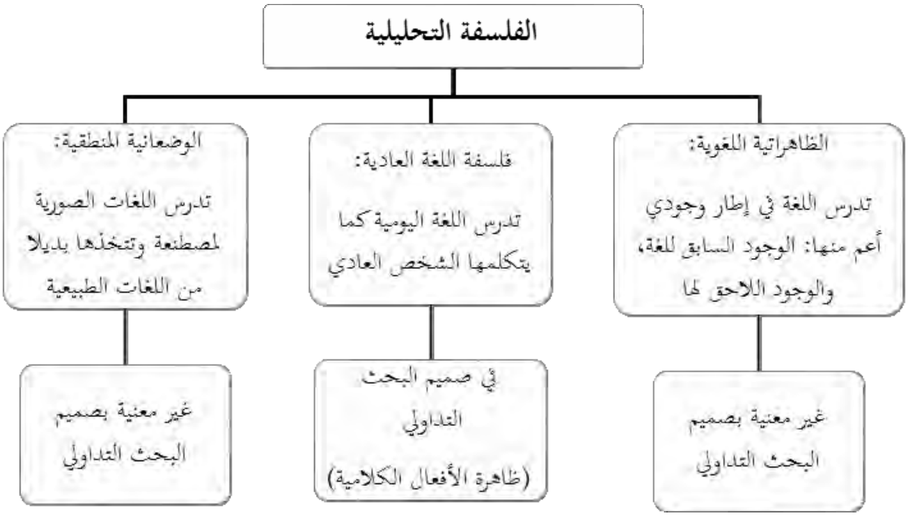
(**1**) محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص100.

(**2**) بيار كونزمان وآخرون، أطلس– **Dtv** - الفلسفة، المرجع السابق، ص217.

(**3**) عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتين، المرجع السابق، ص78.

ومثلما للغة نظام تواصلي بين الأفراد والجماعات مشكل من الرموز والإشارات والإيماءات والعلامات فأنها لا يمكن أن تكون خارج هذا العالم وحدوده بل داخله لأنه موضوعها للفهم والوضوح والتداول: «يتكون العالم من أشياء وهيئات، حالات الأشياء، تشكل الأشياء جوهر العالم وهي بصفتها أشياء بسيطة وثابتة ومستقلة عن حالات الأشياء، أما حالة الأشياء أو الوقائع، فالأشياء ترتبط فيما بينها عبر علاقات، بحيث تشكل هذه العلاقات العدة المنطقية للعالم وهي تحدد بذلك نقطة الالتقاء بين العالم واللغة»[1]... الخ.

يمكن تمثيل التداخل بين الفلسفة الأنجلوسكوسنة والمقاربة الأمريكية التداولية من خلال المخطط الآتي:



المصدر: مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2005، ص24.

(**1**) بيار كونزمان وآخرون، أطلس- **Dtv** -الفلسفة، المرجع السابق، ص217.

غير أن أهم ما يلاحظ: «أنه رغم تقاطع فلاسفة مدرسة أكسفورد في الانشغالات والأهداف العامة والمنهجية (تحليل اللغة العادية)، إلا أن ذلك لا يخفي حجم التباين والاختلاف بينهم، لذلك يعترف وايتز بأن فلاسفة أكسفورد ينفون أن يكونوا قد شكلوا حركة فلسفية، على غرار الوضعية المنطقية»[1].

2-4- إسهامات الوضعية المنطقية في الحقل اللغوي التداولي:

ليس جديد دور الوضعية المنطقية التي جعلت من اللغة الموضوع الرئيسي لها والحجة في ذلك: «لقد كانت اللغة مبحثاً في هذه الفلسفة التي استبعدت جانب ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) الذي صرف القدماء عن دراسة طبيعة اللغة ووظيفتها، فقد أنكرت على الفكر الفلسفي القديم أنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية، ولم يولها ما تستحقه من الدراسة والبحث، فسعت إلى معالجة هذا النقص فاتخذت اللغة موضوعاً للدراسة باعتبارها مقدمة البحث الفلسفي، وقد اختزلت الأسس البراجماتية في جانبين؛ هما: الجانب المعرف والجانب التواصلي وضيقت الجانب اللغوي»[2].

و«الوضعية المنطقية (**Positivisme Logique**) بزعامة "رودولف كارناب" (**R. Carnap**) (**1891-1970**) تلميذ فريجه ولودفيج فتجنشتاين، والفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل (1872-1970)، وقد دعا كارناب إلى مراجعة الأفكار اللسانية القديمة في الفلسفة وتحليل اللسان تحليلاً منطقياً، وانتقد الدراسات

(**1**) جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص38.

(**2**) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص47.

الفلسفية السابقة، ومنها ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) فرأى أنه لابد لنا من أن نفرق بين وظيفتين مختلفتين من وظائف اللغة، وهما الوظيفة اللغوية والوظيفة الوجدانية، فاللغة قد تعني شيئاً، وقد تعبر عن بعض العواطف والرغبات والفلسفة التقليدية دأبت على الخلط بين هاتين الوظيفتين، وقد ترتب على هذا أن أصبحت ألفاظ الفلاسفة معبرة عن مجرد عواطف غير دالة على معانٍ، والفلاسفة الميتافيزيقيين ظلوا يتوهمون أن عباراتهم تمثل قضايا منطقية تقبل البرهنة، وهي مجرد تعبيرات عاطفية تكشف عن انفعالات ومشاعر دفينة، ولا تنطوي على نظريات كما أنها لا تشمل قضايا علمية، بل تعبر عن أشياء تعبر عن الشعور بالحياة، ورأى أن ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) أقرب إلى الشعر والأساطير من غيرهما، وأن الفيلسوف الميتافيزيقي فريسة الوهم؛ لأنه يصوغ عباراته في قالب منطقي محاولاً أن يقيمها على أسس برهانية»[1].

عالج "كارناب" «مجالات فروع علم العلامات الثلاثة التي وضعها موريس، فقال: "إنه في مجال البحث اللغوي لو أشرنا صراحة إلى المتحدث أو مستخدم اللغة، فإننا نعمل في إطار حقل التداولية، وأما إذا قمنا بتحليل التعبيرات وما تشير إليه، فإننا ننتقل إلى مجال علم الدلالة، وإذا ابتعدنا عما تشير إليه العبارات وحللنا العلاقات بين التعبيرات، فإننا ندخل دائرة تركيب الجملة"، والتداولية تدرس اللغة من وجهة نظر وظيفية، فتفسر أوجه البراجماتية اللسانية، ثم تبعهم في تطوير هذا المنهج الفيلسوف بول جرايس في جهوده الكبيرة التي طور بها الدرس

(**1**) محمود عكاشة، <u>النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)</u>، المرجع السابق، ص57.

التداولي ولاسيما في حديثه عن مبادئ المحادثة»[1]، كان (لعلم الدلالة، علم التركيب، اللسانيات البراغماتية) اهتماما من قبل الوضعية المنطقية وفي خاصة من أحد أبرز ممثليها "كارناب" من أجل تطوير منهج الدارسة اللغوية وفق منهج فلسفي يخضع لمعايير منطقية تعنى بالصدق والمعنى.

يسترسل من جهة أخرى "بشير البستاني" في كتابه (**التداولية في البحث اللغوي والنقدي**)، بأحد الباحثين المعاصرين في الشأن التداولي قائلا: «يرى (صلاح فضل) أن تيار تحليل الخطاب التداولي أخذ يفيد في الآونة الأخيرة من جملة المبادئ السيميولوجية، غير أن بدايته كانت تدين في الازدهار إلى اتجاهين كبيرين في تحليل الخطاب منذ عقد الستينيات أحدهما لغوي يبحث في علاقات النص على مستوى (ما فوق الجملة) الواحدة، إذ بدأت تطفو فوق سطح الدرس اللساني مقولات تداولية جديدة مثل (البؤرة) و(الاقتضاء) و(الاستلزام الخطابي) وفي أواخر الستينيات تبنى مفهوم (كارناب) الذي ساوى بين التداولية والسيمياء الوصفية، وأدخل (كارناب) مفهوم السياق المتضمن هويات المشاركين في الحدث الكلامي والمحددات الزمانية والمكانية والمعتقدات ومقاصد المشاركين. ويذهب بعض الباحثين إلى تاريخ أقرب للتداولية، إذ يؤرخ لها ببداية السبعينيات، ولم أجد فيما اطلعت من يشاطره هذا الرأي»[2]، فكان وراء كل حدث معرفي سؤال المعنى- كمبحث مشترك بينهم وإن اختلفوا في تفسيره ومنهج فحصه-، وهذا ما تترجمه جل الأبحاث اللغوية سواء كانت من مدرسة كمبيردج

(1) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع نفسه، ص58.

(2) بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، المرجع السابق، ص ص35-36.

أو أكسفورد أو ما بعدهما أو السابقة عنهما، لأن البحث في معاني الظاهرة اللغوية قديم، حديث معاصر، وراهن، إذا: «لقد طرح هذا السؤال مراراً وتكراراً، وجاءت الإجابات عليه منوعة متباينة؛ إذ تمثل الإجابة عليه المحور الذي يرتكز عليه البحث الفلسفي طوال تاريخه، ليس هذا وحسب، بل هو موضع اهتمام المشتغلين بعلم اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع أيضاً- والحق أن الفلاسفة بالمعنى أكثر انشغالاً من غيرهم، فإذا نظرنا إلى قصة الفلسفة في القرن العشرين- ناهيك عن الفلسفة القديمة والوسيطة والحديثة- لوجدنا أنها قصة لفكرة المعنى، على حد تعبير رايل، كما يمكن وصف الانشغال التام بنظرية المعنى على أنه مرض المهنة لفلسفة القرن العشرين الأنجلو سكسونية والنمساوية»[1]، ويمكن تفسير مسارات الاهتمام بالمعنى وتطورها على النحو الآتي:

يجمع ألستون نظريات المعنى في ثلاث نظريات هي: «النظرية الإشارية (**Referential Theory**) ونظرية الأفكار (**Ideational Theory**) والنظرية السلوكية (**Behavioral Theory**) وتذهب النظرية الإشارية إلى أن معنى التعبير هو ما يشير إليه، وترى نظرية الأفكار أن معنى التعبير هو الأفكار التي ترتبط ب "هاو" تناظره في ذهن المتكلم والمستمع، أما النظرية السلوكية فتزعم أن معنى التعبير هو المثير الذي يستدعي نطقه أو الاستجابة التي يستدعيها التعبير بدوره، ثم تتنوع المواقف داخل كل نظرية من هذه النظريات، وهناك تصنيف آخر لنظريات المعنى نحصيها في خمس نظريات هي:

(**1**) صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص241.

- نظرية أفلاطون القائلة إن المعاني هي النماذج الخالدة أو المثل.
- نظرية لوك التي مؤداها أن المعاني هي الأفكار التي تدل عليها الكلمات.
- النظرية القائلة إن المعاني هي الأشياء التي نجدها في العالم، أو إن معنى الاسم هو مسماه.
- نظرية فتجنشتين القائلة إن معنى الكلمة هو مجموعة استعمالات الناس لها في اللغة العادية.
- النظرية السلوكية التي مفادها أن المعاني هي المثيرات التي تستدعي استجابات لفظية»[1].

هذا يعني أن التداولية قامت على إرث فلسفي لغوي منوع ممتد من اليونان وصولا للفلسفة الانجليزية البريطانية يولي فكرة التحليل والسياق العملي للغة مركزية البحث والدراسة: «إذا تطورت التداوليّة ضمن مجموعة من المقاربات اللغوية، من بينها تحليل الحوار (**Conversation Analysis**) وتحليل النص (**Text Analysis**) وتحليل الكلام/الخطاب (**Discourse Analysis**)، بوصفها امتدادا طبيعيا لأطروحات النحو الوظيفي (**Functional Grammar**) التي طورها هاليداي (1985)، كما ترد الإشارة إلى ذلك لاحقا، ومنها أن المعنى ليس فيما يقول النحاة، ولا ما تقول المعاجم، على ما لكليهما من أهمية، ولا في العمليات المعرفيّة المجردة من سياقاتها، لكن فيما يَقصِد من يستخدم اللغة وما يريد، وفيما يفهم من يتلقاها- استماعاً أو قراءة- وفيما ينتج من دلالات من خلال ظروف السياق»[2]، وهذا لا يعني أن التداولية نظرية تراتبية أو تراثية، وإن كانت مسائل

(**1**) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص ص70-71.

(**2**) بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولي- من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط1، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص21.

اللغة قديمة قـدم الإنـسان في الوجـود: «فالتداوليـة ليـست علـماً لغويـاً محـضاً بـالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنـى اللغويـة ويتوقـف عنـد حـدودها وأشـكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويـدمج مِن ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة (التواصل اللغوي وتفسيره)، وعليه، فإن الحديث عن (التداولية) وعن (شبكتها المفاهيميـة) يقتـضي الإشـارة إلى العلاقـات القائمـة بينها وبين الحقول المختلفة، لأنها تـشير بانتمائهـا إلى حقـولٍ مفاهيميـة تـضم مـستويات مُتداخلةٍ كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليـات الذهنيـة المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقـة البنيـة اللغويـة بظـروف الاسـتعمال... الـخ، فنحن نرى أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منهـا: الفلـسفة التحليلية، ممثلةً في فلسفة اللغة العاديـة، ومنهـا علـم الـنفس المعـرفي ممـثلاً في "نظريـة الملاءمـة" (**Théorie de Pertinence**) عـلى الخـصوص، ومنهـا علـوم التواصـل، ومنهـا اللسانيات بطبيعة الحال»[1]، هذا التداخل في بين المنطقـي واللـساني والفلـسفي اللغـوي، عالجه أيضا "راسل" من منظوره وكان لجهوده الأثر العميق.

برزت هذه الجهـود بوضـوح مـع ممـثلي الاتجـاه اللغـوي في الفلـسفة التداوليـة وسعيهم لدراسـة أفعـال الكـلام والحـوار وقواعـد المحادثـة: «وقـد تبنـى البراجماتيـة اللسانية علما مستقلاً عن علم الرمـوز ثلاثـة مـن فلاسـفة اللغـة المنتمـين إلى الـتراث الفلـسفي لجامعـة أكـسفررد هـم: "ج.ل. أوسـتن" و"ج. سـيول" و"بـول جـرايس"،

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المرجع السابق، ص16.

وقد تأثروا في بعض آرائهم بفلسفة فيتجنشتاين، وهم الذين أذاعوا تراثه الفلسفي، ويعد أوستن إمام المدرسة البراجماتية اللسانية، وقد حظيت جهوده التداولية بالتطبيق في كثير من اللغات، وتبعه تلميذه سيرل، وقد أحدثا فيها تطويراً واسعاً، ثم تبعهما الفيلسوف بول جرايس (**Paul Grice**) بجهوده البارزة التي طور بها الدرس التداولي، وأبرز جهوده وضع مبادئ المحادثة (**Conversational Maxims**)، و"النظرية الحوارية" التي تمثل الوجه الحقيقي للبراجماتية اللسانية التي تأثرت ب (الفلسفة التحليلية)»[1].

هذا ما سيحظى بنوع من التفصيل في- مباحثنا اللاحقة- المتتبع لمسار التداولية ومسيرتها يلمس أنها وليدة العقلانية الغربية ومناخها البراغماتي، الذي انعكس على الواقع اللغوي وخطاباته ومحاولة نقلها من السياق المجرد إلى التداول الوضعي: «لقد نشأ البحث اللساني الغربي في كنف الفلسفة النظرية، وظل اللسان مرتبطاً بها في العصر الحديث (في القرن التاسع عشر) الذي استقل فيه الدرس اللساني عن فروع المعرفة الأخرى (الفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع) وكانت للبدايات الفلسفية الأولى في حقل التحليل المنطقي أكبر الأثر في تحديد الأبعاد الجديدة لفلسفة القرن العشرين، وقد تأثرت الفلسفة الحديثة بمناهج العلوم الطبيعية، فنشأت تيارات فلسفية جديدة ذات طابع تجريبي، ومنها الفلسفة التحليلية التي تبنت منهجا وسطا بين الواقعية المادية والعقلانية المثالية، ورأت أن فهم الإنسان ذاته وعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر عن هذا الفهم ومادة التعبير الذي يجسد رؤية صاحبه، وأنها أول مبحث من

(1) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص59.

مباحث الفلسفة الرئيسة، فهي مقدمة البحث الفلسفي القديم، وقد عد فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي الأصيل علامة قوة منهجهم وصلاحيته، وقد اهتمت هذه الفلسفة بتحليل العبارات الفلسفية والعلمية، فارتبطت بالعلوم ومناهجها، وحاولت وضع منهج علمي جديد يأخذ بالفلسفة نحو الاتجاه الذي تراه صحيحاً يقوم على ضوابط واقعية ومنطقية أيضاً في مقابل اتجاه فلاسفة ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) الذين يناقشون مسائل الفلسفة ومفاهيمها بوسائل فلسفية خالصة في ضوء التأمل الخالص، وحاول فلاسفة التحليل أن يبرهنوا بوسائل منطقية ومبادئ تجريبية أن معظم قضايا الفلسفة وجميع القضايا الميتافيزيقية لا معني لها»[1]، إن وحدة المنهج- التحليل- المتبع في التعامل مع قضايا اللغة وحيثياتها والذي كفل نجاعة الاستعمال التداولي للغة العادية أثبت تفوقها المعرفي والدلالي في السياق التداول والتواصل العام على غرار مختلف اللغات الأخرى، كون: «"فلسفة اللغة العادية" هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة "الأفعال الكلامية"، إلا أن هذه التيارات الثلاثة ليست كلها ذات منهج وظيفي تداولي في دراسة اللغة؛ فقد خرج التياران الأول والثاني عن التداولية بسبب اهتمام الأول باللغات الصورية المصطنعة واتخاذها بديلاً عن اللغات الطبيعية، فالوضعانية المنطقية بسلوكها هذا المسلك تقصي القدرات التواصلية العجيبة التي تمتلكها اللغات الطبيعية، بل تستبعد تلك اللغات وتقصيها تماماً من نشاطها العلمي الدراسي، وتهتم ببناء لغات بديلة مقصورة على مجال تواصلي في غاية المحدودية والرسمية والتخصص العلمي الضيق المحدود.

---

(1) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص43.

بينما لا تظهر القدرات التواصلية الحقيقية للغات الطبيعية إلا في استعمالها العادي أي من يبل المتكلمين العاديين في الحياة الطبيعية العادية»[1]؛ ولا يمكن لنا فهم هذه الوظيفة العملية والواقعية إلا ضمن خصوصية الظاهرة اللغوية الوجودية التي تعنى بمعاني الأفعال الكلامية ومقاصدها المختلفة: «**أما الظاهراتية اللغوية** (**Phénoménologie du Langage**) فيؤخذ عليها أنها انغمست في البحث في أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية إذ راحت تتساءل عن قطب "الأساس" وهو بداية الحدث اللساني في أعماق الوجدان، وهو الذي يسميه سوسير "المرحلة السديمية" والتي هي مرحلة ذهنية ما قبل- وجودية، فهي في غاية التجريد، ولا علاقة لها بالاستعمال اللغوي، ولا بظروف استخدام اللغة، ولا بأحوال أطراف الحوار، ولا بملابسات التواصل، ولا بأغراض المتكلمين، ومن هنا فإن المنظور الظاهراتي- كسابقه- لا يواجه المشكلة التي نحن بصددها ولا يتبنى البعد الاستعمالي العادي للغات الطبيعية كمبدأ أساسي، ومن ثم فهو اتجاه غير تداولي، ولكن هذا الموقف النقدي ينبغي ألا ينسينا أن الفلسفة الظاهراتية قد جاءت بمبدأ إجرائي جد مفيد في اللسانيات التداولية، وهو مبدأ "القصدية" (**Intentionnalité**) الذي استثمره الفيلسوف أوستين في دراسة ظاهرة "الأفعال الكلامية"، وقام تلميذه سيرل بنفس الصنيع حينما اتخذه معياراً أساسياً لتصنيف "القوى المتضمنة في القول»[2].

(**1**) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المرجع السابق، ص22.

(**2**) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المرجع السابق، ص22.

ثالثا. موضوعات التداولية:

تعددت موضوعات التداولية وسياقاتها المعرفية؛ مما جعل مهامها تتفرع أكثر وتتشعب خاص أن التداولية تهتم بالجانب الإجرائي اللغوي، ذلك أن: «التداولية تعني أيضا دراسة استعمال اللغة في الخطاب، ودراسة الإشارات النوعية التي تثبت وظيفتها الخاطبية في اللغة»[1]، هذا ما يعكس طبيعيتها الفعلية والإجرائية فهي: «ليست التداولية درساً منكفئاً على نفسه، فهي تصدر مفاهيمها في اتجاهات متعددة، ولا تقوم فقط "بتفجير إطار المدارس اللسانية التقليدية، كما يشير إلى ذلك اللساني النحوي موريس، أوربيك (**Maurice Van overbek**) بل تتدخل في قضايا كلاسيكية داخلية للفلسفة، فهي تلهم الفلاسفة، كما أنها مطالبة بشدة، ودون شك، بتجديد نظرية الأدب.

- فهل تعد القضايا الفلسفية التي تلقي التداولية الضوء عليها ملحة وجديدة؟

يمكننا هنا تعداد ست منها، هي:

1. «**<u>الذاتية</u>**، فما الذي يتغير في مفهوم الفاعل إذن، حين ننظر إليه كمتكلم، قبل كل شيء، وأكثر من هذا، كمتحدث حين نقاربه، لا انطلاقا من الفكر، بل انطلاقا من التواصل؟
2. **<u>الغيرية</u>**، ويتم الإلمام بالقضية التي تخص الآخر، انطلاقا من المخاطب، فالآخر هو الذي أتكلم معه، أو لا أتكلم، معه والذي أتموضع معه في مجتمع تواصلي.

(**1**) جواد ختام، <u>التداولية أصولها واتجاهاتها</u>، المرجع السابق، ص15.

3. **الكوجيتو**، "الديكارتي"، ف "أفكر" هو تفكير حقيقي في كل مرة أتلفظ فيها بذلك، فهو حقيقي من خلال ضرورة تداولية، كما أن تناقضه خاطئ دائماً تداولياً، فإذا قلت: "لا أوجد"، فإن حدث التلفظ، يناقض مضمون الملفوظ.
4. **الاستنباط المتعالي**، للمقولات عند كانط، ويتعلق الأمر بتحصيل القيمة الموضوعية للأنماط الأساسية في تركيب الفكر، إذ إن الاستعمال الموضوعي تنتظمه مبادئ، من هنا تقود وجهة النظر التداولية إلى الأخذ بعين الاعتبار المظهر "اللغوي" المحض لهذا الاستنباط، وكذلك المظهر التداولي للوجهة التفاعلية، لما يعد كقضايا كبرى في العالم.
5. يعبر عن هذا المظهر **التفاعلي** بطريقة أكثر وضوحاً في المناقشات التي **تشخص تاريخ العلوم**.
6. يمكن **للقيمة التداولية** أن توضع في **عمق المنطق**، إذ يجد هذا المنطق من هنا، مصادره الإغريقية. وتثير التداولية من ثم، آمالا كبيرة، فأي شيء تدعيه إذن؟ ألا يكفيها أن تكنس واجهة بابها؟»[1]، من خلال هذا التنوع في القضايا تقدمت أبحاث التداولية وحققت نجاحا على مدارس عصرها لاقترانها بالموضعية المنطقية ومعايير الحقيقة والمعنى في المنطق: «لقد ازدهرت التداولية، بما فيه الكفاية لحد نسيانها لأصولها ولإبعاد الذاكرة القصيرة أردت التذكير بما يعود إلى المؤسسين: بيرس، فريجه، موريس، فيتغنشتاين وبار هييل، وحرصت إبعاداً للذاكرة الجزئية، على الإشارة إلى ما يعود إلى مبادرة الفلاسفة

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص5.

المناطقة، الذين مارسوا هنا- كما في غير ذلك- قوة اقتراح هامة»[1]، من بين ما جاء في هذه المبادرة هو تمييز الفلاسفة بين معاني الكذب والصدق، فلقد: «ميز الفلاسفة بين نوعين من العبارات في سياق تحليلهم قول الصدق والكذب: أولهما العبارة التحليلية التي تقوم على تحليل الموضوع إلى عناصره فقط دون زيادة. وثانيها العبارة التركيبية التي تقوم على إضافة معرفة جديدة إلى رصيد التجارب الخاصة»[2]، مما أوجد مستويات وأنواع من التداوليات تتفرق مهامها حسب سياقاتها التي وجدت فيها، ومنه نتساءل بما تتميز درجات التداولية عن بعضها البعض وما طبيعية العلاقة بينها هل هي علاقة تكاملية توفيقية أم عنادية؟

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص6.

(2) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص43.

المحور الثاني

سياقات التداولية العملية

تمهيد

إن الأهـداف المنطقيـة للتداوليـة جـرت معهـا جملـة مـن الأسـئلة حـول قواعـدها التأسيسية والعملية؛ لاسيما أن هويـة التداوليـة تتجاذبهـا تيـارات واتجاهـات مختلفـة لا تتوقف عند طبيعتها اللغوية أو اللسانية بل تمتد للعديد من الفروع الفلسفية العمليـة و العلمية، خاصة الأدائية،لأن مهمة التداولية إجرائية لا صورية، ومنه فهي تمثل اللـسانيات الوظيفية التي تعنى بالاستعمال اللغوي وسياقاته التواصلية، فما هي أهم القواعـد التـي يحتكم إليها العمل التداولي في سياقاته التواصلية والتي تميزه وتخصه عـن سـائر المعـارف اللغوية ؟

1- قواعد التداولية وشروطها:

لا يمكن أن نتصور أن السياقات التداولية عشوائية وهي تبحث عن مصداقية المعنى من خلال تأويل مقاصده عمليا من خلال جملة من العلامات التي تربط بين (المُؤول والمؤوِل) خاصة أن التداولية تأخذ على عاتقها مهمة تحليل المضامين اللغوية اللسانية لا شكلية وأفعالها داخل السياق، لذلك: «تحدد القواعد النحوية العلاقة بين العلامات- السيارة، وتربط العلامات الدلالية بدورها العلامات- السيارة بموضوعات أخرى، وتعلن القواعد التداولية عن الشروط الخاصة للتأويلات التي تكون العلامات- السيارة في إطارها علامة، من هنا تعمل كل قاعدة بطريقة سلوك نمطي، وبهذا المعنى يوجد مكون تداولي في كل القواعد، ومع هذا توجد قواعد تداولية خصوصية، تعبّر مثل عن أية شروط يجب استيفاؤها لدى المؤول حتى تعمل كحرف تعجب على غرار "أوه!" وأوامر مثل: "تعال هنا!"، واصطلاحات تقويمية مثل "لحسن الحظ"، وتعبيرات "صباح الخير"، ومختلف الطرق البلاغية أو الشاعرية.

ويندرج تأصيل هذه الشروط في حدود عدم استنفاذها، في اصطلاحات النحو والدلالة ضمن التداولية، آنذاك فقط يكون في إمكاننا إعطاء الطابع التام للغة ما»[1]؛ إن هذه القواعد العملية لا يمكن أن تفهم إلا في سياق الممارسة للأفعال اللسانية وتحليلها في سياقها التداولي وفق مجموع الدلالات التي تعكس شبكة السياق المكون من الكلام الذي يحمل قضية قصدية تعبر عن اهتمامات

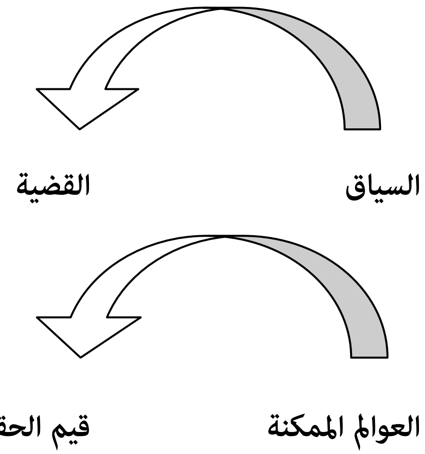
---

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص30.

المتكلمين واقعيا لتعبير عن معاني وقيم متحققة من خلال فعل التواصل اللغـوي ويمكـن توضيح العلاقة العملية.

وفق هذا المخطط التوضيحي:[1]

الجملة المؤولة:



«فالدلالة إذن هي دراسة القضايا أي موضوعات التي تمثل شروط الحقيقة، والقضية هي إذن قاعدة ووظيفة تقودنا من العالم إلى قيم الحقيقة، لأننا ننطلق عامة من العـالم الـواقعي، إلا أنه من الجدير بنا أن نقيم ليس فقط الحالـة لحاليـة للعـالم، بـل والحـالات الممكنـة لهـذا العالم، وهو ما نطلق عليه (العوالم الممكنة)، تصبح القـضية مـن هنـا طريقـة لتقـسيم العـالم إلى قسمين: مجموع الحالات الممكنة للعالم، توزع إلى تلك التي تبعدها حقيقـة القـضية وإلى تلك التي ليست كذلك»[2]، هذا الاستدلال التحليلي لأفعـال اللغـة يـتم بـشراكة بـين الفـاعلين في الـسياق التواصـلي للخطـاب بـين المتكلمـين والمـستمعين، ولا يمكـن أن يحقـق أهـداف

---

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص36.

(2) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص ص35-36.

المعنى الفعلية والاستعمالية إلا بوجود مباحث ومجالات تداولية يمارس فيها بركسس التداول من حيث القواعد والغايات، فما هي أهم المباحث التداولية التي تعنى بأساليب ومناهج وقواعد دراسة المعنى ومقاصده الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن أسس وقواعد العمل التداولي وشروطه؟

2- أسس العمل التداولي:

من أهم المرتكزات التي تقوم عليها التداولية وتعد قوام لها وعمدتها في دراسة المعنى ضمن المجالات التخاطبية نجد **السياق (Context):**

2-1- السياق لغة:

السِياقُ مُشْتَقٌّ مِنْ مادَّةِ سُوقٍ نَقُولُ: ساقُ الإِبِلِ وَغَيْرُها يَسُوقُها سُوقاً وَسِياقاً (...) وَقَدْ اِنْساقَتْ وَتَساوَقَت الإِبِلَ تَساوُقاً إِذا تابَعَتْ، وَكَذٰلِكَ تَقاوَدَتْ فَهِيَ مُتَقاوِدَةٌ وَمُتَساوِقَةٌ وَفِي حَدِيثٍ أَمِّ مَعْبَدٍ: فَجاءَ زَوْجُها يَسُوقُ أَعْنَزاً ما تُساوِقُ أَيَّ تَتابُع[1]، التساوق والتابع بمعنى التداول والتواصل والاستمرار، في حين السياق في معناه المعرفي والعملي يعني الفعل والممارسة والعمل في شتى المجالات.

2-2- السياق اصطلاحا:

- **Contexte (E), Context (F).**
- **Contextu. L (G), Kontex. T (F).**

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج10، المرجع السابق، ص166.

سياق الكلام مجراه، نقول يُفهم معنى الاصطلاح من سياق الكلام، بمعنى من مجمل مفوم النص، وكل قول أو فل لابد لفهمه من الإحاطة بالسياق الذي يتضمنه، ومعنى قولنا سياق الأحداث، أنها جرت لى تسلسل معين كان له مغزاه، وسياق المرض هو التراتب الذي عليه تناميه، وفي القضاء يلتزم الخصوم المعنى الذي يفرضه السياق العام لمجرى الخلاف، وفي النصوص الفلسفية سيحتل فهم العبارات منفصلة عن بعضها، ونما ي مجراها أو سياقها العام[1].

بمعنى المجال التداولي وهو: «علم يعالج علاقة العلامات بمؤولاتها، وهذا هو التعريف البدائي للتداولية، ويوضح "موريس" أنه بحكم أن جل العلامات تمتلك أعضاء حية كمؤولات، يمكن تمييز التداولية بشكل جيد بقولنا: إنها تعالج مظاهر السيميوزين، ويقصد موريس هنا وبطريقة شاملة مجموع المظاهر السيكولوجية والبيولوجية التي ترتبط بعمل العلامات»[2]؛ من جهة أخرى السياق هو: «الوضعية الملموسة، والتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد تخص المكان، والزمان، وهوية المتكلمين... وكل ما نحن في حاجة إليه، من أجل فهم ما يقال وتقويمه»[3]، بفضل السياق تمكن الدارسين والنقاد من التمييز بين أهداف فلسفة اللغة والفلسفة اللسانية عمليا: «تهدف الفلسفة اللسانيّة إلى حلّ بعض الإشكاليات الفلسفيّة المخصوصة من خلال معالجة الاستعمال العاديّ لكلمات مخصوصة

---

(1) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة في (العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية واللاتينية والعبرية واليونانية)، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص425.

(2) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص29.

(3) أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط1، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2015، ص11.

أو لعدد من العناصر الأخرى في ألسنة مخصوصة، أمّا فلسفة اللّغة فترمي إلى أن تصف على نحو واضح ومن زاوية فلسفيّة بعض الخاصيّات العامّة المتعلقة بالألسن شأن الإحالة والصدق والدلالة والضرورة»[1].

تأخذ التداولية الطابع العملي عن الفلسفات الوضعية والمنطقانية وفلسفة اللغة حتى تتميز بالعلمية والحقيقة الموضوعية عكس الاتجاهات العقلانية المثالية التي تهمل دور الواقع في التجربة المعرفية، و«قد تضافرت جهود المنظرين لرفع الالتباس عن التداولية، فذكرت "آن ربول وجاك موشلار"[*]، أنها يمكن أن تعرف بصفة عامة على أنها دراسة استعمال اللغة، في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات، وعندما نتحدث عن استعمال اللغة، فإن هذا الاستعمال ليس محادا، فالإشارات على سبيل الذكر لا يكمن أن تؤول إلا داخل سياقها التلفظي، كما أن الكلمات تدل في مناسبات كثيرة على معان تفوق ما ننوي التعبير عنه»[2]، وقد أوضحت آن ربول وجاك موشلر العلاقة بين دراسة النسق ودراسة استعمال النسق من خلال الخطاطة التالية:

---

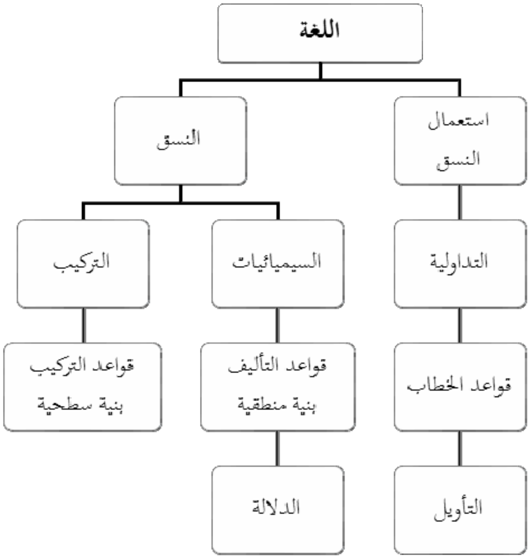
(1) جون ر. سورل، الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة غنيم، مراجعة محمد الشيباني، ط1، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2015، ص ص17-18.

(*) جاك موشلر (**Jacques Moeschler**): دكتور متخصص في اللسانيات ولد سنة 1954، يدرس علم الدلالة والتداولية في جامعة جنيف. من مؤلفاته:

- **Dire et Contredire, 1982.**
- **Argumentation et Conversation, 1985.**
- **Modelisation du dialogue, 1989.**
- **Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, 1997 (Avec A. Reboul).**
- **Introduction a la linguistique contemporaine, 1997.**

نقلا عن: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، المرجع السابق، ص241.

(2) نقلا عن: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، المرجع السابق، ص ص15-16.



المصدر: جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص16.

2-3- عناصر السياق وشروطه:

يتكون السياق والمجال التداولي من أربعة وحدات أساسية في تشكيل المعاني اللغوية، بحيث يختص كل عنصر بمهمة معينة تمهد لمهمة التالي وتكمله وفق شروط معينة على النحو الآتي:

- **المرسل والمرسل إليه**: يعني المتكلم والمخاطب أو المتحدث والمتلقي، فالعلاقة بينهما تواصلية لغوية؛ ذلك لأن: «اللغة وسيلة من وسائل الاتصال التي يعبر بها كل فرد عن مقاصده، ولا تظهر تلك اللغة إلى الوجود دون استعمال المرسل لها وتحريرها من الوجود المضمر بالعقل إلى الوجود المعلن بالفعل لذلك يعد المرسل محور إنتاج الخطاب، فهو الذي يختار العلامات المناسبة من أجل التعبير عن مقاصد ومعتقدات معينة، وبغرض

تحقيق أهداف محددة، سعيًا إلى إشباع رغباته واهتماماته، وكل ذلك من أجل أن يعبر المرسل عما يجول في نفسه من غايات ومقاصد، يسعى إلى تحقيقها من خلال خطابه، مراعيا بذلك استخدام العلامات المناسبة في سياقها الملائم لها»[1]، إذا كانت اللغة بيت الوجود أو كينونة وجودية، فإن التداولية تتتبعها من خلال سياقها الذي يعالج القصد من أفعال الكلام، وهذا لا يتحقق إلا في إطار زماني ومكاني يؤسس للفعل التداولي من خلال التعامل مع شبكة من الخطابات التداولية ومفاهيمها السياقية.

- **الزمان والمكان**: لا يمكن أن نتحدث عن لغة خارج الصيرورة الزمانية والحتمية المكانية، لأن اللغة خاصية إنسانية حضارية وثقافية، تسعى إلى تأسيس نظام تواصلي والتداولي عملي يربط بين مقاصد الكائنات الإنسانية وفق مطالبهم وحاجاتهم التي تتطلب وضع نظام لغوي واضح وواقعي لا يتعارض مع مختلف السياقات التي تتأس ضمنها المعاني في زمكان المتعاقبة وإن كان الزمان متغير والمكان ثابت، فإن اللغة تحاول تكييف ما هو الأنسب للتداول اللغوي من خلال أفعال الكلام، بحيث «تكتسب الإشارات الزمانية، والمكانية قيمتها الدلالية من خلال ما يحيط بها من عناصر سياقية قادرة على تحديد وظيفتها بإشارتها إلى زمان أو مكان محددين، فما يناسب زمان قد لا يناسب زمان آخر، وما يصلح لمكان قد لا يصلح لمكان آخر.

فالزمان والمكان اللذان يتلفظ فيهما المرسل، عنصران هامان في إيصال المعنى المطلوب للمخاطّب، لذلك فإن اختيار العلامات اللغوية بشكل عام،

(1) أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، المرجع السابق، ص12.

وإشارات الزمان والمكان بشكل خاص لها بالغ الأهمية في تكوين الخطاب»[1]، تكمن أهمية تكوين الخطاب، فإنه فعل متعدي بين أكثر من طرف فهو يتجاوز الأفراد إلى الجماعات في تراكيب لغوية تستدعي التحليل للوقوف عند حقيقة مشتركة تميز الخطاب التواصلي بين الشركاء اللغويين، وهذا ما يشرحه العنصر الموالي، فماذا نقصد بالمعرفة المشتركة؟

- **المعرفة المشتركة**: هي المعرفة الناتجة من وراء المقاصد الخطابية، تتجلى أثارها في المنجز اللغوي داخل السياق التي يخضع لجملة ظروف ومتغيرات وعوامل مركبة، يدرك غاياته التحليل اللغوي للكلمات والمعاني: «إن سعي المحلل اللغوي لإدراك المعنى التركيبي يتطلب أكثر من وجود مرسل ومتلقي وزمان ومكان فقط، فشخصية المرسل والمتلقي وما يملكانه من معرفة مشتركة تشكل أساسًا ينطلق منه المرسل في إنتاج خطابه والمتلقي في الوصول إلى غاية المرسل، وما تحمله التراكيب من أقوال مضمرة تقترن بسياق الخطاب، وما يقوم به طرفا الخطاب من خروج على قواعد التخاطب فيعبر المرسل عن غاياته ومقاصده بغير ما توحي به الكلمات، ويفهم المتلقي غاية المرسل أمور يجب على المحلل اللغوي الأخذ بها عند التحليل»[2]، غير أن هذه العناصر لا يمكن أن تحقق عمل ايجابي تداولي ما لم تخضع لقواعد تسيرها وتنظمها في سياقاتها التداولية من أجل ممارسة وظائفها بمختلف ميادينها الفاعلة، فما هي وظائف التداولية المتعددة.

(1) أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، المرجع السابق، ص16.

(2) أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، المرجع نفسه، ص19.

3- وظائف التداولية ومجالاتها:

تقترن التداولية (**Pragmatics**) بمجالات رباعية تتعلق بطبيعتها اللغوية والفلسفية العملية وهي:

1. «**دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم**: دراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب ويفسره المستمع (أو القارئ)، لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة.
2. **التداولية هي دراسة المعنى السياقي**: يتضمن ميدان الدراسة هذا بالضرورة تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق فيما يقال، كما يتطلب أيضا التمعن في الآلية التي ينظم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله وفقا لهوية الذي يتكلمون إليه، وأين، ومتى، وتحت أي ظروف.
3. **دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال**: يدرس هذا المنهاج أيضا الكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالات حول ما يقال، للوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم ويبحث نوع الدراسة هذا في كيفية إدراك قدر كبير مما لم يتم قوله على أنه جزء مما يتم إيصاله، بإمكاننا القول إنه دراسة المعنى غير المرئي.
4. **دراسة التعبير عن التباعد النسبي**: يثير هذا المنظار التساؤل حول ما يمكن أن يحدد ما يقال وما لم يتم قوله، ويرتبط الجواب الرئيس بمفهوم التباعد، ينطوي القرب المادي أو الاجتماعي أو المفاهيمي على خبرة مشتركة، حيث يحدد المتكلمون مقدار ما يحتاجون قوله بناءا على افتراض قرب المسمع أو بعده»[1].

---

(1) جورج بول، التداولية **Pragmatics**، ترجمة قصي العتابي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2010، ص ص19-20.

هذا ما جعل مهمة التداولية بناءا على هذا التداخل والتنوع والتعدد تـتلخص في القول أن: «التداولية إ ذا تهتم بالمظاهر السياقية لإنتاج واستقبال الخطـاب، كأشـكال لسانية معزولة غيرت التداولية العلاقات بين العمق والشكل (سياق/محادثـة) بحيـث صارت الحدود المنهجية الواضحة التي ميزت النموذجين الـسابقين شـيئا مفقـودا. وفي الواقع يرى بعـض المحللـين "باريـت" (**Parret 1985**)، و"بيلـوو" (**Pellewe 1990**) ، و"شيغلوف" (**Schegloff 1990**) من بين آخرين؛ بأن الخطاب نفسه هو مـا يـشكل السياق في بعض الأحيان وليس العكس، كما قد يتم التفكـير عـادة، وذلـك مـثلا حـال الخطابات التي تحتوي على عـدد كبـير مـن الكلـمات الخاصـة باللغـات الاصـطلاحية (**Jergas**) المتخصصة التي توفر للمـستمع في الحـال الـسياق الملائـم الـذي يجـب أن تفهم فيه تلك الكلمات»[1]، لذلك: «جاءت وظيفـة التداوليـة فياسـتخلاص العمليـات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي شـكل الثلاثيـة الآتيـة: المرسـل، والمتلقـي، والوضعية التبليغية؛ فالتحليل التداولي يـستلزم بالـضرورة التحديـد الـضمني للـسياق الذي تؤول فيه الجملة»[2]، إذا تتعدد مهام ووظائف التداولية بين الرئيسية والفرعية: «ولعل المتفق عليه أن مهمتها تأكيد فعل السياق في العمليـة التواصـلية وأهميتـه في الكشف عن المغيبات المتضمنة داخل الخطاب والتي كان لها الأثـر الكبـير في تحديـد معـاني النـصوص؛ لـذا كـان هـدفها الـسعي لفهـم العوامـل خـارج لغويـة لتوظيفهـا

(**1**) فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، المرجع السابق، ص ص31-32.

(**2**) بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، المرجع السابق، ص ص37-38.

من أجل فهم أعمق للخطاب. انطلاقاً من حاجة الحدث اللغوي لما يحيط بـه ويـؤثر فيـه خارج النص، وما ورد فيها مـن رد عـلى مـا جـاءت بـه اللـسانيات البنيويـة، ومـا جـاء في طروحات جومسكي من أن اللغـة أداةٌ تجريديـة قابلـة للانفـصال عـن مـستعمليها وعـن استعمالاتها معاً، فضلاً عـن أهميـة عملهـا في ردم الفجـوة التـي كانـت قائمـة بـين البنـى اللغوية المجردة ونظريات التواصل وما يتبع ذلك لـيس مـن إعـادة اللغـة لمـسرح الحيـاة حسب، بل ومن إعادة نبض الحياة للغة التـي هـي واحـدة مـن أهـم تمظهـرات الوجـود الإنساني والكشف عن دواخل هذا الوجود والإيحاء بمضمراته والإعلان عن أهدافه وحفظ جوهر تراثه وحضارته»[1]، ناهيك إلى:

دراسة (استعمال اللغة) التي لا تـدرس (البنيـة اللغويـة) نفـسها، وإنمـا تـروم دراسـة اللغة في الطبقات المقامية المختلفة، أي بوصفها (كلاماً محدداً) صادراً عن (متكلم محدد) وموجهاً إلى (مخاطب محدد) ب (لفظ محدد) في (مقام تواصلي محدد) لتحقيـق (غـرض تواصلي محدد).

- «شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر، وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
- توضبيح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية في دراسة الملفوظات.
- تجسير العلاقـة بـين الأنـشطة الإنـسائية الآتيـة: اللغـة والتواصـل والإدراك؟ بيـان القواسم المـشتركة بـين الفـروع المـشتقلة بهـذه الأنـشطة (أي علـم اللغـة وعلـم

(1) بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، المرجع نقسه، ص15.

التواصل وعلم التفس المعرفي). ودراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي، فتقيم من ثم روابط وشيجة بين علمي اللغة والتواصل.

- العناية بالشروط اللازمة كي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي.
- دراسة كيفية ربط اشتراطات نجاح الملفوظ وأسس التفاعل الإبلاغي بينية الخطاب وتفسيره.
- دراسة مكونات التخاطب (المخاطب، والمخاطب، والخطاب والمساق)، وتأثيرها في المقولات اللغوية من ناحية التفسير والتأويل»[1]، الملاحظ أن جل هذه المهام تقوم على معايير موضوعية ومنطقية واجتماعية ولسانية، تفاعلية، مما يعني أنها ترقى إلى مستوى العلم الشمولي بالجمع بين النظري والتطبيقي والعقل والخبرة في سياق الخطاب والتخاطب المركب.

4- أنواع التداولية ودرجاتها:

لا يمكن الحديث عن أنواع التداولية إلا بالمرور على أهم المرتكزات التي أسس عليها "موريس" الفعل التداولي وغاياته الشمولية، إذا: «تقوم التداولية على مخطط موريس (**Charles Morris, 1938**) الذي يؤسس فيه ثلاثة أجزاء من السيميوطيقا هي: النحو "دراسة علاقة العلامات فيما بينها"، والدلالة (دراسة علاقة العلامة بالمرجع المشار إليه المعبر بها عنه)، والتداولية (دراسة العلاقات بين المرسل والمستقبل وعلاقتهما بسياق الاتصال) وهو في الوقت نفسه يفرق

(**1**) بشير البستاني، <u>التداولية في البحث اللغوي والنقدي</u>، المرجع السابق، ص ص37-38.

بين ثلاثة أنواع من القواعد وفقاً للأبعاد الثلاثة المذكورة، وفيما يتعلق بالقواعد التداولية فإنها "تقدم الشروط التي تستخدم في إطارها تعبيرات، من حيث إن تلك الشروط لا يمكن أن تصاغ بمفاهيم "القواعد النحوية والدلالية"، ولكن ذلك لا ينصرف بالتداولية انصرافاً كاملاً إلى الأبعاد المعيارية، فقد كان أول تحديد لوظيفة التداولية في حقل اللسانيات هو تحديد تشارلز موريس الدلالة تبحث في علاقة العلامات بمدلولاتها، والتداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها الذي أقر دور الرؤية التداولية في عملية التأويل، وإن أخذ المؤول (**Interpretant**) في الاعتبار قد سبقه في رؤية تشارلز ساندرز بيرس الذي جعل المؤول هو الحد الثالث داخل البناء الثلاثي للعلامة وفق تصوره "فالعلامة هي "ماثول" (**Representamen**) يجين على موضوع اعز عبر مؤول (**Interpretant**)، ويشكل المؤول أداة التوسط الإلزامي الذي يقود معطيات التجربة الصافية إلى التزين بزي القانون والضرورة والفكر. إن غياب العنصر الثالث داخل سيرورة إنتاج العلامة معناه الاقتصار على تجربة فعل لا تعرف الفكر ولا تعرف الماضي ولا المستقبل، إنها مثيرات لحظية تنتهي بانتهاء اللحظة التي أنتجتها»[1]؛ إن هذا المحتوى يشرح أبعاد درجات التداولية ومضامينها، لأن التداولية تسعى لوضع نظام سياقي ثلاثي الأبعاد (يحاول الربط بين الإحالة والمعنى والفعل الكلامي)، أذا هناك العديد من أنواع التداوليات مما وجد الكثرة في تصنيفها بحسب سياقها منها الآتي:

(**1**) عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول لنقد الأدبي، العدد66، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص36.

1-4- أنواع التداوليات:

يمكن تحديد الأنواع الآتية حسب ما تشير إليه المصادر والمراجع:

- «التداولية الاجتماعية (**Socio Pragmatics**) التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.
- التداولية اللغوية (**Linguistics Pragrmatics**) التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية (**Structural**).
- التداولية التطبيقية (**Applied Pragrmatics**) وهي تُعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة ك (الاستشارات الطبية، وجلسات المحاكمة).
- التداولية العامة (**General Pragrmatics**) وهي التي تعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً»[1]، التداولية بهذا المعنى لا تخرج عن تفعيل الممارسة اللغوية كفاعلية تواصلية تربط بين الأفراد والسياق التواصلي بمختلف قضاياه ومجالاته، لذلك تتعدد إلى:
- تداولية صغرى (تتجه نحو للسياقات الجزئية)، تداولية كبرى (تتجه نحو السياقات الاجتماعية)، كما نتحدث عن- ما وراء التداولية- (التي تتجه نحو وعي للناس التداولي)، فالميادين المفضلة لدى التداولية هي التربية (حيث اللغة في الوقت ذاته وسيلة وموضوع) وفي علاقات المساعدة (الطبيب والمريض في علم النفس العلاجي...) الخطابات الإعلامية والمناورات (للسياسة، والإشهار، ووسائل الإعلام) وللخطابات العلمية»[2]، بمعنى أن

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص38.

(2) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص38.

التداولية ذات أبعاد استعمالية وفورية في سياق التعاون والتواصل والتبادل... السبب الذي جعل لها خطوات أو درجات تعكس مستوى كل مرحلة من مراحل الممارسة التداولية، فما هي درجات التداولية وما طبيعة العلاقة بينها؟

2-4- درجات التداولية:

تتوزع درجات التداولية على ثلاثية مهمة هي:

- «تداولية الدرجة الأولى: النظرية التلفظية (**Enonciation**).
- تداولية الدرجة الثانية: النظرية الحجاجية (**Argumentation**).
- تداولية الدرجة الثالثة: نظرية الأفعال الكلامية (**Actes du Language**) ويهتم هذا النوع من التداول باللغة بوصفها مظهرا فعليا (حديثا)»[1]، التداولية إذا تعالج مشكلات اللغة الصريحة، وتحاول الكشف عن مشكلات اللغة الضمنية من خلال السياق التواصلي لفعل اللغة، هذا ويمكن الحديث عن مجموعة من التداوليات والتيارات الذرائعية في الغرب من بينها: «**تيار موريس** الذي يتزعمه كل من بنيفينست، ولاينس، وأوريكشيوني... وقد ركز هؤلاء على نظرية التلفظ، فربطوها بالسياق التواصلي الذي ينبني على المعينات (أسماء الإشارة، والضمائر، وأداة التعريف، وأدوات التملك)، والزمان، والمكان، والصيغ العاطفية والانفعالية، وأحكام التقويم، وتعابير الجهة (جهة

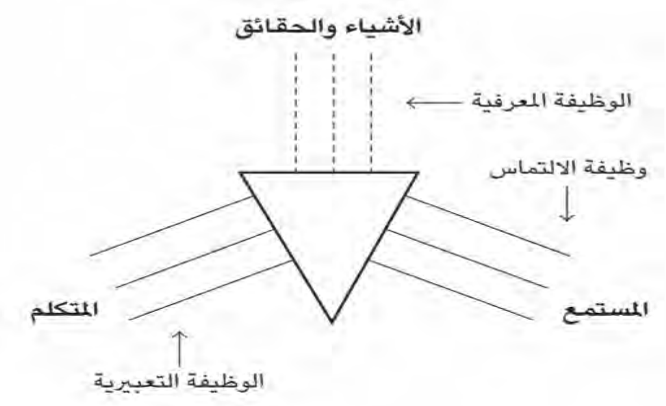
(1) نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، 2013، ص ص19-20.

الضرورة والإمكان، وجهة المعرفة، وجهة الفعل، وجهـة الكينونـة والظهـور) **أمـا تيـار فلاسفة أكسفورد** بما فيهم أوستين وسـورل وجـرايس...، فقـد اهتمـوا بنظريـة أفعـال الكـلام، بمعنـى أن الفعـل الكلامـي يـؤدي إلى تحويـل وضـع المتلقـي، وتغيـير نظـام معتقداتـه، وتبـديل مواقفـه الـسلوكية، ويمكـن الإشـارة كـذلك إلى بعـض التيـارات والنظريات التداوليـة الأخـرى: كالنظريـة التخاطبيـة، والنظريـة التفاعليـة، والنظريـة الحجاجية، والنظرية التلفظية، ونظرية المقصدية، والنظرية التوليديـة الوظيفيـة مـع (فان ديك، وهاليداي، ورقية حـسن، وأحمـد المتوكـل...) وهنـاك **التيـار الـسردي** مـع "كريماسّ"، و"جوزيف كورتيس"، وجماعة "أنتروفيرن"... وهناك **المقاربة التأويلية** مـع "بول ريكور" الذي اهتم كثيرا بالإحالة السياقية، **ومدرسة فرانكفـورت** التـي اهتمـت بدورها بالسياق التواصلي مع هابرماس[*]»[1]، خاصة أن نظريـة "هابرمـاس" للمعنـى براجماتية: «لأنها لا تركز على ما (تقولـه) اللغـة، بـل عـلى مـا (تفعلـه) فهـي نظريـة

(*) هابرمـاس يـورغن (**Habermas Jürgen**) (1929): فيلـسوف يُعَـد مـن أبـرّز ممـثلي مدرسـة فرانكفـورت وأكـثر المنطقيـين بيـنهم، عـالِم اجـتماع درّس الفلـسفة وعلـم الاجـتماع في جـامعتي هايدلبرع وفرانكفـورت. حـاول مـع فلاسـفة آخـرين بيـنهم مـاركوز وهوركهـايمر وأدورنـو، انتقـاد المجتمع وأشكال الاستلاب الحديث تيمنا بماركس، لأنه فهم الماركسية على أنها نظرية نقدية كـبرى بشرط أن تكون جدلية. وجد أن الفلسفة لها مهمة محدّدة وهي المحافظة عـلى إمكانيـة خطـاب عقلاني بدونه لا تشتغل الديمقراطية؛ ودعا إلى فلسفة أنوار جديدة. أهم ما كتب: البنية الـسلوكية للحياة العامة (1962)، النظرية والممارسـة (1963)، التقنيـة والعلـم مـن حيـث هـما إيـديولوجيا، وجوه الفلسفية وسياسية (1971). أنظر: روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانـب، ج2، المرجع السابق، ص523.

(**1**) جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص ص11-12.

ل (اسخدام) اللغة، وينطلق هابرماس من تعريف للغة عند كارل بوهلر (1963-1879) المنظر اللغوي الألماني، باعتبارها (أداة ينقل بها المرء فكرة للآخر عن العالم) وينسب بوهلر ثلاث وظائف للغة تقابل منظور المتكلم والمخاطب والغائب على الترتيب؛ ألا وهي: الوظيفة (التعبيرية) للفصاح عن تجارب المتكلم، ويوضح مخطط بوهلر الطبيعة الثلاثية للتواصل»[1].



نموذج الأورجانون لدى كارل بوهلر للغة[2]

"هابرماس" يركز على فعل الكلام في سياقه التداولي المشرك لتوليد معاني التواصل: «ذلك أن الوظيفة البراغماتية للكلام هي الانتقال بالمتحاورين إلى نقطة فهم مشتركة، وتحقيق الإجماع الذاي المشترك، وأن هذه الوظيفة تتمتع بأفضلية على وظيفة الدلالة على واقع العالم المعاني عند هابرماس لا تحددها علاقة المتكلم بالعالم الخارجي، بل علاقته بمحاوريه، فالمعنى في الأساس يوصف بأنه

(1) جيمس جوردن فينليسون، يورغن هابرماس- مقدمة قصيرة جدا، ترجمة أحمد محمد الروبي، مراجعة ضياء وراد، (د.ط)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2015، ص49.

(2) نقلا عن: جيمس جوردن فينليسون، يورغن هابرماس- مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص49.

بين ذواتي لا موضوعي، وليس علاقة ثنائية القطب بين الكلمات والأشـياء»[1]، هـذا الفعـل التواصلي يحتكم إلى عوامل أربعة لفهم معنى الكـلام الملفـوظ في سـياق الفعـل اللغـوي، وهي: {

1. إدراك معناه الحرفي
2. تقييم المستمع لنيات المتكلم
3. معرفة الأسباب التي يمكن الاستدلال بها لتبرير الكلام ومحتواه
4. قبول هذه الأسباب؛ ومن ثمة ملاءمة الكلام»[2]؛ إذا الوعي الصحيح هـو الـذي يجعـل التواصل عقلاني وعملي.

إن تعدد التداولية يبقي عـلى منهجهـا وموضـوعها وإن اختلفـت التفاسـير: «يميـز "موريس" بين التداولية المحضة، والتداولية الوصفية، وتحيل (المحضة) على إنجاز اللغة أو الكلام على البعد التداولي للسيميوزيس، فالمفاهيم الأساسية للتداولية هي تلك التي نجدها للمؤوّل، والمؤوّل، والعرف (المطبق عـلى العلامـات) عـلى اعتبـار أنهـا (وظـائف علامات) للتثبت والفهم، ونجد تكويناً تداوليا لمفاهيم مهمة أخرى للسيميائية، كعلامة، ولغة، وحقيقة، ومعرفة، وتفـترض التداوليـة بـذلك وجـود النحـو والدلالـة، ويجـب أن نعرف أنها تمثل علاقة العلامات فيما بينها وبين الأشياء، إذا شـئنا أن نقـف عـلى علاقـة العلامات بالمؤولات»[3]؛ ويوضح "موريس" أهميـة العلامـة الـسيمائية في الكـشف عـن

(1) جيمس جوردن فينليسون، يورغن هابرماس- مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص ص50-54.
(2) جيمس جوردن فينليسون، يورغن هابرماس- مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص54.
(3) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص30.

المعنى العلائقي والضمني لا الشكلي بين سياقات العمل التداولي وشروطه حيث: «يطلق موريس، بعد بيرس، السيميوزيس على السيرورة، التي يعمل بموجبها شيء ما، كعلامة، ويلاحظ، من خلال طريقة تعود إلى الإغريق، والتي يتعلق الأمر باستعادتها واستمرارها، يلاحظ أن هذه السيرورة تقوم بتحريك ثلاثة عناصر: أي ما يعمل كعلامة (معضدة)، وما تحيل عليه هذه العلامة، ثم الأثر الحاصل على المؤول، وهو أثر يصير الشيء بموجبه علامة بالنسبة للمؤول كالتالي: {

- السيارة، علامة (س).
- لإشارة (د) سيميوزيس.
- المؤول (المؤول) (ي).

فالسيميوزيس هي رد فعل، يتوسط بعض الإدراكات، إذإن (ص)، و(د)، و(ي))}[1]، هذه الشروط والروابط العلائقية بين الدلالات تجعل التداولية: «لا تنتمي إلى أي من مستويات الدرس اللغوي صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا لذلك فالأخطاء التداولية لا علاقة لما بالخروج على القواعد الفونولوجية أو النحوية أو الدلالية، وهي ليست مستوى يضاف إلى هذه المستويات، لأن كلا منها يُختص بجانب محدد ومتماسك من جوانب اللغة، وله أنماطه التجريدية ووحداته التحليلية، ولا كذلك التداولية، فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعا، وليس لها أنماط تجريدية

---

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص30.

ولا وحدات تحليل»[1]، فهذه الأنواع الوظيفية للفعل التداولي، أثمرت جملة مـن الـسمات اللسانية والفلسفية والمنطقية والعلمية ميزت التداولية عن غيرها مـن المـدارس اللـسانية المعاصرة، فما هي أهم خصائصها النظرية والعملية التـي جعلتهـا مـن أكـثر الموضـوعات ذيوعا وتعقيدا؟

5- خصائص التداولية:

للتداولية سمات تميزه عن غيرها من المدارس اللغوية يمكن حصر بعضها في الآتي:

1. التداولية تقوم على دراسة الاسـتعمال اللغـوي أو هـي لـسانيات الاسـتعمال اللغـوي. وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هـو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى.
2. لـيس للتداوليـة وحـدات تحليـل (**Units of Analysis**) خاصـة بهـا ولا موضـوعات مترابطة (**Correlation Topics**).
3. التداولية تدرس اللغة من وجهـة وظيفيـة عامـة: معرفيـة (**Cognitive**) واجتماعيـة (**Social**)، وثقافية (**Cultural**).
4. تعد التداولية نقطة التقاء (**Point of Convergence**) مجالات العلـوم ذات الـصلة باللغـة بوصـفها وصـلة بينهـا وبـين لـسانيات الـثروة اللغويـة (**Linguistics of language resources**).

(1) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص10.

5. التداولية لا تنتمي إلى أي من مستويات الدرس اللغوي (صوتية كانت أم صرفية أم نحوية أم دلالية)، كما أنها لا تمثل مستوى يضاف إلى هذه للمستويات، العدم وجود أنماط تجريدية ووحدات تحليلية تمثل هذا المستوى، فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعًا. وهذا لا يعني أن التداولية ليس لها دور في إنتاج الكلام، بل على العكس، فهي تمثل جزءًا من القالب النحوي المندرج ضمن عناصر المقدرة الاتصالية، لأنه يبحث في جدوى الكلام والشروط الضرورية التي يتم بها التواصل بين المتخاطبين، ليقوم الكلام بالوظيفة التي وجد من أجلها. وإن كان هناك من الباحثين مثل "فيث" (**1998**) من المقترح إدراج للعناصر التداولية في قالب مستقل أسماه ب "القالب التداولي".

6. إن التداولية ينهض بها تداوليون مختلفون يصدرون عن اختصاصات مختلفة، ويشتغلون على ظواهر متعدّدة. وتأثرت التداولية بما جرى بينهم من حوارات ومناقشات واختلافات، ومن ثم فإن هويتها في تعددها}[1].

بناء على هذه الخصائص الإجرائية: «نسب (للتداولية) الاهتمام بالعلاقات التي تربط بين المستخدم والعلامات، أي بعلامات التأويل. كانت فكرة التداولية هذه فضفاضة جدا بالمقارنة مع المفهوم الذي تستعمل به حاليا، وكانت تُرَاكِم إضافة إلى ذلك مشاكل ذات طبيعة مصطلحية، إذ أن موريس كان يستعمل تسمية تداولية ليس كقسم من علم العلامات فحسب، بل أيضا كخصائص لموضوع دراسة هذا التخصص»[2]؛ إذا في كل زاوية المعرفة وميادين العلم تستقر الخصائص بمتانة

(**1**) نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، المرجع السابق، ص ص14-15.
(**2**) فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، المرجع السابق، ص29.

الأصول في قيمة المهام التداولية وغاياتها بتميزها وتفردها بخصوصية تفصل في طبيعتها عـن غيرها من اللسانيات فهي تتفرد بأبعاد وظيفية وعلمية منها:«

- التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغـوي أو هـي لـسانيات الاسـتعمال اللغـوي، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هـو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعني.
- لـيس للتداوليـة وحـدات تحليـل (**Units of Analysis**) خاصـة بهـا ولا موضـوعات مترابطة (**Correlational Topics**).
- التداوليـة تـدرس اللغـة مـن وجهـة وظيفيـة عامـة: معرفيـة (**Cognitive**) واجتماعيـة (**Social**)، ثقافية (**Cultural**)»[1]، هذه الخصائص هي التي ميزت أعمال ممثلي الاتجاه التداولي من حيث التمايز والتميز والشراكة العملية في مشروعاتهم لخدمة التداولية، فما هي أهم النماذج الفكرية ونظرياتها التي حاولـت تفـسير حقيقـة التدواليـة مـن خـلال علاقتها بالعقل واللغة والواقع أو الفعل؟

(**1**) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص ص13-14.

المحور الثالث

النظريات التداولية المعاصرة

وأهم أعلامها

تمهيد

عرفت التداولية نقلت مميزة على مستوى المسائل والحدود والمنهج، لاسيما في مرحلة الخمسينات، كما هو ورد في الكثير من المراجع التي تعنى- بالتداولية- «فقد كانت حاسمة في صياغة معالم التداولية، خاصة مع سلسلة من المحاضرات التي ألقاها "أوستن" سنة 1955 بجامعة هارفرد حول فلسفة "ويليام جيمس"، حيث بلور في هذه المرحلة مبحثا محوريا تناقلته الدراسات التداولية اللاحقة خاصة "سورل"، مداره حول أفعال الكلام حيث بين أوستين من خلاله أن عددا هائلا من الجمل الخبرية التي نستعمل لا تصف العالم إنما تغيره، أي أنها جمل مفيدة، علاوة على محاضرات أوستن كانت جهود "بول غرايس" هي الأخرى مؤثرة وحاسمة حيث بلور مقاله (**Logic and Conversation**) ما يعرف بنظرية المحادثة، أوضح من خلالها أن تأويل ملفوظ ما يعتمد على عاملين هما: **معنى الجملة المتلفظ بها** من جهة **وسياق التلفظ** (سواء أكان لسانيا أو خارج لساني) من جهة أخرى وإلى هاذين العاملين أضاف غرايس ما سماه مبدأ التعاون»[1]، بعد هذه الإشارات التعريفية والسطحية سنحاول معرفة مشروع كل عالم لغوي من الذين مثلوا الاجتهادات المعاصرة التي أشرنا إليها أعلاه، ونقصد بذلك استعراض مخصص وموجز عن النظريات التداولية المعاصرة لثلاثي التداولي- أوستن، سيرل، جرايس- في العرض الآتي أدناه:

(**1**) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص249.

1- أهم النظريات التداولية المعاصرة:

1-1- نظرية أفعال الكلام (Les actes de language) عند "أوستن"(*):

يعتقد ثلة من المختصين في الشأن التـداولي أن: «ظهـور نظريـة أفعـال الكـلام يعتـبر ثورة على عدّة مستويات. فعلى مستوى الفلسفة تعتبر النظرية ضربة للفلـسفة الوضـعية (**Positivism**) كما سنوضح عند التعرّض للقيمة الفلسفية للنظرية، وعـلى مـستوى علـم اللغـة تُعـدَ النظريـة تحـديًا لنظريـة (جومـسكي) في النحـو التحـويلي، ذلـك أن نظريـة (جومسكي) تعتمد النحو وعلم الدلالة أساسًا لها، وعلم الدلالة أثبت قصوره لأنـه يتعامـل مع اللغة مجردةً عن السياق والاستعمال الفعلي، و(جومسكي) يتعامـل مـع اللغـة كنظـام من القواعد التي يستخدمها مُتكلّم نموذجي ومثالي في موقف نمـوذجي ومثـالي، فنظريتـه تنطوي على الكثير من المثالية فضلًا عن أنها من نظريات علم اللغة المصغّر الـذي يبحـث في التفاصيل الشكلية وينسى دور اللغة كوسيلة اتصال فعلية بين أفراد المجتمع.

وباستخدام مصطلحات (سوسير) يمكننا أن نقـول إن نظريـة (جومـسكي) هـي في النهايـة تعـالج النظـام اللغـوي المجـرّد (**Langue**) ولـيس الكـلام الفعـلي (**Parole**) وبمصطلح (جومسكي) نفـسه فـإن نظريتـه تعـالج الكفـاءة (**Competence**) ولـيس

(*) أوستن جون لانغشو (**Austin john langshaw**): فيلسوف إنجليزي ولد في لانكستر عام 1911م وتوفي في أكسفورد عام 1960م، كان من ممثلي "المدرسة التحليلية" التي سميت "بمدرسـة اللغـة العاديـة" أو كذلك مدرسة "أكسفورد"، وجه مبحثه نحو فحص قواعد "اللغة العاديـة" والاسـتعمال اللغـوي العـامي والجمعي، حيث جعل للغة العادية دورا تأسيسيا في الفلسفة والمنطق، له عدة أعمال منها "كيف نفعل الأشياء بالكلمات" و"المعنى والحساسية". نقلا عن: جورج طرابيشي، معجم الفلاسـفة، المرجـع الـسابق، ص117.

الأداء (**Performance**)»[1]، ويمكن القول إن: «البداية الفعلية للتداولية تبلورت من أعمال فلاسفة اللغة، لاسيما مناقشات "جون اوستن" (**J. Austin**) عام 1950 في جامعة هارفارد، ويجب أن نذكر هنا أنه لم يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، وإنما توخى تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة. ووضع (أوستن) وتلميذه (سيرل) نواة التداولية، وطورا من وجهة نظر تحليلية مفهوم (الفعل اللغوي) وفي العام 1957 نشر فيلسوف آخر هو "بول غرايس" مقالاً في الدلالة كانت له أهمية تاريخية، وبعد مرور عشر سنوات ألقى "غرايس" محاضرات وليام جيمس هذه المحاضرات التي لم تسمع فقط بإحداث تقدم في مستوى معرفتنا باللغات الطبيعية، وإنما أحدثت تغيراً طال حتى هندسة اللسانيات، فاكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح آفاقاً أرحب وأنتج أسئلة جديدة ستكون مسوغاً للاعتراف بالتداولية بوصفها أحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة، البحث الذي يولي الشروط الخارج-لغوية أهمية قصوى والمتعلقة بالمقام والمتكلمين ومقاصدهم، وحيثيات الاستعمال والأفعال اللغوية، أو بعبارة التوليديين أصبحت جزءاً من دراسة الانجاز»[2]، ومنه: «لا يفوتنا أن نذكر أن نظرية أفعال الكلام بصورة خاصة والفعليّات بصورة عامّة أضعفت من سطوة علم دلالة شروط الصدق (**Conditinal Semantics**). وهو علم يدعو إلى الاقتصار على دراسة القضايا اللُغويّة إلى يمكن التحقق من صدقها أو كذبها. لذلك فهو يقتصر على دراسة الخبر أو المقولة الخبرية فقط لأنها النوع الوحيد الذي يحتمل

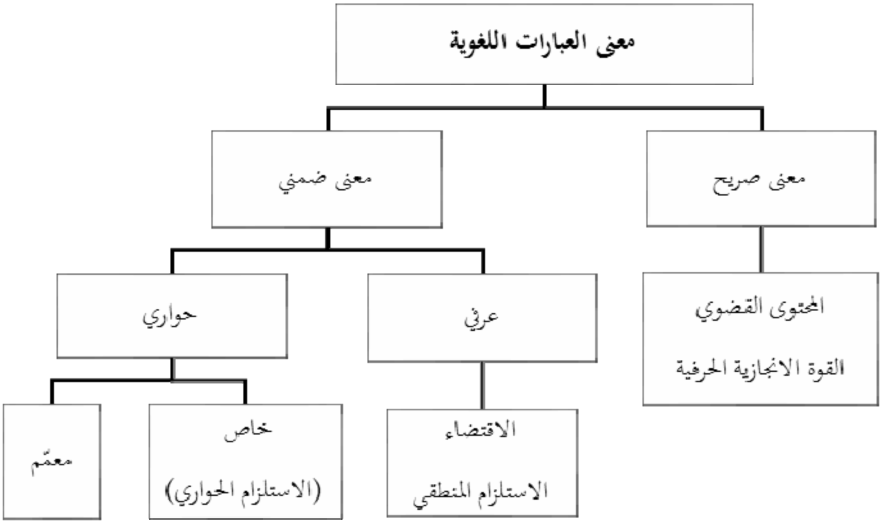
---

(1) هشام إبراهيم عبد اللـه الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص ص20-21.
(2) بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، المرجع السابق، ص ص35-36.

الصدق والكذب. أما بقيّة أنواع الجمل الإنشائية كالاستفهام والطلب وغيرها، فقد أهملت لأنها تسبب مشاكل لعلم الدلالة يصعب حلّها، لكن علم دلالة شروط الصدق قاصر كأداة لتحليل اللغات الطبيعية (**Natural Languages**) التي يستخدمها البشر في التخاطب، لأن هذه الأخيرة لا تقتصر على الأخبار التي تحتمل الصدق والكذب، وهكذا جاء علم الفعليّات ليسدّ هذا الفراغ وليعالج ويحلّل كل الظواهر التي رماها علم الدلالة إلى سلة المهملات لقصوره في معالجتها»[1]، وعليه تكون التداولية قد نقلت اللغة من مظاهر الصورية، الصرف والنحو والحركة إلى ميدان الفعل والمعنى والمقصد.

إذا يعد الفيلسوف اللغوي "أوستن" من بين المدافعين الشرسين على أهمية ودور اللغة الطبيعية غير أنه: «لم يعنى فلاسفة اللغة العادية بجوانب أخرى من تداوليات اللغات الطبيعية كالجوانب المرتبطة بالبنية الإخبارية للجملة عنايتهم بالإحالة والاقتضاء والأفعال اللغوية والاستلزام الحواري»[2]، لذلك اقترحوا تحليلا لها وهذا ما يوضحه لنا المخطط الآتي:

(**1**) هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص ص21-22.
(**2**) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ط1، مطبعة عكاظ، الرباط، 1989، ص**32**.



المصدر: أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري**، مطبعة عكاظ، الرباط، 1989، ص29.

ويمكن شرح المراد من الإحالة والاقتضاء والأفعال اللغوية والاستلزام الحواري كمايلي: «يقصد بالإحالة العلاقة القائمة بين العبارة اللغوية والشخص (أو الشيء) التي تحيل عليه في الواقع (العالم الخارجي) ويميز بالنسبة للعبارة اللغوية بين ثلاثة أبعاد: "الدال" وهو سلسلة الأصوات المكونة للعبارة و"المدلول" (أو المعنى) وهو المفهوم المجرد الذي ينتظم طبقة الأشخاص (أو الأشياء) التي تحيل عليها العبارة اللغوية و"المدلول عليه" (أو المرجع) وهو ما تحيل عليه العبارة في العالم الخارجي (الواقع) وينزع جل فلاسفة اللغة العادية إلى إقامة تقسيمهم للعبارات اللغوية من حيث نوع إحالتها على أساس تداولي، فالعبارة المعينة عندهم هي العبارة التي تحمل من المعلومات ما يجعلها كفيلة بتمكين المخاطب من التعرف على ما تحيل عليه»[1]، الإحالة تعنى بتدوير المعنى داخل السياق العملي وأفعال الكلام ومقاصده.

(1) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفة، المرجع السابق، ص ص19-20.

- **الاقتضاء:**

ارتبط ظهور مفهوم الاقتضاء في فلسفة اللغة العادية، بمفهوم الإحالة وكان الفيلسوف فريجه أول من نبه إلى وجود علاقة بين هذين المفهومين حيث لاحظ أن صدق جملة ما متضمنة لاسم علم يقتضي أن تكون لهذا الاسم العلم إحالة، فاقتضاء جملة كالجملة مثلاً، هو أن يحيل الاسم العلم "كبلر" على شخص ما: (مات كبلر فقيراً) ولاحظ الفيلسوف نفسه أن اقتضاء الجملة المثبتة هو نفس اقتضاء الجملة المنفية مقابلتها بمعنى أن الدلالة المقتضاة هي الدلالة التي لا تنفى بنفي الجملة. ويتبين إبقاء النفي على الاقتضاء من المقارنة بين الجملة ومقابلتها المنفية: (لم يمت كبلر فقيراً)[1].

- **الأفعال اللغوية:**

درج المناطقة الوضعيون على اعتبار شروط الصدق المعيار الوحيد الذي يجب اعتماده في الحكم على جملة ما من حيث دلالتها، فالجمل التي تحتمل أن يقال عنها إنها صادقة أو كاذبة هي الجمل الدالة في مقابل الجمل التي لا دلالة لها، أي الجمل التي لا تحتمل الصدق ولا الكذب، وكان من نتائج اعتماد هذا المعيار أن قلصت العبارات اللغوية إلى فئة واحدة، العبارات الخبرية التي تمتاز بخاصيتين: (أ) وصفها لواقع معين و(ب) احتمالها للصدق أو الكذب بالنظر إلى الواقع الموصوف[2].

(**1**) أحمد المتوكل، <u>اللسانيات الوظيفة</u>، المرجع السابق، ص20.

(**2**) أحمد المتوكل، <u>اللسانيات الوظيفة</u>، المرجع نفسه، ص21.

على أساس هذا التباين، يقترح أوستين التمييز بين صنفين اثنين من العبارات (أو الجمل): "العبارات الوصفية" و"العبارات الإنجازية".

تمتاز العبارات الإنجازية بالخاصيتين السابق ذكرهما، أي عدم احتمالها للصدق أو الكذب وتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها. ولكي تتوفر هاتان الخاصيتان في عبارة ما (لكي تكون العبارة عبارة إنجازية) يجب إرضاء الشروط المعجمية والنحوية الآتية: تضاف إلى الشروط المعجمية والنحوية شروط غير لغوية (شروط مؤسسية) بالنسبة لبعض العبارات الإنجازية، فالعبارة "زوجتك ابنتي"، يشترط في تحقق مدلولها (إنجاز- يجب أن يكون الفعل الرئيسي للجملة فعلاً منتمياً إلى طبقة الأفعال الإنجازية (قال، وعد، سأل، حذر، أوعد).

عندما تبيّن لأوستن تعتذر الاحتفاظ بالتمييز الأصلي- بين المنطوقات الأدائية والمنطوقات التقريرية وضح "أوستن" الطرق العديدة التي يكون فيها: «قول شيء ما "هو" فعل لشيء ما، أو "في" قول شيء ما تؤدي شيئاً ما، أو "عن طريق" قول شيء ما نؤدي شيئاً ما، تلك طرائق ثلاثة متتالية لأداء الفعل؛ الأول منها هو الفعل التعبيري (**Expressive Verb**) والثاني هو الفعل الغرضي (**Purpose Verb**) والثالث هو الفعل التأثيري (**Affective Action**). ويهتم أوستن بدراسة الفعل التعبيري من أجل المقابلة بينه وبين الفعل الغرضي من قبيل: أراهن، وألتمس، وأعد، والذي يؤديه المرء "في" قول شيء ما، والفعل الفرضي متعارض بدوره مع الفعل التأثيري شأنه في ذلك شأن الفعل التعبيري، ويؤدي المرء الفعل التأثيري مثل: يقنع، بحث، يرعب، كنتيجة لما يلفظه من قول، إن هذه الأفعال الثلاثة تقال لتكون تجريدات من الفعل الكلي (**Total Verb**) وهو الموضوع

النهائي والغرض الأساسي لدراسة أوستن، وتعد دراسة هذه الأفعال ذات أهمية عظيمة ليس فحسب للفلاسفة؛ بل وأيضاً للنحاة وعلماء الأصوات اللغوية»[1]، وذلك للإلمام بين الأفعال المنطوقة والأدائية وأغراضها الفعلية حيث: «ينتقل أوستن من مستوى البحث في تحليلي "وظيفة اللغة" أو "استعمال الجملة" كفعل قول شيء ما بالمعنى العادي التام للقول وهو الفعل التعبيري، إلى مستوى آخر يرى من الضروري أن نميز فيه بين ما يقوله المرء وبين الفعل الذي يؤديه ("في" قول ما يقول، وهو الفعل الغرضي (**Purpose Verb**)»[2]، ذلك أن: «فكرة أفعال الكلام أو أفعال اللغة من أهم المبادئ في الفلسفة اللغوية الحديثة، ومجالا لنشأة التداولية وتطورها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية، وتعني أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه، وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما، يطلق عليه مقياس الصدق والكذب»[3]، غير أن "أوستن" يرى غير ذلك حيث:

«تثير آراء أوستن حول الحقيقة تحديين أساسيين للدلالات، أولها وأكثرها إلحاحًا هو الإيحاء بأن حقيقة أو زيف الجملة التصريحية بدون مؤشرية صريحة (مثل الجملة "القطة على الحصيرة") لا تزال تعتمد على السياق، يستخدم أوستن حساسية السياق من هذا النوع المتمرد ليجادل ضد فكرة أن شروط الحقيقة يمكن

---

(1) صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، المرجع السابق، ص183.

(2) صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، المرجع نفسه، ص193.

(3) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق، ص89.

اعتبارها جانبًا مهمًا من معاني فئة كبيرة من الجمـل، التحـدي الثـاني هـو هـذا: إذا كانـت إسهامات الحقيقة هي أفعال تصنيف، فربما تكون هذه الإسهامات ذاتية وتتعلق بأغراض المتحدثين، يسلط أوستن الضوء على إحجامنا عـن تـسمية العبـارات التـي قـد تـصدر مـن خلال نطق "فرنـسا سداسـية" أو "بلفاسـت شـمال لنـدن" أو "بيتهـوفن كـان سـكيرًا" إمـا صحيحة أو خاطئة، هذه العبارات هي ببساطة تقريبية: في العديد من المناسبات تكون في الواقـع ليـست صـحيحة ولا خاطئـة»[1]، حـذر مـن هـذه المبالغـة "أوسـتين" مـن خـلال: «محاضراته بجامعة "هارفارد" سنة 1955، حيث نبه إلى أن دلالة الجملة في اللغة لعاديـة ليست بالضرورة إخبارا، فهي ليست مقيدة دائما بأن تحيل إلى واقـع فتتحمـل الـصدق أو الكذب بقدر ما تطمح لتغيـيره سـلم الفلاسـفة والمناطقـة لأمـد طويـل مـن الـزمن، بأننـا نستعمل اللغة لوصف الواقـع، لـذلك تظـل الجمـل خاضـعة لمعيـار الـصدق والكـذب[2]، فتكون الجمل صادقة إذا طابقت الواقع وكاذبة إذا خالفته، غير أن "أوستن" وخلافا لهؤلاء اقترح قسما ثانيا من العبارات إلى جانب "العبـارات الوصـفية" هـو "العبـارات الإنجازيـة" التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها.

---

(1) Zoltán Szabó and Thomason Richmond, Philosophy of Language (Cambridge Textbooks in Linguistics), Op- cit, p120.

(2) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداوليـة مـع محاولـة تأصـيلية في الـدرس العـربي القـديم، المرجـع السابق، ص90.

2-1- أنواع الأفعال الكلامية عند "أوستن":

وميز فيها بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

1. «**فعل قولي (Locutoire)**: يقابل التلفظ بالأصوات (فعل قولي)، والتلفظ بالتركيب (فعل تركيبي)، واستعمال التراكيب حسب دلالتها (فعل دلالي).
2. **فعل إنجازي "القول الفاعل" (Illocutio)**: يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه: يعد، يخبر، يعجب، ينذر، ويشمل (الجانب التبليغي والجانب التطبيقي).
3. **فعل تأثيري "إستلزامي" (Perlcution)**: يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن (يرعبه، يجعله ينفعل...) ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوة إنجازية»[1]، هذا التمييز ليس عشوائي بل قائمة على اجتهادات.

«ففي نهاية المطاف توصل (أوستن) إلى أن كل المقولات التي لا تحتمل التصديق والتكذيب هي إنجازية، فقد وسّع مفهوم الإنجازية ليشمل (الإنجازية الصريحة) و(الإنجازية الأوّليّة) أو (غير الصريحة) على السواء. فالإنجازيات من النوع الذي تتوافر فيه المواصفات الشكليّة التي ذكرها هي إنجازيات صريحة كما في حالة ألفاظ العقود والفسوخ، أما الإنجازيات التي لا تتوافر فيها تلك الشروط الشكليّة فهي الإنجازيات غير الصريحة وهي تقابل لدي العرب بقية أنواع الإنشاء الطلبي أو غير الطلبي، وهكذا فإن الإنجازية بهذا المعنى الواسع تقابل الإنشاء

---

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق، ص ص96-97.

بكل أنواعه، بل إن (أوستن) قد انتهي به الأمر إلى القول بأن الإخبار أيضًا نوع من الإنجاز لفعل كلامي، فبهذا المع الواسع للمصطلح لا تغطي الإنجازية الإنشاء بنوعيه فحسب بل وتغطي الخبر أيضًا بحيث نستطيع أن نقول إن (نظرية أفعال الكلام) تقابل لدي اللغُويين العرب (مبحث الإنشاء والخبر)»[1]، والفعل الانجازي خص له "أوستن" تصنيفات ففي ما تجلت؟

3-1- تصنيف الأفعال الانجازية عند "أوستن":

تتشكل الحقيقة عند "أوستين" فعل قولي وقول فاعل وفعل تأُثيري كلها أفعال تقع داخل سياق الدلالة ودوائر الحقيقة والانجاز حيث يعد "أوستن" (05) أصناف من الأفعال مزيج بين الفرنسية والانجليزية على النحو الآتي:

- «**الحكمية (Verdictifs)**: وتقوم على الإعلان عن حِجم، تتأسس على بداهة أو أسباب وجيهة، تتعلق بقيمة أو حدث. مثال: إخلاء الذمة، واعتباره مثلا، كوعد، ووصف، وحلل، وقدّر، وصنف، وقرم، وطبع.
- **التمْرُسِية (Exercitifs)**: وتقوم على إصدار قرار لصالح، أو ضد سلسلة أفعال مثال: أمر، وقاد، ودافع عن، وترجى، وطلب، وتأسف، ونصح. وكذلك: عين، وأعلن عن بداية جلسة، وأغلق، ونبه وطالب.
- **التكليف (Commissifs)**: ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة مثال: وعد، وتمنى، والتزم بعقد، وضمن، وأقسم، والقيام بمعاهدة، والاندماج في حزب.

(**1**) هشام إبراهيم عبد اللـه الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص ص31-32.

- **العرّضـية (Expositifs)**: وتــستعمل لعــرض مفــاهيم، وبــسط موضــوع، وتوضــيح استعمال كلمات، وضبط مراجع. مثال: أكد، وأنكر وأجاب، واعـترض، ووهــب، ومثـل، وفسر، ونقل، أقوالا.
- **السلوكنات (Comportementaux)**: ويتعلق الأمر هنـا بـردود فعـل اتجـاه سـلوك الآخرين وتجاه الأحداث المرتبطة بعن، إنها تعابير مواقف تجاه السلوك والمصير مثال: الاعتداء»[1].

نستشف مـما سـبق أن فلـسفة "أوسـتين" اللغويـة كانـت امتـدادا لأعـمال اللغـويين السابقين من المدرسة التحليلية والمنطقية سواء (مدرسـة اكـسفورد أو كمبـيردج) لأن كـلا المدرستين ساهمت تأثيراتها في تطوير الاشتغال اللغوي المعاصر مـما شـكلا منعطـف هـام ومتفرد في تاريخ اللغة وسياقاتها الوظيفية.

2- "جون سيرل"[*] ونظرية أفعال الكلام:

2-1- نظرية أفعال الكلام (المعنى الحرفي والمعنى السياقي) عند "سيرل":

يعد "جون سيرل": «وأول من أوضح فكرة "أوسـتين" الـسابقة، وشرحهـا أكـثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل، إلى جانب بيانـه شروط تحـول فعـل مـن حـال إلى أخرى وآليات ذلك، كما وضح خطوات استنتاج الفعل المقـصود، إذ كـرس جهـوده لإعــادة النظــر في نظريــة أفعــال الكــلام مــن خــلال محــورين متكــاملين، الأول

---

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص ص64-65.

(*) سيرل جون روجـر (Searle Jhon Roger): فيلـسوف أمـريكي ولـد في 1932، مـن ممـثلي فلـسفة التحليل اللغوي، تابع خط فيتجينشتاين وأكد على أهمية أشكال الإيصال اللغوي التي طالما أهملها الفلاسفة من مؤلفاته: أفعال الكلام، فلسفة اللغة. أنظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجـع السابق، ص382.

خصصه لتحليل شروط نجاح الفعل الكلامي، والثاني مداره حول اقتراح نمذجة عامة لأفعال الكلام.

2-2- الأفعال اللغوية عند "سيرل":

هذا التمييز وضحه "سيرل" من خلال أربعة أفعال لغوية: (فعل التلفظ والفعل القضوي والفعل الإنجازي والفعل التأثيري) فعل التلفظ هو إنتاج عبارة لغوية طبقاً للقواعد الصوتية والتركيبية للغة ما ويختزل فعل التلفظ، عند سيرل، الفعلين الفرعيين الصوتي والتركيبي في مقترح أوستين، وينقسم الفعل القضوي إلى فعلين فرعيين اثنين: (الفعل الإحالي) و(الفعل الحملي) ويتم إنجاز الفعل القضوي بشقيه حين تسند إلى ذات ما خاصية ما كما هو الشأن في الجملة»[1]، فالملاحظ أن الفعل التداولي لا يخرج عن سياق وقضية مهما اختلفت سبل التعبير عنه، بحيث ترتبط أهداف الفعل التعبيري أو الكلامي بقيمة المعنى وإدراكنا له، إذا: «يقوم غرض سيرل على الطرح موضع تساؤل للفكرة التي يمكن بها، بالنسبة لكل جملة إدراك المعنى الحرفي لهذه الجملة، في استقلال عن بعض السياقات كيفما كانت، وندعم كون مفهوم المعنى الحرفي لجملة ما لا يجد تطبيقه عامة، إلا بالنسبة لمجموع التصعيدات السياقية القبلية... ويعبر عن المفهوم الذي سأركز عليه في بعض الأحيان، بقولنا بأن المعنى الحرفي لجملة ما هو المعنى الذي نجد لهذه الجملة، في "سياق الصفر" أو في "سياق منعدم".

وتقوم الإستراتيجية المتبعة عند سيرل على اعتبار الجمل، التي يظهر أنها تكون حالات مسعفة للفكرة التي يكون المعنى الحرفي بموجبها مستقلاً عن

(1) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفة، المرجع السابق، ص24.

السياق، وتوضيح نسبية تطبيق مفهوم المعنى الحرفي لجملة ما في كل حالة، فيما يخص تصعيدات سياقية»[1]، يعد التركيز على المعنى ضمن سياق الجمل بمثابة خطة عملية: «وانطلاقا من هذا "الاكتشاف" أكد "سيرل" وثبّت فكرة مفادها أن العنصر الأساسي في التواصل الإنساني ليس مقطعاً داخلياً في اللغة (مثل "الكلمة")، وإنما هو عمل القول أو إنشاء القول، إنّها ولادة لنظرية تُجدَّدُ في العمق تحليل اللغة واللسان: «"إنّ استعمال لسان يعلى تبنّي شكل من السلوك تسيّره قواعد (...) واستعمال اللسان يعنى تحقيقاً لأعمال لغوية (...) وإنّ الوحدة التواصل اللسانية ليست- كما نقترض ذلك عموماً- الرمز أو الكلمة أو الجملة ولا حتى ورود الرمز أو الكلمة أو الجملة ولكنها إنتاج الرمز أو الكلمة أو الجملة أو بثها أثناء تحقق العمل اللغويّ»[2]، وغالبا ما يكون إنتاج المعنى بالنوع القصدي لا كم الكلمات والجمل، حيث «مهّد (سيرل) لعرض قواعد وشروط إنجاز الفعل الكلامي بالصورة التي يدعو إليها فيقول: أن تنجز فعلا كلاميًا يعني أن تمارس شكلا من السلوك المحكوم بالقواعد. سوف أدعو إلى اعتبار أشياء مثل السؤال أو الاستفهام أو التصريح محكومة بقواعد بالطريقة نفسها التي تعتبر بها عملية تسجل هدف في لعبة البيسبول وتحريك فرس في لعبة الشطرنج أعمالًا تحكميا قواعد، لذلك أزمع أن أشرح فكرة الفعل الكلامي من خلال بيان مجموعة من الشروط

(**1**) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص56.

(**2**) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص55.

الضرورية والكافية لإنجاز نوع معيّن من الفعل الكلامي. ومن ثم استخرج منها مجموعة من القواعد السمانتية (الدلالية)»[1].

ويمكننا القول: «بأن نظرية أفعال اللغة، تعد دراسة نسقية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها، ويتعلق الأمر بمعرفة ما يقوم به مستعملو- التأويل، وأي فعل ينجزون باستعمالهم لبعض العلامات، وبمعنى آخر لا توجد تداولية مباشرة أكثر من هاته الدراسة، ومع هذا تشاء سخرية التاريخ ألا يستعمل (أوستن) و(سيرل) تسمية التداولية لصالحهما»[2].

2-3- تصنيفية "سيرل" للأفعال الكلامية (المعنى والسياق):

تشتمل على خمسة أبواب وهي:

1. «**التأكيدات (Assertifs)**: وتجعل "وجهة" التأكيدات المتكلّم ينخرط (بدرجات مختلفة) في حقيقة القضايا المعبر عنها، على أن يكون شيء ما حالة بالفعل لتعين قيم الحقيقي والخاطئ.
2. **الأوامر (Directifs)**: وتقوم وجهة الإنجاز في الأوامر على حصول المتكلم بواسطتها على قيام المستمع بشيء ما. ويمكن لهذه الأوامر أن تنطلق من الاقتراح الخجول، لتصل إلى المطالب الإجبارية (↑) وتشير إلى ضرورة مطابقة العالم للكلمات، و(رغبة) وهي حالة سيكولوجية للرغبة.

---

(1) هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص114.

(2) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص60.

3. **الإلتزامات (Commissifs)**: ويتبنى سيرل، التعريف الأوستيني للالتزامات، كشيء يمكن تجاوزه. فالالتزامات هي الأفعال الإنجازية، التي تكون فيها الوجهة في جعل المتكلم ينخرط في إنجاز فعل مستقبلي.

ويقوم المضمون القضوي على إنجاز المتكلم لفعل (أ) إذ يسجل سيرل من هنا بأن الأوامر والالتزامات تقدم التوجيهات نفسها، فيما يخص مطابقة العالم للكلمات، ولا تساوقها فيها يخص منفذ الفعل- إذ نجد المتكلم في حالة والمستمع في أخرى- الذي بحول دون تجميعها في الصنف نفسه.

4. **التصريحات (Expressifs)**: وتعد وجهة الانجاز تعبيراً عن الحالة السيكولوجية المخصصة ضمن شروط الإخلاص، وتتعلق بحالة أشياء محددة في المضمون القضوي.

وكمثال على الأفعال التصريحية نجد: "شكر" و"هنأ" و"اعتذر" و"عزى" و"تأسف" و"رحب". ونسجل هنا أنه لا وجود في التصريحات لأثر المطابقة بين العالم والكلمات، لاقتضاء حقيقة القضية المعبر عنها فقط.

5. **الإدلاءات (Déclarations)**: يقوم الإنجاز الناجح لطابع طبقة الإدلاءات، في تحصيل أحد أعضائها على التقارب المطلوب بين المضمون القضوي والواقع.

فإذا أنجزت فعل إعلان الحرب كما ينبغي ذلك لأن في "كما ينبغي" توجد شروط كثيرة (**Felicity Conditions**)، فإن الحرب ستكون معانة بشكل جيد، ويكون هذا الخط المميز للإدلاءات شيئاً مستقلاً عن باقي التصنيفات الأخرى، وهذا ما شد انتباه أوستن خلال تحاليل الأولى للإنجازات. لأن التمييز الأول بين

الإدراكات والإنجازات يكون هو التمييز بين التلفظات، التي تأتي عبارة عن أقوال (تأكيدات... الخ)، والتلفظات التي تأتي كأفعال (وعد، نبه... الخ)»[1].

2-4- مقاييس الأفعال الانجازية عند "سيرل":

وضع "سيرل" المقاييس الأثنا عشر، والخاصة بالأفعال الإنجازية وتتعلق بالآتي:

- «اختلافات بالنسبة لغاية الفعل.
- اختلافات في توجيه الترتيب بين الكلمات والأشياء.
- اختلافات تمس الحالات السيكولوجية المعبر عنها.
- الاختلافات في حدة الاستثمار أو الالتزام المعبر عنه في تقديم وجهة الانجاز.
- اختلاف مقياس أو وضعية المتكلم والمستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل.
- الاختلافات في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم والمستمع.
- اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب والسياق الخطابي.
- اختلافات المضمون القضوي، التي تحددها علامات أو طرق تشير إلى القوة الإنجازية.
- الاختلافات بين الأفعال، كأفعال لغة دائمة، وبين تلك التي تنجز كأفعال لغة دون خضوع لما هو مطلوب.
- الاختلافات بين الأفعال التي تتطلب مؤسسات خارج- لسانية في إنجازها وبين تلك التي تتطلب ذلك.

---

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، من ص64 حتى 68 (بتصرف).

- فعال أو الأفعال الإنجازية المطابقة لإنجاز ما أو غير المتوافرة على ذلك.
- اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الانجازي»[1]، هذه المقاييس هي التي يتوقف عليها مدى صدق الأفعال الانجازية في السياق التداولي.

3- نظرية الاستلزام الحواري أو الأفعال اللغوية الغير مباشرة مع "غرايس"[*]:

3-1- الفعليات اللغوية عند "غرايس":

ينتمي "غرايس" إلى تيار فلسفة مدرسة أكسفورد فقد كان: «جرايس واحداً من الأعضاء البارزين في فلسفة اللغة العادية **Ordinary Language Philosophy**، وكان متعاطفاً مع كثير من أهدافها ومناهجها، وفلسفة اللغة العادية- التي تسمى

(**1**) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص ص63-65.

(*) غرايس هربرت بول (**Herbert Paul**) (1913-1988): فيلسوف بريطاني. بَعْدَ أنْ أتمَّ تعليمه في جامعة أوكسفورد، تمَّ اختياره إلى عُضوية كُلِّيَّة القديس جون في أوكسفورد عام 1939، وفي عام 1967 هاجَرَ للحصول على الأستاذية في جامعة كاليفورنيا في (بيركلي) ليتقاعد في عام 1980، ومجموعة أعماله الفلسفيَّة الواسعة المَدَى تتناول موضوعات بَحْثٍ من التنوع بحيث تشمل الإحالة، والميتافيزيقيا، والبايولوجيا الفلسفيّة، وعلم النفس الفلسفي، وعلم الأخلاق الكانتي (نسبة إلى الفيلسوف كانت (**Kant**) لكن أكثر إسهاماته تأثيرًا كان تطوير نظرية في المعنى بمعايير مقاصد المُتكلمين التواصلية (**Communicative Intentions**) وتقديم مفهوم التلويح (**Implicature**) وكان قد قدم فكرة التلويح في سلسلة محاضرات وليم جيمس (**William James Lectures**) التي ألقاها في جامعة هارفرد (**Harvard**) في عام 1967، وفي هذه المُحاضرات قدَّمَ نظرة شاملة لتفكيره بشأن المعنَى والتواصل مِن أَجْلِ نظريَّةٍ فِعْلِيَّاتِيَّةٍ مُنظمة ومستلهمة فلسفيا بشأن الاستعمال اللُّغوي ممّا عُرِفَ منذ ذلك الحين باسم الفِعليات الغرايسية (**Gricean Pragmatics**)، ومنذ انطلاقه قام الأنموذج الغرايسي». أنظر: يان هوانغ (**Yan Huang**)، معجم أكسفورد للتداولية (**The Oxford Dictionary of Pragmatics**)، ترجمة وتقديم هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2020، ص312.

أحياناً فلسفة مدرسة أكسفورد- هي منهج لممارسة الفلسفة أحرى مـن أن تكـون مـذهباً محكوماً بعقائد معينة، وتنتمي هذه المدرسة إلى الفلسفة التحليلية، وتمثل مرحلة متأخرة من مراحل تطورها، ولذلك فإنها تقتسم معها هدفها الأساسي، أو الهدف الأساسي من بـين أهدافها، ألا وهو تحليل المفاهيم أخرى من بناء الأنساق الميتافيزيقية، ولكن الشيء الـذي اختلفت فيه مدرسة أكـسفورد مـع التيـارات الأخـرى في الفلـسفة التحليليـة هـو دراسـة استعمال الكلمات في سياقها العادي غير الفلـسفي، واعتبـار هـذه الدراسـة أداة مـساعدة للبحث الفلسفي، يقول "جرايس": إن الموقـف الوحيـد الـذي حظـي بموافقـة عامـة (مـن فلاسفة اللغة العادية) من وجهة نظري هـو أن الفحـص الـدقيق للجوانـب التفـصيلية في الخطاب العادي مطلوب بوصفه أساساً للتفكير الفلسفي»[1].

وهـذا مـا جعـل "جـرايس" يؤسـس فعليـات لغويـة وحـواري في سياق التفاعـل والتواصـل اللغوي عرفت ب: »الفعليات الغرايسية (**Gricean Pragmatics**) مدرسةٌ فكريَّة في الفِعْلِيَّات مُرتبطـة بـصورة خاصـة برؤيـات الفيلـسوف البريطـاني "غـرايس" (**Grice**). وهـذه تـشمل نظريـة "غـرايس" في المعنـى (**Meaning**) بمعـايير المقاصـد والتعـاون والعقلانيـة، ونظريتـه في التلـويح الحـواري (**Conversational Implicature**) وأحيانًـا يُـسميها الـدلاليون الـدلاليات الغرايـسية (**Gricean Semantics**)، وفي فلـسفة اللغـة يُطلـق عليهـا اسـم الغرايـسية (**Griceanism**)»[2]، ويرتبط هذا بنظريته في التلويح الحواري، ولا يمكن لنا فهم موقف "جرايس"

(**1**) صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جريس، (د.ط)، مجلـس النـشر العلمـي، جامعـة الكويت، 2005، ص22.

(**2**) يان هوانغ (**Yan Huang**)، معجم أكسفورد للتداولية، المرجع السابق، ص314.

ونظريته إلا بشرح معنى نظريَّة التلويح- "نت" (**Implicaturetheory- IT**): «مُصطلح يُستعمل للإشارة إلى الموقف أو التوجه الغرايسي الكلاسيكي الذي يقضي بأنه باستثناء الدور الذي ؤديه الفِعْلِيّاتُ في تشخيص الإحالة (**Reference**) وتثبيت الإشارة (**Deixis**)، وإزالة اللَّبْس (**Ambiguity**)، فإنَّ كُلَّ الإسهامات الأخرى للفِعْلِيّات تنتمي إلى التلويح الحواري، وهذا بخلاف نُسخة الفِعْلِيّات الشرط- صدقية- (**Th- Conditional Pragmatics- TCP**) التي يدعو إليها الفيلسوف الفرنسي "فرانسوا ريكانات" (**François Recanati**)، إذ يُوضع الكثير من المُلوّح به بالمعنى الغرايسي»[1].

2-3- وظائف الفيلسوف اللغوي عند "غرايس":

خص "جرايس" مهام للفيلسوف المشتغل على قضايا اللغة ومعانيها في سياقاتها العادية من أجل اقتضاء المعاني التخاطبية وهذا بفعل انتمائه لحقل اللغة العادية من أجل إيضاح فعالية اللغة ككيان أو وحدة وظاهرة اجتماعية تستدعي حضور الفيلسوف الذي يصنع الفارق بينه وبين اشتغال اللغوي ويتجلى محور هذا الاهتمام في القضيتين التاليتين:

1. «إن الجانب المهم من وظيفة الفيلسوف- وليس الوظيفة كلها هو تحليل الاستعمالات العادية لتعبيرات معينة ووصفها وتصوير خصائصها في حدود عامة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فإذا تناول الفيلسوف فكرة العلة، فإننا نتوقع أن نجده باحثاً، من بين أشياء أخرى، في نوع المواقف التي نتحدث فيها حديثاً عادياً، ونكون على استعداد للكلام عن شيء بوصفه علة لحدوث

(1) يان هوانغ (**Yan Huang**)، معجم أكسفورد للتداولية، المرجع نفسه، ص343.

شيء آخر، وإذا تناول الإدراك الحسي، فإننا نتوقع أن يبحث في نوع المواقف التي نتحدث فيها حديثاً عادياً عن شخص يرى شجرة أو ثمرة مثلاً. وإذا عالج مشكلة المعرفة والاعتقاد، فإننا نتوقع أن يبحث في نوع المواقف التي نتحدث فيها حديثاً عادياً عن شخص يعرف أن شيئاً ما هو الواقع أحرى من اعتقاده بذلك.

2. من الخطأ بيقين تقريباً (وربما) بيقين تماماً أن نرفض فئة من العبارات العادية بوصفها كاذبة أو محالة أو غير صحيحة لغوياً، إذا قام هذا الرفض على أسس فلسفية فحسب، خذ مثلاً، إذا شاء فيلسوف أن يثبت من خلال حجة فلسفية أننا لا نرى أبداً في الواقع أشجاراً وكائنات بشرية، مع أننا نقول بصورة عادية إننا نراها فإن هذا الفيلسوف سيكون مخطئاً بيقين تقريباً (وربما تماماً)»[1]؛ تقدم هذه المقاربة أهمية التجربة والفعل الممارس في مجال المعرفة أو السياق اللغوي ومقاصده، لأن من يفعل ويمارس نتائجها أكثر صدق من ذلك الذي يكتفي بالاعتقاد، لأن الصدق يستلزم الأداء والأثر في مختلف مجالات البحث عن الحقيقة بين التحليل العادي للغة والتحليل المنطقي لها.

3-3- منجزات "غريس" التداولية:

لقد ترجمت جهود "جرايس" من خلال تأكيده على أهمية التفاعل والاتصال بين علماء اللغة وفلاسفتها من خلال الإشارة إلى جملة المنجزات الجراسية التداولية منها:

(1) صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جريس، المرجع السابق، ص ص23-24.

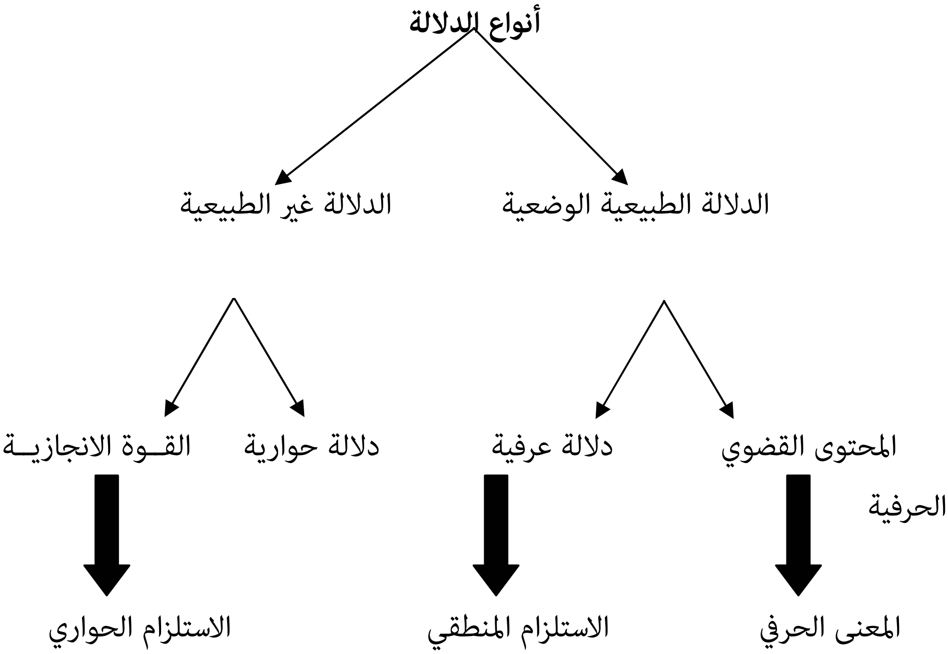
1. «قدم محاولات نسقيه لبيان ما عساه أن يكون المعنى على وجه الدقة، وتجسّدت هذه المحاولات في سلسلة من التحليلات الدقيقة إلى أبعد الحدود للمعنى لدى المتكلم، ومعنى الجملة، والمقول.
2. وضع تقريراً يوضح إلى أي حد يمكن أن يختلف ما يقوله المتكلم عما يعنيه المتكلم.
3. عندما وصف التمييز المهم فلسفياً بين المضامين الدلالية الحقيقية للعبارة ومضامينها الاستعمالية فحسب، وضّح العلاقة بين المنطق "الكلاسيكي" وعلم الدلالة الخاص باللغة الطبيعية.
4. عندما ابتكر نظريته في "الاقتضاء التخاطبي"، وابتكر لها اسمها كذلك، بدأ عهداً جديداً في علم الاستعمال (**Pragmatics**)، وشقّ طريقاً فريداً إلى معالجة مشكلات الفلسفة؛ ذلك أن الاقتضاء التخاطبي لم يكن نظرية لغوية فحسب، وإنما كان أداة مثمرة لحلّ كثير من المشكلات الفلسفية والمنطقية أيضاً»[1].

فقد أوضح "غرايس" أن فهم الملفوظات وتأويلها أثناء عملية التخاطب لا يعتمد دائما على دلالتها الطبيعية التواضعية، ويتأسس هذا الحكم من خلال ملاحظة جلبت اهتمام "غرايس" تتمثل في دلالة الفعل (**to mean**) في الإنجليزية. إذ يرد بمعنى أشار ودلّ تارة ويأتي بمعنى قصد تارة أخرى، من هذا المنطلق عمل "غرايس" على التمييز بين نوعين من الدلالة هما الدلالة الطبيعية الوضعية والدلالة غير الطبيعية، والفرق بينهما يتمثل في كون الكلمات في الدلالة الطبيعية

(1) صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جريس، المرجع السابق، ص21.

تدل على ما وضعت له في أصل اللغة، أي أنها تشير إلى الدلالة المصرح بها مثال ذلك "الدخان علامة على وجود النار"، فالدخان يدل على وجود النار، أما في الدلالة غير الطبيعية فنلاحظ أن تأويل الملفوظات لا يتوقف عند حدود الدلالة اللغوية التواضعية للكلمات بل يعتمد أساسا على قصد المتكلم ونواياه من جهة، وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا من جهة أخرى.

وعلى هذا الأساس نستنتج أن هناك فرقا شاسعا بين دلالة الملفوظ أي ما قيل أو ما صرح به وبين الاستلزام الحواري، أي ما تم تبليغه ويضيف "غرايس" إلى هاذين النوعين صنفا أخر سماه الاستلزام المنطقي التواضعي، ويمكن توضيح هذه الأنواع من خلال المخطط التالي[1]:



(1) جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، المرجع السابق، ص99، 106.

يؤسس "جرايس" فضاء للخطاب المنتج بجملة من المعايير المنهجية الدقيقة اجتمع فيها المنطق والفلسفة واللغة لفحص مجريات الكلام ومقاصده، لأن كل كلمة إلا ولها مقصدها ومعناه التداولي الذي وضعت لأجله، من خلال مراعاة جوانب الدقة التي تكفل تحقيق نظام جماعي للخطاب أو نسق له شروطه ودلالاته الحوارية والاستدلالية، لذلك يدرج "جرايس" هذا الضرب من الدلالة في تصنيف عام للمعاني التي يمكن أن تدل عليها العبارات اللغوية، يقوم هذا التصنيف على المقولات الآتية:

- «تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية إلى معان "صريحة" ومعان "ضمنية" وتعد معاني "صريحة" المعاني المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها في حين تعذ "ضمنية" المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة.

تشمل حمولة المعاني الصريحة: (أ) المحتوى القضوي (معاني مفردات الجملة مضموماً بعضها إلى بعض) و(ب) القوة الإنجازية الحرفية (القوة الإنجازية المؤشر لها بصيغة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار.

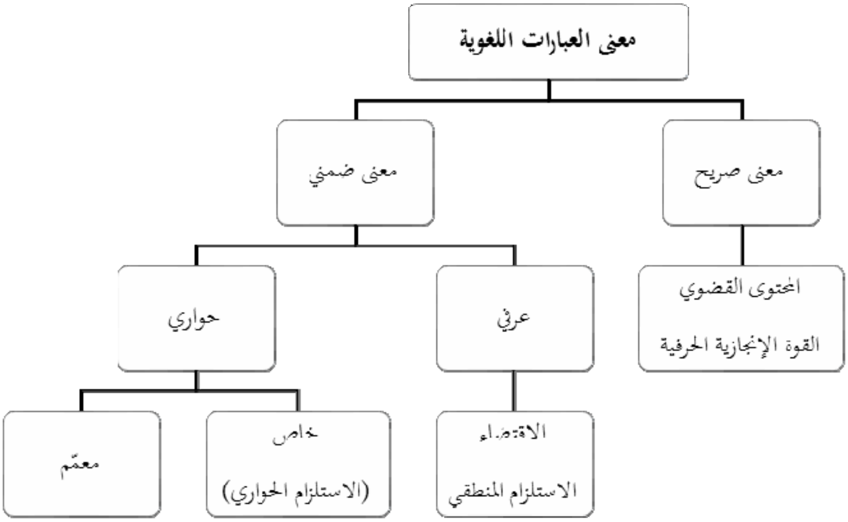
- المعاني الضمنية صنفان: معان "عرفية" ومعان "حوارية" (أو "سياقية"). تعد معاني "عرفية" المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطاً يجعلها لا تتغير بتغير السياقات في حين تعد معاني "حوارية" المعاني التي تتولد طبقاً للسياقات (أو المقامات) التي تنجز فيها الجملة، من المعاني المتضمنة عرفاً المعنى المقتضى (أو "الاقتضاء") كما حددناه سابقاً، والمعنى المستلزم منطقياً (أو "الاستلزام المنطقي")»[1].

---

(1) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفة، المرجع السابق، ص28.

أما المعاني الضمنية المتولدة عن السياق فهي نوعان: المعاني الناتجة عن سياق خاص والمعاني البالغة من العموم أنها لم تعد مرتبطة بسياق خاص أو بطبقة معينة من السياقات. يصطلح غرايس على تسمية هذين النوعين من المعاني الضمنية "الاستلزامات الحوارية الخاصة" و"الاستلزامات الحوارية المعممة" على التوالي.

يمكن توضيح تصنيف المعاني المكونة للحمولة الدلالية لجمل اللغات الطبيعية حسب مقترحات "غرايس" عن طريق الرسم الآتي:



المصدر: صلاح إسماعيل، **النظرية القصدية في المعنى عند جريس**، (د.ط)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2005، ص25.

غير أنه: «لكن كان جرايس متعاطفاً مع أهداف فلسفة اللغة العادية ومناهجها، إلا أن كتاباته تتضمن تنقيحاً ونقداً لفكرة محورية أخرى يتفق عليها أنصار هذه الفلسفة، وهي أن المعنى هو الاستعمال أو قل إن المعنى يتحدد عن طريق

الاستعمال، وتتلخص نظرية الاستعمال في المعنى في الشعار المشهور القائل: لا تسأل عن المعنى، بل اسأل عن الاستعمال، ونحن نجده في مقالته؛ استعمل محاولاته الأولى لبيان ما عساه أن يكون المعنى على وجه الدقة؟ ونجد فيها أيضاً تفسيراً لمعنى التعبير (أو أية علامة أخرى) في حدود ما يفعله المتكلمون بهذا التعبير، أو قل في حدود ما يعنيه المستعملون لهذا التعبير في مناسبات معينة»[1]، وهناك وجهتان من النظر تظهران مدى عناية "جرايس" بالاستعمال، تقول الأولى: إن الفكرة الأساسية عن المعنى هي أن المتكلم يعني شيئاً ما عندما يلفظ قولاً في مناسبة محددة، وكل الأفكار الأخرى المتعلقة بالمعنى يتعين معالجتها على أنها (مشتقة ومفسرة في حدود هذه الفكرة الأساسية) وفي هذا السياق يقول جرايس: «من الضروري التمييز بين فكرة المعنى التي تتصل بمستعملي الكلمات أو التعبيرات وفكرة المعنى التي لا تتصل بمستعملي الكلمات أو التعبيرات، والفكرة غير المتصلة من الفكرتين تكون لاحقة على الفكرة تكون لاحقة على الفكرة المتصلة، ويتعين أن تكون مفهومة في حدودها، وما تعنيه الكلمات هو مسألة ما يعنيه الناس بها، وأما وجهة النظر الثانية فهي أن التعبير قطب الجملة (س) يعني المتكلم (م) أن (ق) يمكن تحليله في حدود مقاصد المتكلم الموجهة إلى المستمع»[2]،هذا ما يوضح أهمية التفاعل العملي للفعل الكلامي بين أطرافه الفاعلين.

لذلك «اعتبرت الشروح التي قدمها "غرايس" لنظرية المحادثة مقدمة مهمة نحو انفتاح التداولية على حقل العلوم المعرفية، وهو انفتاح مهد لظهور نظرية الملائمة

---

(1) صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جريس، المرجع السابق، ص25.
(2) صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جريس، المرجع السابق، ص25.

لدى سبربر وولسن، ومن القضايا التي أثارها "غرايس" وأولاها العناية قضايا الاستدلال وهي قضايا أهملها منظرو التداولية حيث تمكن "غرايس" من بلورة تصورين منهجيين متكاملين لهما الأثر الكبير على سيرورة التأويل، مدارهما حول القدرة على اكتساب حالات ذهنية من جهة، والقدرة على بناء استدلال محكم يحتاجه المتكلم لفهم الملفوظات داخل سياق كلامي معين من جهة أخرى»[1].

3-4- مبدأ التعاون وقواعد التخاطب عند "غرايس":

تميز طرح "غرايس" في المجال التواصلي أو التداولي على اعتبار عامل التعاون والتقارب اللغوي بين المتكلمين هو الذي يدفع بالمعنى اللغوي للتداول والاستمرار، حيث: «تعتمد نظرية غرايس في الاقتضاء على النظر إلى استعمال اللغة بوصفه ضرباً من الفاعلية العقلية (**Rational Activity**) والتعاونية (**Cooperative**) والتي تروم تحقيق هدف الاتصال بين الناس؟ ولكي ينجح هذا الاتصال، لابد من أن تتوافر له درجة معينة من التعاون والتقارب في الأغراض بين المتخاطبين. ويتجلى ذلك في مبدأ عام أطلق عليه جرايس اسم "مبدأ التعاون" (**The Cooperative Principle**)، ويقول فيه: "اجعل إسهامك التخاطبي كما يتطلبه- عند المرحلة التي يحدث فيها- الغرض أو الاتجاه المقبول لتبادل الكلام الذي تشارك فيه، ولقد وسع جرايس هذا المبدأ العام للسلوك التخاطبي في مجموعة من القواعد أطلق عليها اسم القواعد التخاطبية (**Conversational Maxims**)، وصنف هذه القواعد تحت أربع مقولات جرياً على طريقة كانت

(**1**) جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، المرجع السابق، ص98-99.

(**Kant**) وهي: الكم (**Manner**)، والجهة (**Relation**)، والإضافة (**Quality**)، والكيف (**Quantity**)»[1].

1. **مقولة الكم**: ترتبط مقولة الكم بكمية المعلومات التي يجب تقديمها في التخاطب، وتتحقق بقاعدتين:

- اجعل إسهامك التخاطبي إخبارياً بالقدر المطلوب (بغية تحقيق الأغراض الحالية للتخاطب).
- لا تجعل إسهامك التخاطبي إخبارياً أكثر مما هو مطلوب.

2. **مقولة الكيف**: وتحت هذه المقولة تأتي قاعدة عامة، حاول أن تجعل إسهامك التخاطبي صادقا، وتتجلى في قاعدتين:

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.
- لا تقل ما تفتقر إلى دليل كاف عليه.

3. **مقولة الإضافة**: تحت هذه المقولة توجد قاعدة واحدة تقول: كن ملائما.

4. **مقولة الجهة**: ينظر جرايس إلى هذه المقولة على أنها لا ترتبط بالمقول مثل المقولات السابقة، وإنما ترتبط بالأحرى بكيفية قول المقول، والقاعدة العامة التي تمثل هذه المقولة هي كن واضحا، تندرج تحتها قواعد متنوعة مثل:

- اجتنب غموض (**Obscurity**) التعبير.
- اجتنب اللبس (**Ambiguity**).
- كن موجزاً (اجتنب الإطالة بغير ضرورة).
- كن مرتبا.

(**1**) صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جريس، المرجع السابق، ص87.

ويقبل الناس هذه القواعد ويسلمون بها تسليماً ضمنياً عند التخاطب، وهي في ذلك تشبه المبادئ العامة للتفكير مثل الهوية والتناقض والثالث المرفوع. فنحن نفرض أن المتكلم لا يقول أكثر ولا أقل مما هو مطلوب للحديث (الكم)؛ وأنه سيكون صادقاً ومخلصاً (الكيف) وأن ما يقوله سيكون ملائماً لغرض الحديث (الإضافة) وأنه سيكون واضحاً (الجهة)[1].

بفضل هذه الجهود ازدهرت التداولية، بما فيه الكفاية لحد نسيانها لأصولها ولإبعاد الذاكرة القصيرة أردت التذكير بما يعود إلى المؤسسين: بيرس، فريجه، موريس، فيتغنشتاين وبار هييل، وحرصت إبعاداً للذاكرة الجزئية، على الإشارة إلى ما يعود إلى مبادرة الفلاسفة المناطقة، الذين مارسوا هنا- كما في غير ذلك- قوة اقتراح هامة[2]، ما من شك أن قوة الاقتراح تكمن في أعمال ونظريات المنطقي المعاصر "جرايس" ودوره في التفاعل التواصلي المنطقي، وهذا يشهد له تاريخ اللغويات وفلسفة اللغة؛ «لقد حققت انجازات "جرايس" دفعا بقضايا اللسانيات التداولية الوظيفية من خلال أعماله هناك إجماع بين الفلاسفة وتواتر في الدرس الفلسفي المعاصر، على أن جرايس هو أول من قدم دراسة نسقية منهجية تعالج الاختلافات بين المعنى لدى المتكلم ومعنى الجملة، وما يقتضيه المتكلم وما تقتضيه الجملة، وفي مقابل مصطلح اللزوم (**Implication**) في المنطق الذي نلحظ له استعمالات مهمة يأتي في طلعتها استعمالان: أولهما أن اللزوم علاقة بين مجموعة مقدمات ونتيجة تستخرج منها وفقا لقواعد معينة، وثانيهما أن اللزوم

(**1**) صلاح إسماعيل، <u>النظرية القصدية في المعنى عند جريس</u>، المرجع السابق، ص88.

(**2**) فرانسواز أرمينكو، <u>المقاربة التداولية</u>، المرجع السابق، ص6.

علاقة بين أجزاء قضية شرطية صادقة يسمى الجزء الأول منها المقدم والثاني التالي، نقول في مقابل اللزوم بهذين الاستعمالين والذي هو جزء من علم الدلالة المنطقي (**Logical Semantics**) الذي يهتم بقيم صدق الجمابتكر جرايس مصطلح الاقتضاء (**Implicature**) والفعل (**Implicate**)، واشتقه من الفعل (**Imply**) بمعنى يتضمن أو يستلزم، والذي اشتق بدوره من الفعل اللاتيني (**Plicare**) بنفس المعنى، وإن شئت عبارة موجزة تحدد لك ماهية الاقتضاء قل إنه يعني عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه لجملة بصورة حرفية»[1].

فهل هذه الجهود المنطقية والموضوعية والعلمية كافية لجعل التداولية مشروع يتجاوز المقاربة الفلسفية للغة نحو براديغم تداولي علمي؟

(**1**) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص ص122-123.

المحور الرابع

رهانات المشروع التداولي

من المقاربة اللغوية إلى براديغم علمي

تمهيد

شهدت الفترة المعاصرة ظهور أعمالا في فلسفة اللغة تبحث في طبيعة اللغة وإمكاناتها وحدود استعمالها: «لقد وضع أوستين وتلميذه سورل نواة التداولية، في حقل فلسفة اللغة العادية (**Ordinaire**) إذ طوّرا من وجهة نظر المنطق التحليلي (**Logique analytique**) مفهوم "العمل اللغوي" (**Acte de Langage**) وقد كان أوستين (1911-1961) أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد، أمّا سورل (المولود سنة 1932)، فهو يدرس بجامعة بركلي (**Berkeley**) بكاليفورنيا، أن يعكف الفلاسفة على النظر في التأثيرات الفعلية للخطاب، أمر لم يكن بدعاً في الستينات من القرن العشرين، حيث كان أوستين أوّل من بعث نظرية الأعمال اللغوية، وقد كانت الفلسفة تهتم باللغة منذ القديم، وكان البلاغيون القدامى تداوليين، إذ كانوا يفكرون في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق، وخاصة المنطق الحجاجي من جهة، وآثار الخطاب في السامع، من جهة أخرى وقد طوّروا منذ أفلاطون وأرسطو ووصولاً إلى سيناك (**Seneque**) وشيشرون (**Ciceron**) وكونتليان (**Quintilien**) منوالاً كلاسيكياً للبلاغة، يقوم على معرفة الانفعالات والطبائع»[1]، وقد سبقتهم من قبل في هذا الهدف جهود فلاسفة الوضعية المنطقية والفلسفة التحليلية بمختلف نزعاتهم وانتمائهم، فهل هذه الجهود المنطقية والموضوعية والعلمية كافية لجعل التداولية مشروع يتجاوز المقاربة الفلسفية للغة نحو براديغم تداولي علمي؟

وعليه نتساءل عن جوهر المشروع التداولي وتجلياته من خلال البحث في ماهية التداولية المتحققة فعليا.

---

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص20.

بعض الدارسين يعولون على التداولية في تحقيق مجموعة من الرهانات تعبر عنها الأسئلة الآتية: «

- كيف نصف الاستدلالات في عملية التواصل، علماً بأن الاستدلالات التداولية غير مُعَقلَنَة، وربما كانت غير مُقنعة في كثير من الأحيان؟
- ما هو نموذج التواصل الأمثل؟ (أهو الترميز أم الاستدلال)؟.
- ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة والتواصل والإدراك؟ وما هي العلاقة بين الفروع المعرفية المشتغلة بهذه الأنشطة (أي علم اللغة وعلم التواصل وعلم النفس المعرفي)؟.

فما هي أبرز الأنشطة التداولية إذن؟»[1]، التأمل في درجات هذه الأسئلة المتفرعة والمركبة في آن واحد؛ يدرك جليا أنها تهدف إلى الكشف عن مدى ملاءمتها واقعيا كمعطيات في الحقل اللغوي والفلسفي والسيمولوجي والابستمولوجي، كل هذه العلوم المتداخلة في السياق التداولي تشكل إشكالية كبرى بجمع كل هذه المشكلات الجزئية تتعلق بماهية التداولية هل هي علم مستقل له قواعده وخصوصيته أم أنها مستوحاة من تداخلات معرفية متعددة؟ هل التداولية علم نظري أم عملي؟ ما طبيعة هذا العلم؟ هل تفرض طبيعته التعدد والتنوع والتوسع أم تقر بالنمطية والتقلص؟ هل التداولية تقوم على ذاتية اللغة أم تجاوزها إلى موضوعية العلم؟ هذا ما نحاول التحري عنه من خلال مضامين الآتي:

---

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المرجع السابق، ص ص26-27.

أولا: جدل التداولية بين الذاتية والموضوعية:

1- التداولية نحو مشروع براديغم علمي:

تعددت المبررات في هذه الإشكالية بين المؤيد لاعتبار التداولية نموذج (**Paradigma**) علمي وبين من يتحفظ وبين من يراها مجرد مقاربة لسانية أو لغوية فلسفية محل اختلاف وتضارب لا ترقى أن تكون- براديغم علمي- رغم تشجيع البعض لعلمية التداولية ونسقيتها، إلا أن هناك من يعارض على هذا الوصف، ويرى أن التداولية رهينة المقاربة اللغوية ومتغيراتها.

تجلت النقلة النوعية للتداولية من خلال المقاربة الانجلوسكونية حيث تعد: «المقاربة الأنجلوسكسسونية مصدر أولي لنشأة اللغة الوظيفية أو العملية في المقاربة الأمريكية من خلال منجزات الفلسفة التحليلة على المستوى اللغوي التواصلي والتداولي ونعني ب: «المُقاربة الأنغلو-ساكسونية للفِعْلِيّات (**Anglo-Saxon Approach**): مُصطلح يَرِد كثيرًا في تاريخ الفِعْلِيّات للإشارة إلى طريقة التفكير البريطانية التي انبثقت من فلسفة اللغة الاعتيادية ضمن الفلسفة التحليلية (**Ordinary language philosophy**) ويُنسب تأسيس هذا التقليد التاريخي بنحو واسع إلى الفلاسفة أوستن (**Austin**) وغلبرترايل (**Gilbert Ryle**) وبولغرايس (**Grice**) وجون سيرل (**Searle**) وفتغنشتاين (**Wittgenstein**) في المرحلة الأخيرة. وتشمل موضوعات الاهتمام»[1]، ومدرسة الفعليات وحدتها روابط مشتركة تراثية ومستحدثة إذا: «المشترك في هذه المدرسة دراسةَ المَعْنَى والقصد

---

(1) يان هوانغ (**yan Huang**)، معجم أكسفورد للتداولية، المرجع السابق، ص ص108-109.

والاستعمال والتلويح والأفعال الكلاميَّـة، وللمُقارَبـة الأنغلوسكـسونية للفِعْلِيّات جـذورها العميقةُ المُمتدّةفي التراث، أي: علم البلاغة بوصفه أحـد الموضـوعات الأساسـية في الثلاثيـة (**Trivium**) باللغـة اللاتينيـة، وهـي مَبْنيَّـة إلى حـد مـا عـلى فلـسفة الفيلـسوف الألمـاني "إمانويـل كانـت" (**Immanuel Kant**) بـشأن "الموضـوعات الفعّالـة (التجاوزيَّـة) وعـلى فلسفة الفيلسوف البريطاني "جون لوك" (**John Locke**) بشأن (الأفعـال الـسميوطيقيَّة). وهـــي أيـــضًا تنتـــسب بطريقـــة أو بـــأخرى إلى الذرائعيـــة الأمريكيـــة (**American pragmatism**) وهي نَشَأت بصورة متزامنة مع مدرسة الـسياقية والوظيفيَّـة البريطانيـة (**British contextualism and functionalism**). وتقابلهـا المُقارَبـة الفرنـسيَّة "للفِعْلِيّـات" (**French Approach**) والمُقاربـة الألمانيـة "للفعليّـات" (**German Approach**) والذرائعية الأميركيتـة (**American Pragmatism**) والـسياقية والوظيفيـة البريطانية (**British Contextualism and Functionalism**)»[(1)].

هذا الأثر تجلى في فلسفة "بيرس" العملية على مستوى المـنهج والمعرفـة واللغـة: «لقد ساهمت المرحلة الفلسفية من تاريخ الفكر البراجماتي وخاصـة مـا ذهـب إليـه الفيلـسوف والعـالم الأمـريكي تـشارلز بـيرس، مـن ربـط بـين الـدال والمدلولـة، وبـين "مستخدم تلك الدوال" للوصول إلى الحقيقة النفعيـة، مـن خـلال تفاعـل عمـلي بـين الدوال، وآثارها الحسية في تأسيس البراجماتية اللغوية عـلى يـد الفيلـسوف الأمـريكي "تـشارلز مـوريس" (**Charles Morris**)، فقـد اسـتخدم البراغماتيـة سـنة 1938 دالا

(**1**) يان هوانغ (**yan Huang**)، معجم أكسفورد للتداولية، المرجع السابق، ص ص108-109.

على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيميائية (**Semiotics**) وهذه الفروع هي: علم التراكيب- الدوال، علم الدلالة- المدلولات، والتداولية- العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول، وبين مستعمل اللغة»[1]-كما أشرنا سابقا- وهي فروع متكاملة في المشترك اللغوي -اللغة الوظيفية-

لا ينكر الدارسين أن التداولية من أهم المدارس اللسانية الوظيفية وقد بلغت ذروة الأهمية مع جهود المعاصرين كما قلنا سابقا خاصة بفعل احتكاك التداولية على مجالات معرفية وعلمية متعددة دفعت بها نحو التطور والانفتاح: «فإذا كانت التداولية في البداية مجرد مشروع، ثم اكتسبت في مرحلة ثانية بعض الأهمية مع أبحاث أوستن وغرايس وغدت اتجاها قائم بذاته، فإن المرحلة المهمة في تاريخ التداولية تزامنت مع انفتاحها على العلوم المعرفية والأبحاث المتعلقة بالذكاء الاصطناعي، وهي أبحاث غيرت الوجه العام للتداولية، وأعلنت ميلاد ما يعرف بالتداولية المعرفية مع نظرية الملائمة "لسبريير وولسن"، أما "ديكرو" فأضفى على التداولية بعدا دلاليا حينما حاول التأسيس لتداولية مندمجة في الدلالة ضمن ما يعرف بنظرية الحجاج في اللغة، إلا أن الصعوبات التي واجهتها نظريته دفعته إلى تبني أطروحة الباحثة "ماريول كاريل"[*] المعروفة بنظرية المجموعات

(**1**) أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، المرجع السابق، ص7.

(*) آن روبل (**Anne Reboul**): متخصص في اللسانيات، ولدت سنة 1956، حازت على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة جنيف، مكلف بالبحث عن الصنف بالمركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا، وملحقة بمختبر المعلوماتية في مدينة نانسي. من مؤلفاتها:

- **Rhetorique et stylostique de la fiction, 1992.**
- **Langage et pertinence, 1994.**
- **Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, 1997 (Avec J. Moeschler).**

أنظر: **https://arab-ency.com.sy/img/0/logo.png**

الدلالية، وهي نظرية تنفتح على النظرية العامة لتعدد الأصوات»[1]، انفتاح التداولية على غير ها من المدارس المعرفية واللغوية تجعلها تحقق قفزة محكمة نحو تأسيس اتجاه معاصر في الخطاب الوظيفي أو اللسانيات الوظيفية، وبهذا تكون التداولية قد تحولت من مجال المفاهيم إلى الملفوظات وهي مرحلة لا تعبر عن عالم التداولية المركب بل عكس جزء منه، بيد أن فهم التداولية لا يتحقق إلا بتكاملها مع حقول معرفية أخرى، لتكشف مدى نجاعتها الموضوعية والوظيفية بين المعارف والعلوم.

لقد فرضت الحاجة لفهم اللغة الإنسانية تعدد النظريات التفسيرية للغة، وهذا ما هو وضح في تعدد القراءة التحليلية للأنماط اللغوية ودلالاتها الوظيفية عبر فترات زمنية متعاقبة في تاريخ اللغة وفلسفة اللغة، السبب المباشر الذي جعل التداولية تتقاطع مع عدة تخصصات ابستمولوجية، كالمنطق وعلم النفس وغيره من العلوم والمعارف: «وقد قطعت التداولية في تاريخها الممتد من خمسينيات القرن العشرين إلى حدود الآن أشواطا مهمة ومرت بعدة تحولات، فبعدما كانت تُنعت قبل عقود بسلة المهملات أضحت حقلا معرفيا خصبا ومتجددا لا حدود تحده ولا حواجز تمنعه من اقتحام حقول أخرى، وقد أوجزت "أن ربول" تاريخ التداولية في ثلاث محطات: فبدايات التداولية تعود إلى 1938م حين تحدث "شارل موريس" عن أبعادها الثلاثة، البعد التركيبي والبعد **السيميائي الدلالي** وأخيرا البعد التداولي، إلا أن التداوليات في هذه الحقبة ظلت حبيسة الإشارات،

---

(1) جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، المرجع السابق، ص21.

أي لائحة محدودة من المصطلحات كالضمائر وظروف الزمان والمكان»[1]، وما يمسى بالجوانب الشكلية لا الضمنية للخطاب إلى أن تم إعادة النظر في مناهج دراسة اللغة وأهدافها وعرف التاريخ التداولي انفتاحا وتطورا: «إن هذا التعدد النظري الذي أفضى إلى ظهور مدارس تداولية مختلفة كلسانيات النص وتحليل الخطاب... الخ يتمتع بالفعل بنوع من الوحدة، أي الوحدة التي يمنحها له الأمل في دراسة اللغة خلال استخدامها، يعني ذلك العلاقة بين اللغة والسياقات التي تتجلى فيها»[2].

خاصة بعد توسيع مجال اهتمام التداولية ومحاولة جعلها أكثر علمية مع "موريس": «لم يكتف موريس بدراسة البنية اللغوية دراسة وصفية شاعت بين الدارسين تأثراً برائد البنيوية اللسانية دي سوسير، بل أضاف إليها دراسة المعنى ودراسة علاقة اللغة بمستخدميها، وخص بهذا الجانب البراجماتية اللسانية، وطرح أول تعريف لها: دراسة علاقة العلامات بمستعمليها، أي: دراسة اللغة أثناء ممارسة إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية، وقد عدّها جزءاً من السيمياء (**Semiotics**) ورأى أن التداولية لا تدرس اللغة المنطوقة وحدها بل تدرس أيضاً العلاقة بين الرموز أو العلامات المستخدمة وما تشير إليه، وعلاقة العلامات بعضها ببعض، والعلاقة بين العلامات المؤولة ومستخدميها أو مجال الاستعمال، وتعد التداولية أهم إضافة في جهود موريس إلى جانب استحداثه نظام

(**1**) جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، المرجع السابق، ص ص20-22.
(**2**) فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، المرجع السابق، ص31.

الشفرة»[1]، ظن أن النسق اللغوي المنطقي من شأنه تحقيق كمال المعنى وصدقه ضمن سياقه: «إن الجانب التداولي يضم أثر المتلقي، والموقف، وهدف النص، والمقام، ونوع المعلومة المطروحة، وأنواع التفاعل، وأشكال السياقات، وكيفية التواصل، وغير ذلك مما يختص بالعلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[2]، وحجة هذا أن: «التداولية كأكبر مكون ثالث لأية نظرية سيميوطيقية (**Serniotic**) ينبغي أن تكون مهمتها (دراسة العلاقات بين الرموز والعلامات والمستعملين لها). وإذا كانت التداولية متمايزة عن علم النفس والعلوم الاجتماعية، فإن هذه لا تخبرنا إلا بشيء قليل عن غرض الوصف والتفسير، ومهما يكن الأمر فإن كانت النظرية التداولية لم تتطور بعد وكانت جزءا من نظرية اللغة، فمن الواجب أن نفسر الظواهر المطردة الانتظام ضمن مجال هذه النظرية الأخيرة، كما ينبغي أن تدخل في علاقات مع أجزاء أخرى عن النظرية أعني أن التداولية يجب أن تعين المجال الامبيريقي التجريبي القائم على القواعد المتواطئ عليها في اللغة، والبرهنة على هذه القواعد من خلال إنتاج العبارات الملفوظة وتأويلها، وبخاصة يجب أن تسهم إسهاما مستقلا في تحليل الشروط التي تجعل تلك العبارات جائزة ومقبولة في موقف معين بالنسبة للمتكلمين بتلك اللغة»[3].

وهذا يقع ضمن إطار التأثير والتأثر بين النظريات اللغوية وعلومها، لاسيما ما يثار حول المعنى ودلالاته ومستوياته وسياقاته: «من هنا رأى بعض الباحثين أن

(**1**) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص ص30-31.

(**2**) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص ص37-38.

(**3**) فان داك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، 2000، ص ص255-256.

للمعنى مستويات ثلاثة: المعنى اللغوي وهو المعنى المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات والضمائر والجمل ومعنى الكلام وهو المعنى السياقي ثم المعنى الكامن أو الموجود بالقوة (**Force**) وهو معنى المتكلم؛ ولإيضاح ذلك نسوق المثال الآتي: إذا قال لك شخص في سياق حدد: أهذه سيارتك؟ فالسياق الذي ألقي فيه السؤال لا يدع مجالاً للشك في أن (هذه) تشير إلى شيء محدد هو السيارة، وأن الضمير (الكاف) يشير إليك، وعلى الرغم من أنه ليس هناك مشكلة في فهم مغنى الكلام (وهو المستوى الأول من معنى المتكلم) فإنك حتى هذه اللحظة قد لا تكون وصلت إلى معنى المتكلم أو فهم القوة (**Force**) التي تكمن خلف هذا السؤال: هل المتكلم يريد إجابة عن سؤاله بنعم أو لا أو أنه يخرج عن هذا المعنى الحقيقي إلى مقصود آخر هو التعبير عن اللوم لأن سيارتك سدت طريق المرور على السيارات الأخرى؟ وهذا هو معنى المتكلم»[1]، ومشكلة المعنى هي مشكلة متجددة عبر مختلف الفترات الزمنية ومستجدات قضاياه اللغوية والفلسفية اللغوية، لكل عالم لغوي وفيلسوف لغوي منظوره.

يشير "فرانثيسكيوس راموس" (**مدخل إلى دراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل**): «بأن علينا الحديث عن التداولية كنموذج مبني على أسس متينة، وقد تكون صلة الوصل بين مختلف المقاربات التي تندرج تحت مسمى تداولية هي الاهتمام المشترك بدراسة اللغة في وضع الاشتغال وبالسياق، وبمجرى اللغة الأكثر تفاعلية، يتعلق الأمر بصفة عام بالخروج من الاستبطانات

(**1**) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص13.

اللسانية التي كانت تميز النموذجين السابقين، وإدراج العناصر غير النصية (**Extra- Textuales**) وغير الشفوية (**Extra- Verbales**) في التحليل»[1]، وهذا بالتركيز على السياق وفعاليته اللسانية وفق جملة معايير اعتمدها الدارسين للتداولية: إن الوحدة المذكورة تقودنا إلى التفكير في أننا إزاء نموذج علمي، وزيادة على ذلك ثمة سلسلة من العناصر تدعم إدراج هذه المقاربات تحت المسمى المعروف بالتداولية:

- «رأي العديد من المحللين بأنه يجب الأخذ بعين الاعتبار المخطط الأساسي لدراسات الخطاب والنص.
- شروع المجلات المتخصصة في إدراجها ضمن عناوينها كحالة (**Journal of Pragmatics**).
- تنبؤ تشومسكي (1969) من قبل بظهور دراسات ستعرف باسم التداولية.
- تجذر التسمية في تخصصات أخرى كالفلسفة والأنثروبولوجيا.
- كون أن للتداولية ميزة جامعة تبحث عن منظور شامل لدراسة اللغة»[2].

إن العودة إلى أصالة المصطلح- تداولية- يجد بين مختلف الحضارات ما يبرر علميتها في سياقاتها الثقافية والمتخصصة حيث تشير الجذور التاريخية لفكرة التداولية إلى تأثرها: «بالمذهب (**Pragmatism**)، وإن كانت جذورها الأولى ترجع إلى أبعد من ذلك بكثير، إذ ترجع إلى وشائج تربطها بعمق تاريخ الفكر الغربي، فعلى الرغم من أن التداولية فرع جديد نسبيا في اللسانيات الحديثة، فإن البحث عنها يمكن أن

(**1**) فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، المرجع السابق، ص36.
(**2**) فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، المرجع السابق، ص31.

يرجع قديماً إلى اليونـان والرومـان، حيـث إن المـصطلح (**Pragmaticus**) يوجـد في اللاتينيـة المتـأخرة، كـما أن المـصطلح (**Pragmaticos**) يوجـد في اليونانيـة، وكـلا المـصطلحين بمعنـى العملي، أما الاستعمال الحـديث لمـصطلح التداوليـة (**Pragmatics**) فقـد اعتمـد عـلى تـأثير المذهب الفلسفي الأمريكي البراجماتية (**Pragmatism**)، كـما أن تـأثير الفلـسفة البراجماتيـة (**Pragmatism**) قد قاد إلى دراسات دولية متجاوزة للبعد اللساني لاستعمال اللغـة "أنتجـت ضمن ما أنتجت نظريـة الـصلة- سـبيربيراه وويلـسون (**Wilson**) سـنة 1986- التـي توضـح بشكل قاطع كيف يتحادث الناس وكيف تتم عملية التواصل"، وعلى الرغم مـن هـذه الـصلة التي أكدها غير واحد من العلماء الغربيين فإن محمد عناني أشار إلى أنه يجب ألا نخلـط بـين علـم التداوليـة (**Pragmatics**) والمـذهب البراجماطـي (**Pragmatism**) وهـو المـذهب الفلسفي الذي يحبذ التركيز على كل ما له أهمية عملية للبشر ويتجنـب البحـث في إصـابات المطلقة أو المجردة، وهذا المذهب الفلسفي مؤداه، أن معيار صدق الفكرة أو رأي هو النتيجة العملية التي تترتب عليها من حيث كونها مفيدة أو مـشيرة، فـالفكرة الأولى التـي نـادى بهـا بيرس هي أن البراجماتية (**Pragmatism**) نظام فلسفي لتفـسير معنـى الفكـرة أو العقيـدة، فالفكرة إنما هي مشروع للعمل وليست حقيقة في ذاتها كما تزعم»[1].

وقـد كـان مـن أمـر الـصلة بـين التداوليـة (**Pragmatics**) والذرائعيـة (**Pragmatism**) أن أطلقت بعض معاجم المصطلحات على التداولية: «الذرائعية

(**1**) عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، المرجع السابق، ص38.

الجديدة (**New Pragmatism**)، بيد أن هذه الصلة- التي لا تعني بحال من الأحوال تطابق المصطلحين- كانت سبباً في كثير من الخلط والاضطراب في استعمال المصطلحين، كما أدت إلى كثير من الاضطراب في تحديد المفاهيم الاصطلاحية، وكذلك فيما أحاط بالمصطلحين من مشكلات تتعلق بالترجمة والتعريب، وعلى الرغم من أن "يوسف أبو العدوس" حاول تحرير المصطلح في دراسته: «البراجماتية مصطلحاً نقديا"، فإنه بعد أن استقر على استعمال مصطلح "التداولية" مقابلا للمصطلح (**Pragmatics**) عاد إلى الكلمة المعربة مستخدما كلمة "البراجماتية" التي جاءت في عنوان دراسته، وحاول تمييزها عن تعريب البراجماتية (**Pragmatism**) بوصفها بالبراجماتية اللغوية أو (اللسانية)، في مقابل البراجماتية بالمفهوم المطلق، ومن ثم لم تحل مشكلة الخلط والاضطراب، وبقي لنا أن نحدد أننا نستخدم هنا مصطلح التداولية مقابلاً للمصطلح الأجنبي (**Pragmatics**)، كما نستخدم مصطلح الذرائعية مقابلاً للمصطلح الأجنبي (**Pragmatism**)»[1]، لذلك تبدو العلاقة بين الفلسفة واللغة علاقة المضمون بالصورة، فالفلسفة تسأل في اللغة حتى تكتمل صور الواصل في أوضح معانيه وأصدقها من خلال شراكة العلاقات التفاعلية في السياق التداولي بين الأفراد، مما يؤكد العلاقة الوظيفية المتكاملة بين اللغة والفلسفة وإلا ما كان مبحث قائم بذاته فلسفة اللغة: «ولعل أهم نقطة التقاء بين المذهب الفلسفي والتداولية يتحدد في الواقع العملي الذي يجمع بينهما، فإذا كان المذهب الفلسفي ينطلق من أن الفكرة

(**1**) عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، المرجع السابق، ص38.

ليست في الصور والأشكال التي تثيرها في الذهن، وليست في انطباقها على حقـائق الموجودات، وإنما في الأعمال التي تؤدي إليها هذه الفكرة، فإن التداولية تجـنح إلى تجاوز تفسير اللغة في ذاتهـا إلى تفـسيرها حـال اسـتعمالها في الواقـع العمـلي، بمـا يحمله ذلك من رد فعل على المذاهب التي اعتمـدت عـلى كـثرة التنظـيرات التـي تفرض معايير تفسيرية أو تقويمية كلية على الظواهر اللغوية شـأن البنيويـة مـثلاً، ولكن إذا كانت التداولية قد قيدت خلال تطورها بالممارسة الفلسفية للبراجماتيـة (**Pragmatism**)، فإنها أخـذت في صـيانة اسـتقلالها بوصـفها حقـلا لغويـا بـديلا بمحافظتها على حيز وجودها العملي في معالجة الاهـتمام بـالمعنى اليـومي، الـذي يهتم بالممارسة العملية للغة المتعلقة بالمقاصد التي تحققهـا الظـواهر اللغويـة في التواصل»[1]، لذلك حملت الفلسفة العملية مسائل اللغة محمل الممارسة والإجراء كفاعلية بنائية عميقة الدلالات لا تتوقف عند التسطيح البيـاني النحـوي والبلاغـي بل إلى أثر المعاني المتحققة واقعيا: «وفي الطرح اللساني، ركـزت الذرائعيـة عـلى مـا أهملته اللسانيات، فإذا ركزت اللـسانيات عـلى علـم التركيـب وعلـم لمعـاني، فـإن الذرائعية (وهذا أساس سمتها العملية وأساس ارتباطها بالتبادل والـشفعة) ركـزت عـلى الجانـب الاتـصالي، أي علاقـة الإشـارة بمـن يـستخدمها، هـذا الجانـب ظـل مستبعدا دائما من قبل اللسانيين الذين ركزوا أبدا عـلى جوانـب لقواعـد الـشكلية وميزوهـا عـن الاسـتخدام اليـومي العـادي (لأن هـذا الجانـب قـد لا يخـضع إلى لمنهجية الـصارمة وبالتـالي لا يؤسـس موضـوعا للـدرس اللـساني) حتـى نعـوم

(**1**) عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، المرجع نفسه، ص39.

تشومسكي اتبع هذا النهج، إذ سعى إلى استخلاص موضوع ألسني وعزله عن الاستخدام العام اليومي، ليكون قابلا للدرس العلمي، لكن ردود الفعل توالت حديثا ضد مثل هذا الاستبعاد، إذ يرى أصحاب الذرائعية الجديدة (أو التبادلية) أن اللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها وتنحصر في علمي النحو والمعاني، بل إن الاتصال يلعب دور فاعلا إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة»[1].

ويذكر الفيلسوف اللغوي الانجليزي "جيوفري ليتش" (**Geoffrey Leech**): «أنه في أواخر سنة 1960 بدأ كاتز (**Katz**) ومعاونوه في اكتشاف كيفية دمج المعنى في النظرية اللغوية الشكلية، ولم يكن ذلك قبل احتلال التداولية واجهة الصورة بوقت طويل، كما يشير إلى أن لاكوف (**Lakoff**) قد ناقش (1971) عدم منطقية فصل دراسة التراكيب النحوية عن دراسة استعمال اللغة، ومن ثم فقد أصبحت التداولية- منذ ذلك الحين فصاعدا- على خريطة اللسانيات، وتلك تعد الحلقة الأولى في قصة التداولية، وتجدر الإشارة إلى أن المهتمين بهذا الأمر كانوا كلهم من الأمريكيين، ومن ثم فإن ما سبق يمثل النظرة الضيقة للسانيات المتمثلة في البيانات الطبيعية للكلام، ثم جاءت النظرة الواسعة للسانيات جامعة بين الشكل والمعنى والسياق»[2].

بهذا المعنى الجديد للتداولية تم الفصل في طبيعة التداولية أو الوظيفية أو الاستعمالية حسب ما ورد في كتاب (النظرية البراغماتية اللسانية): «أن البراجماتية اللسانية منهج غربي حديث في البحث اللغوي تأثر بالفلسفة الواقعية المادية في

(**1**) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص169.
(**2**) عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، المرجع السابق، ص ص36-37.

بحث أعيان الأشياء وما يتعلق بها، وهدفها القصد اللغوي، وقد تأثر البحث الغربي بالتيارات الفلسفية وبطبيعة اللغات الغربية وعرفها في التعبير وارتباطها بثقافتها الغربية الحديثة التي تختلف عن الثقافة العربية»[1].

تداخل المناهج الفلسفية مع الموضوعات اللغوية جعل فعل التأثير والأثر جلي في مختلف مدارس اللغويات الأدبية والفلسفية: «قد تأثرت الدراسات الأسلوبية بهذه التيارات، وظهرت في داخلها مذاهب في معالجة الأسلوب، فاتجه بعضها نحو أسلوب النص دون سياقه الخارجي وغالت في هذا، وظهرت دعوى "موت المؤلف"؛ لتقطع الصلة بين النص وقائله، وجعلت فَهْم المتلقي مرجع القصد، وهي الفكرة التي سيطرت على البراجماتيين الأوائل الذين توجهوا نحو استعمال اللسان في سياق خطابي وفهم المتلقي دون قصد من وظّف الخطاب في التعبير عن قصده، ولم يعتدوا في الجانب التأثيري بغير ما يلاحظ على سلوك المتلقي من رد فعله ودرجة استجابته، والوجوه التي يحمل عليها استعمال الخطاب في السياق وما يتعلق به وما يترتب عليه من أفعال، واعتدوا في الأفعال بالفعل الإنجازي في الواقع، فالأحداث أفعال كلامية وإنجازات واقعية، وهم في هذا متأثرون بالفلسفة البراجماتية التي حملت البراجماتية اللسانية (**Linguistic Pragmatics**) اسمها (**Pragmatism**) لغلبتها عليها، المصطلح الأخير خصّيصي الفلسفة العملية النفعية أو الفوائدية، وجعلوا (**Pragmatics**) خص البراجماتية اللسانية- أو التداولية اللسانية التي اشتهرت باسم "التداولية"، واللفظان الأجنبيان من أصل واحد- ولم تجد البراجماتية الغربية بديلاً له، يعبر عنها؛ سمت

(**1**) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص03.

به»[1]، غير أن هذا الارتياب والتذبذب في فعالية المصطلح ومتغيراته داخل الحقل الدلالي ومؤشراته النسقية ضمن السياق رغم تعدد المناهج داخل المضمار التداولي ومشكلاته في السعي لضبط نظام اللغة والمسالك بالمعنى أدى إلى تشكيك النقاد والمحللين في علمية التداولية، فهي أقل من العلمية وأقرب إلى المقاربة اللغوية.

2- التداولية مقاربة لغوية:

يتضمن الجواب الجامع حول ماهية التداولية طبيعتها المعرفية بين الفلسفة والعلمية في كتاب (**التداولية عند العلماء العرب**) ل "مسعود صحراوي" ويكمن رصده في الآتي:

- «دراسة استعمال "اللغة" عوضاً عن "دراسة اللغة"، فاللسانيات كما هو معلوم تَتفرّعُ للدراسة الثانية أي لدراسة المستويات الصوتية والتركيبية وربما الدلالية، فقد تحوّلت مع البنيويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة، يؤمن بكيانيّة البنية اللغوية في مستواها الصوري المجرد، في حين أن دراسة استعمال اللغة لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق، وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.
- دراسة الآليات المعرفية (المركزية) التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها، فالتداولية تقيم روابط وشيجة بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي.

---

(1) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص5.

- دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي، فتقيم، من ثم روابط وشيجة بين علمَيْ اللغة والتواصل»[1]؛ بمعنى أن الجواب أكد على البعد الوظيفي للتداولية كفعلية عملية تواصلية؛ تعنى بالمعنى من وراء القصد وعلى المستوى الفعلي بمعزل عن التصورات الخالية من حمولة المعاني والتي تراعي الكم اللفظي لا الكيف اللغوي ودلالاتها المعرفية والسيكولوجية الإدراكية بمختلف مستوياتها خاصة التعليمية والتربوية، حيث ثبت تاريخيا أن: «تبنت البراجماتية منذ نشأتها بحث علاقة العلامات بمؤوليها في سياق الاتصال ومن ثم اتجهت نحو سياق اللغة الاستعمالي دون دراسة بنية اللغة ونظامها القواعدي وأساليبها، وهو ما يعرف في العرف الغربي بدراسة علاقة الدال بالمدلول وعلاقة الدلالة بقواعد النحو وعلاقة العلامات بالتركيب النحوي، ولم تدرس علاقة المتكلم باللغة وبالمتلقي خلاف ما يتوهم بعض التداوليين العرب، واكتفت بدراسة استعمال اللغة في السياق، واعتدت بمظاهر التأويل التي يستوعبها السياق الاستعمالي دون السياق اللفظي، فالجملة تحتمل معاني سياقية خارجية، ومن ثم تستعين البراجماتية بمعطيات العلوم الإنسانية التي تساعد في التفسير، وقد استوعب البحث العربي المتقدم كل هذه الجوانب دون إقصاء شيء منها، بل اعتمد البنية اللغوية وكل العناصر التي ساهمت فيها من داخل اللغة وخارجها، وسبق المسلمون غيرهم في دراسة السياق والقصد، ولم يفصلوا دلالة السياق اللغوي عن السياق

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المرجع السابق، ص28.

الخارجي، فالأخير بعيّن قصد الأول»[1]، ومنه نتساءل عن مبررات عدم ارتقاء التداولية لتحقيق العلمية ؟.

يرى أنصار هذا الاتجاه أن التداولية لا ترتفع إلى درجة العلمية، ذلك لأن التداولية في منظورهم: «مجرد منظور أو مجموعة مقاربات ولا يمكن مقارنتها بوضع النموذج، الذي كان للاتجاهين البحثيين السابقين، كان السبب الذي يؤخذ كذريعة لدعم هذا التمييز المصطلحي، من بين أسباب أخرى، هو أن التداولية كانت في حال البحث عن موضوع، وبالأخص عن موضوع ثابت ومتجانس ومحدد بوضوح مشابه لموضوع النحو مثلا، أو أن مظهر الوحدة يخفي غياب الانسجام... في الشكل الذي يُستعمل به مفهوم التداولية، وفي البرامج البحثية المنجزة انطلاقا من هذا المنظور المنهجي، وكان تشومسكي (1979) يشير في نقده للدراسات التداولية الأولى إلى أن الأفكار التي كانت تستخدم كانت أولية بالأساس، ومبهمة، وتفتقر إلى الطابع التفسيري»[2]، رغم أن تاريخ تطور النظريات اللسانية لا يتميز بالقطيعة المطلقة، إلا أننا نستطيع القول أن التداولية تجاوزت النظريات التقليدية إلى ما بعد اللسانيات نتيجة حضور عدة علوم فيها، ومن جهة أخرى إذا سلمنا بمصداقية هذا الحكم في حق التداولية أنها قاصرة على الإلمام بالتحليل والتفسير- بناءا على ما ورد في المقولة السابقة- كيف نفسر حضورها الواسع في أكثر من مجال معرفي دقيق وأخر نسبي موضوعيا؟ إن ربط

(1) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص22.

(2) فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، المرجع السابق، ص35.

التداولية باللغة العادية ومقاصدها جعل لها قيمة علمية تداخلت فيها عدة فروع معرفية، فكيف نقرأ علاقة التداولية المتعددة ابستمولوجيا؟

ثانيا: حضور التداولية بين التنوع والتعدد المعرفي:

تقصي المسار التطوري للتداولية كآخر المدارس اللسانية والتي تتبوأ منذ خمسينيات القرن الماضي مكانة علمية وعملية في المجال المعرفي النظري والوظيفي، يعكس لنا طبيعة العلاقة بينها وبين الحقول المجاورة والمتعددة في إطار وظيفي تواصلي وعائي أساسه الخطاب وسياقاته التفاعلية، إذا تعد التداولية ذات طبيعة لغوية ومنهجية فلسفية مركبة الفروع ومتعدية العلاقات إلى غيرها من الحقول العلمية والمعرفية بشتى تخصصاتها، خاصة أن التصور التداولي يعبر عن طبيعتها الأولى التي أوجدتها كمصطلح له ما يخصه وميزات تفصله عن غيره وتميزه عن الدراسات الشكلية والتركيبة، فما هي أهم المجالات التي أثرت وتأثرت بها التداولية؟.

1- التداولية وعلاقتها بالمعارف والعلوم الأخرى:

إن ما يعكس الثراء التداولي وسياقاته التطبيقية بمختلف أنواع التداوليات ومواد بحثها هو ذيوع التداولية وفاعليتها داخل ميادين مختلفة من المعرفة والعلوم: «ولما كان مجال البحث في التداولية شديد الاتساع فقد أخذت تظهر لها فروع، يتميز كل منها عن الآخر، فهناك التداولية الاجتماعية (**Sosiopragmatics**) التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي، وهناك التداولية اللغوية (**Linguistic Pragmatics**) التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية (**Structural**) وهي بذلك تنطلق من اتجاه مقابل

للتداولية الاجتماعية، فإذا كانت هذه تنطلق من السياق الاجتماعي إلى التركيب اللغوي فإن تلك تنطلق من التركيب اللغوي إلى السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه. وهناك أيضاً التداولية التطبيقية (**Applied Pragmatics**) وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة وبخاصة حين يكون للاتصال في موقف بعينه نتائج خطيرة كالاستشارة الطبية وجلسات المحاكمة، ثم التداولية العامة (**General Pragmatics**)، وهي التي تعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصاليا»[1].

كذلك هي لا تنضوي تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة بالرغم من أنها تتداخل معها في بعض جوانب الدرس، ومن هذه العلوم:

أ. **علم الدلالة (Semantics)**: وهو يشارك التداولية في دراسة المعنى على خلاف في العناية ببعض مستوياته. ونتيجة لتنامي الاهتمام بالتفاعل بين المعنى والاستعمال ظهرت اتجاهات حديثة تحاول أن تؤلف بينهما.

ب. **علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics)**: وهو يشارك التداولية في تبين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، والموضرع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها.

ج. **علم اللغة النفسي (Psycholinguistics)**: ؛هو يشترك مع التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم مثل الانتباه والذاكرة، والشخصية.

(**1**) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص ص14-15.

د. **تحليل الخطاب (Discourse Analysis)**: وهو يشترك مع التداولية في الاهتمام أساسًا بتحليل الحوار، ويقتسمان عددًا من المفهومات الفلسفية واللغوية كالطريقة التي توزع بها المعلومات في جمل أو نصوص، والعناصر الإشارية (**Deictics**) والمبادئ الحوارية (**Conversational Maxims**).

وكان من نتيجة هذا التداخل، واتساع بحالات التداولية وتنوعها أن أصبح من العسير وضع تعريف لها جامع مانع»[1]؛ إن الحضور التداولي الواسع في شتى تخصصات العلوم والمعارف ما هو إلا دليلا على علمية التداولية وخصوصيا تها الموضوعية، فيكف نظر لها النقاد والدارسين رغم كونها مصطلح مضطرب وخلافي؟

2- منزلة التداولية بين الانغلاق اللغوي والانفتاح المعرفي:

رغم تشعب التداولية بين تخصصات متعددة وسياقات متداخلة إلا أن الدراسيين لها في كفة أكثريتهم يقفون منها موقف الناقد، والتشكيك في علميتها بدأ من التساؤل في ماهيتها هل تتوقف حقيقة التداولية على موقف فلسفي يجعل من الفعل اللغوي براكسيس للتواصل وبناء المعاني في صيغة نظام موضوعي ينظم آليات الخطاب ويحلل بنيته بين شركائها داخل حدود السياق وأبعاده أم أنها مجرد جهود لغوية في اللسانيات النظرية تحاول إيجاد موقعا لها ضمن العلوم العملية المستحدثة والمعاصرة؟

يذهب الكثير من المختصين بالشأن التداولي إلى الاعتراف، بأن تراجع مد النظريات التوليدية أو ما يعرف بالنحو التوليدي والتحويلي الذي انتهجه

(1) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص ص10-11.

"تشومسكي" من أجل توليد عبارات ومعـاني لغويـة عقلانيـة تكـون بمثابـة القواعـد التـي تكفل تفسير الفعاليات اللغوية موضوعيا، هذا ما جعل التداولية تتجه نحو واقعية الفعل اللغوي بعد دخول التوليدية في متاهة لا تخـدم التواصـل اللغـوي التطبيقـي بـل النظـري المجرد، لأن الفعل اللغوي يحتاج لممارسة تحليلية فعليـة، ولـيس حزمـة مفـاهيم تركيبيـة تأسس لنظام قواعد بمعزل عن المعاني الوظيفية الممارسة داخل العلاقات الواقعية لـشركاء العملية الكلامية أو الخطابية أو دوائر فعل الكلام.

في هذا المجال يرى "محمود عكاشة" في كتابه (النظرية اللسانية البراجماتية) أن هناك من حاول تبيئة مـصطلح التداوليـة في مجـالات المعرفيـة العربيـة قـائلا: «اسـتخدم بعـض المحـدثين مـصطلح "المقاصـد"، وأشـهرهم الـدكتور طـه عبـد الـرحمن الـذي تنـاول "علـم المقاصد" عند علماء الشريعة. وهو استخدام موفق في هذا الموضع وغير موفق في الحديث عــن البراجماتيــة. واســتخدم مــصطلح "التداوليــة" في ترجمــة (**Pragmatics**) في بعــض مؤلفاته، وقد شاع "التداولية" في الكتب والبحوث والأحاديث، ولا سبيل إلى اسـتبدال لفـظ يحمل مفهومه الدقيق به بعد شيوعه، وهو من جهـة البنـاء مـصدر صـناعي مـن المـصدر العام "تداول"، والعمل به في حضرة المصدر العام مردود عند كثير من العلماء، والعمـل بـه لضرورة الاشتقاق من الأسماء الجامدة والاصطلاح في موضع اللبس وللتفريق بين مفهومين، ويدل معناه في العربية على التفاعل والتناوب ويجـوز اعـتماده في سـياق التـداول اللغـوي كالحوار والمناقشة والمحاورة والمداولة بيد أنه يعني وجوه الفائدة أو المعاني المـستعملة في سياق معـين، ولا أدري لمـاذا يـسرف بعـض المغاربـة في اسـتعمال المـصادر الـصناعية تـأثراً بالزيادة في آخر الكلمة الفرنسية مثـل: التداوليـة والمقاصـدية والذرائعيـة، والمـصدر العـام

"التداول" يغني عنه، وليس في استخدامه غموض أو لبس؟!، وأرى أن المصطلح الدقيق للتعبير عن مفهوم المصطلح الغربي "البراجماتية اللسانية"؛ ولفظ التداولية غير دقيق هنا لأن هذه النظرية تحمل مفهوماً غربياً، فرأيت أن استخدم اللفظ الأصل الذي يحتفظ بدلالته الخاصة في الوعي الغربي، والعمل باللفظ الدخيل عرف قديم للتعبير عن المفاهيم الدخيلة، وهذا شائع في النظريات الدخيلة»[1].

هذا ما جعل موضوعات التداولية تثير تعقيدا لتداخلها مع غيرها من الحقول المعرفية المجاورة والمشتركة، وهذا ما يجعل من طبيعة التداولية محل نقد وتساؤل، فما هي أسباب تعقيد المصطلح التداولي في جوانب النظرية والعملية؟

بعد ما وصفت التداولية بسلة المهملات، يشير ليتش (**Leech**) إلى أن: «موضوع التداولية الذي أصبح مألوفاً إلى درجة كبيرة في اللسانيات (1983)، كان يذكر من قبل نادرا عند اللغويين، وفق رؤية جنحت التداولية فيها إلى أن تعالج بوصفها سلة مهملات يودع فيها ركام البيانات المستعصية على التصنيف العلمي بشكل مناسب، وهناك ننسى أيضاً بشكل مناسب، أما الآن فثم من يناقش، مثلما أفعل، أنه لا يمكن أن نفهم طبيعة اللغة نفسها فهماً حقيقياً ما لم نفهم التداولية: كيف تستعمل اللغة في الاتصال؟»[2].

بفعل التطور الحاصل في حقل اللغة المعاصرة انتقل مصطلح براغماتية إلى العالم العربي في بداية القرن العشرين وقرنه المفكر الفلسفي واللغوي المغربي "طه عبد الرحمان" بما يقابله التداولية، من التداول والاستعمال والأداء والإجراء

(**1**) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص ص17-18.
(**2**) عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، المرجع السابق، ص37.

اللغوي لذلك فإن: «أول من وضع مصطلح التداولية من العرب في مقابل مصطلح البراجماتية فهو الفيلسوف اللغوي طه عبد الرحمن سنة (1970) وأوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو دراسة اللغة في الاستعمال أو في النصوص (**In Interaction**) لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب في سياق محدد، مادي، واجتماعي، ولغوي، وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما»[1]، وفي الجبهة الموازية تعترف التداولية العربية بأنها: «امتداد البراجماتية اللسانية، ولم أعدل عن هذه التسمية الأصلية (**Pragmatics**) إلى ترجمتها؛ لأنها أدق في التعبير عن دلالتها في بيئتها بيد أن بعض الباحثين العرب اختاروا ترجمة "التداولية"، والتداول يعني التفاعل بين طرفي الحوار، والبراجماتية تعتد بعملية التلقي لا بنية الخطاب وتزويره (إعداده في النفس) وقائله وقصده، فالمتلقي مرجع معرفة القصد وليس القائل، والتداول لا يحمل هذا المفهوم، وآخرون استعاروا لها تسميات تراثية ذات أبعاد إسلامية مثل "علم المقاصد" أو "المقاصدية" و"علم الذرائع" أو "الذرائعية»[2]،

في حين يقر "هشام إبراهيم عبد الله الخليفة" في كتابه- **نظرية الفعل الكلامي**- أصالة التداولية في التراث العربي والإسلامي ومحاولتهم ربط الفعل الكلامي بسياقاته الاستعمالية خاصة في دراستهم للنصوص المقدسة: «وكان علماء

(**1**) أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، المرجع السابق، ص10.

(**2**) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، المرجع السابق، ص5.

الأصول وعلماء الكلام من المعتزلة وغيرهم مدركين تمامًا لأنواع أو عناصر الفعل الكلامي الثلاثة التي جاء بها (أوستن) أي (فعل القول) و(الفعل الكلامي) و(التأثير الكلامي) (...) والاختلاف بين اكتشافاتهم واكتشافات اللّغويّين المعاصرين يكاد ينحصر في المصطلح المستخدم والتفاصيل الفرعية كتركيز اللغويين المعاصرين على استخدام أمثلة من الحياة اليومية بصورة أكبر، بينما كانت غالبية الأمثلة التوضيحية التي جاء بها الأصوليّون وعلماء الكلام والبلاغيّون العرب هي من النص المكتوب وبالأخص القرآن الكريم والحديث الشريف»[1]، بمعنى التداولية مقرونة بالمقاصد الكلامية، هذا ما زاد التداولية أهمية وثراء خاصة مع اقترانها بالفلسفة العملية و: «انفتاحها على روافد معرفية مختلفة فلسفية ولسانية وانثربولوجية ونفسية... إلخ؛ ساهمت في أغناء هذا الحقل بجملة من المفاهيم والفرضيات فتحولت التداولية بذلك إلى ملتقى من العلوم والاختصاصات»[2]، وهذه المكاسب ساعدتها على استتباب مكانتها بين المعارف والعلوم، كالدين واللغة وعلم النفس والانثربولوجيا... الخ.

يسهب "هشام عبد الله خليفة" محاولا الدفاع على أصالة وجهود الأثر التداولي العربي قائلا: «أما من ناحية المصطلح فلا يقلّل من قيمة اكتشافاتهم أنهم سموا أفعال الكلام والإنجازيات بتسميات أخرى مثل (الإنشاء) بنوعيه الطلبي وغير الطلبي (أي الإيقاعي) ولا يهم أيضا أنهم استعملوا مصطلح (إرادة إحداث الصيغة) للدلالة على (فعل القول) أو مصطلح (إرادة الدلالة بالصيغة على الفعل)

---

(1) هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص226.
(2) جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، المرجع السابق، ص ص22-23.

للدلالة على (الفعـل الكلامـي) ومـصطلح (إرادة الفعـل أو الأثـر المطلـوب) للدلالـة عـلى (التأثير الكلامي) أو نتـائج الكـلام»[1]، رغـم أن "هـشام عبـد اللـه خليفـة" يقـر بوجـود تداولية عربية، لكنه ينتهي لتشبيه التداولية"سـندريلا"(**Cinderella**)[*] تـشبيه التداوليـة بشخصية سندريلا التي تتداولها كتب الأدب وأفلام الرسوم المتحركـة والأفـلام الروائيـة، إذ يقول: «فعلم الفعليّات هو في رأيي (سندريلا) العلوم اللغويّة، فعـلى الـرغم مـن أهميتـه القصوى وروعته نجد الأوساط اللغويّة العربيّة مهملة لـه تمامًـا، بحيـث اقتـصر اهتمامهـا عـلى العلـوم التقليديـة كالـصرف والنحـو والـصوت، وهـي علـوم لا تنطلـق مـن المعنـى والتواصل بل تنطلق من الصواب والخطأ في تلـك الكلـمات واشـتقاقها وتركيبهـا في جمـل صحيحة بغضّ النظر عن المعنى والسياق»[2]، أتساءل هنا ما مدى وظيفية هذا التشبيه أو المجاز اللغوي بين تجربة فردية وفرع معرفي عملي يسعى أن يكون علما!!

شخصية "سندريلا" العالمية ذات البيئـة الغربيـة والحلـم الوجـداني في الظفـر بأميرها والعيش بسلام رغم المبالغـات التـي طبعـت قـصة"سـندريلا"إلا أن الكثـير يعتبرها أسطورة لماورد فيها من خيال، وخـوارق تتجـاوز مقـدرة العقـل الإنـساني، لعل التداولية في موقع جدل من قبل الكثير من النقاد والفروع المعرفيـة المنافـسة لهـا، لكنهـا لا تحمـل قيمـة الـصراع بـين الخـير والـشر، كـما هـو صراع "سـندريلا" ومحيطها، بل تنطوي على جدل حول الفصل في طبيعتها وقيمتها أو ماهيتها، كـما

(**1**) هشام إبراهيم عبد اللـه الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص226.

(*) ساندريلا: اسم علم مؤنث فرنسي (**Cinderella**)، معناه بقيَّة الأشياء رماد الجثة المحترقة. واللفـظ ذو أصل لاتيني. أصل اسم ساندريلاّ: فرنسي، أنظر: **https://www.almaany.com**

(**2**) هشام إبراهيم عبد اللـه الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، المرجع السابق، ص16. (المقدمة)

أنها ذات مدلول مؤنث وحديثة الميلاد، فهي قد تشبه "سندريلا" في شبابها باعتبارها أخر عنقود المدارس اللسانية، والجدل بين من يقول أنها مقاربة لغوية ذاتية وبين من يحاول جرها إلى حقول علمية موضوعية؛ وبين ذا وذاك، يبدو أنه من الصعب أن يحقق هذا المجاز علاقة وظيفية خاصة أن "سندريلا" تقرر مستقبلها بزواج الأمير، فهل حتما سيتقرر مستقبل التداولية بأن تصبح علما أو براديغم عملي وموضوعي، أعتقد أن التشبيه غير موفق وغير مستحق خاصة إذا نظرنا من زاوية الشراكة في الأصول للتداولية فهي لا تتوقف على المناخ الغربي فحتى العرب لهم تداوليات أو مقاصد لغوية من أفعال الكلام وسياقاته، فلماذا هذا التحيز في الاسم "سندريلا" ولماذا "سندريلا" دون غيرها من المسميات والأسماء، ومنذ متى نربط التجربة الإنسانية الفردية أو الأسطورة بالهدف العلمي، "سندريلا" تجربة خاصة تعكس سرديات المخيال الشعبي لأدبيات أوروبا لا تصدق في كل زمان ومكان رغم إثبات قيمها الأخلاقية وتماشيها مع كل عصر وجغرافية، لكن التداولية كقواعد ونظام تحكم علاقاتنا الخطابية بتعدد سياقاتها العملية ومقاصدها و ظروفها الزمكانية .

نلاحظ أن التداولية تضمن مخاض مخضرم الأطراف بين الفلسفة والأدب والعلم دون أن ننكر طبيعتها اللغوية، لكن على ما يبدو أن الهدف الأساسي للتداولية حسب "ستراوسون" في مقالته (المعنى والصدق) أن هناك معركة حامية الوطيس بين فريقين من الفلاسفة: الفريق الأول ناصر فكرة فريجه، والفريق الثاني يؤيد فكرة جرايس، يقول ستراوسون: إن المعركة على ما يبدو أن القضية الأساسية في الفلسفة لها شيء من الطبيعة الهوميرية، والمعركة الهوميرية تقتضي

الآلهة والأبطال، وأستطيع أن أنكر بصورة مؤقتة على الأقل بعض القـادة الأحيـاء والأرواح الكريمـة (يقـصد الأمـوات) في الجهـة الأولى، هنـاك عـلى سـبيل المثـال جـرايس، وأوسـتن، وفتجنـشتين المتـأخر (**Later Wittgenstein**)؛ وفي الجهـة الثانيـة هنـاك تشومـسكي (**Chomsky**)، وفريجه، وفتجنشتين المبكر (**Earlier Wittgenstein**) ويسمى سراوسون فلاسفة الجهة الأولى (أصحاب نظرية قصد الاتصال) ويضع ستراوسـون نفـسه في زمـرتهم؟ ويسمى الفلاسفة في الجهـة الثانيـة (أصحاب علـم الدلالـة الـصوري)؟ ويمكـن أن نتبنـى مصطلحاً أكـثر شـمولاً فنقـول: إن فلاسـفة الجهـة الأولى يقـدمون نظريـات الاسـتعمال في المعنى (**Use theories of meaning**) ومن بينهـا (النظريـة القـصدية) ويقـدم فلاسـفة الجهة الثانية النظريات الصورية في المعنى (**Formal theories of meaning**)، والـشيء الــذي لا شــك فيــه هــو أن توضــيح الأفكــار الأساســية في هــذه النظريــات ســوف يلقي بأضواء شارحة على أفكار جرايس، ويجعل فهمها أمراً ميسورا»[1]، الشيء الذي لاشك فيه إذا هو أن التداولية ابنة الفلسفة التحليلية المدللة.

(**1**) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص147.

الخاتمة

طوف هذا الكتاب **أربعة محاور** أساسية هي **كالآتي**:

أولا: التداولية سؤال المعنى والسياقات المعرفية.

ثانيا: سياقات التداولية العملية.

ثالثا: النظريات التداولية المعاصرة وأهم أعلامها.

رابعا: رهانات المشروع التداولي من المقاربة اللغوية إلى براديغم علمي.

هدفت هذه الدراسة المتواضعة إلى التعريف بالتداولية بصورة موجزة من خلال الوقوف على دلالاتها اللغوية و الاصطلاحية والتعرف على خلفياتها التأسيسية المركبة ومبادئها التي ميزتها بخصائص تفصلها عن سائر الفروع اللغوية واللسانية من خلال توضيح أهمية الفعل التداولي ضمن سياقاته الانطولوجية و المعرفية التي تمتاز بالحركة و التطور و التفاعل من خلال علاقة الفاعلين التواصلية وعلاقة التداولية بغيرها من العلوم و فعل التأثير والتأثر في السياق الاستعمالي للغة ؛ دون أن ننكر فضل الفلسفة التحليلية في ميلاد التداولية، لأن من بين امتدادات الفلسفة التحليلية نشأت عدة مدارس لغوية ولسانية تهتم بالمعاني ونظام الخطاب ودلالاته الوضعية منها التداولية، حيث يبدوا جليا لنا أن التفكير خارج تاريخ الأفكار هو ضرب من العبثية واللانظام، لذلك يجزم النقاد والباحثين في تاريخ الحضارات والعلوم أن تطور الفكر هو نتاج حصيلة من التراكمات والرواسب التي فيما بينها حلقات لولبية- نادرا ما تحدث بينها قفزة نوعية- التي

تخللها المراجعات والتمحيص والنقد، وتعد الفلسفة التحليلية إرهاص مباشر وأحد أهم العوامل التي كانت بمثابة بذرة التشكل لكثير من الاتجاهات اللغوية واللسانية والخطابات الفلسفية العلمية وفي مقدمتها الاتجاه التداولي، لقد حمل فلاسفة التحليل وما بعد التحليل- التحليل- محمل الاهتمام لإعادة النظر في التفكير الفلسفي ذاته والنظر في تاريخ العلوم والمعارف من أجل إخراج الفلسفة من حيز التفكير المجرد وإنزالها ميادين الممارسة الإجرائية والتجريبية، وربطها بمعطيات العلم التجريبي ولغته وصرامته، وهذا ما برهنت عليه التداولية التي تعد من ثمار الفلسفة التحليلية حيث استفادت هذه الأخيرة من فكرة- ألعاب اللغة– التي تكلم عنها "فيتجنشتاين" وعملت على كشف العلاقة بين الألفاظ والمعاني في السياقات اللغوية للتواصل الإنساني الذي يقوم على مبدأ الحس المشترك كما تسلم به الفلسفة التحليلية، رغم أن المسائل اللغوية ليست صريحة دائما في المقصد، لكن خبراء التداولية ركزوا على تحليل وتفكيك أطر الخطاب المركب بمختلف الوسائل الحسية والذهنية للوصول إلى نظام لغوي ينسجم مع الواقع والقضايا المعبر عنها؛ دون نكران لفضائل رواد الفلسفة التحليلية وانجازاتهم؛ إذا الفلسفة التحليلية تنتصر للغة والعلم والواقع، ثلاثية وظيفية متكاملة المهام، تلعب فيها الفلسفة دور القائد المنظم من خلال التفلسف المفتوح الذي يراعي مسيرة اليقين؛ ومدى ارتباطه بقضايا الإنسان وأفاقة الواقعية.

هذا ما حاولت الكثير من النظريات المعاصرة شرحه من خلال أعلامها وجهودهم الحثيثة في جعل التداولية أكثر موضوعية و علمية ووضعية، جعلها تقف أمام رهان وتحدي للظفر بموضوعية العلم ومصداقيته في سياقاتها اللغوية

والإجرائية، فهل سيتحقق هذا الرهان أم يظل أفقا على صفحات المشروع التداولي الغربي، في انتظار إثراء الموضوع أكثر في كتب أخرى مستقبلا.

قائمة المصادر والمراجع

قرآن كريم

أولا: المراجع باللغة العربية:

1- المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، مج17، ج2، دار المعرف، مصر، 1981.
2. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج2، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979.
3. جلال الدين سعد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (د.ط)، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.
4. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون- اللاهوتيون، المتصوفون)، ط3، دار الطلية، بيروت، 2006.
5. جوناثان ري، وج. أو. أرموسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون، مراجعة وإشراف زكي نجيب محمود، ط1، المركز القومي للترجمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013.
6. روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، مرجعة جلال صادق العظم، جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997.

7. روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له الرئيس شارل حلو، مراجعة جورج نخل، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
8. روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له الرئيس شارل حلو، مراجعة جورج نخل، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992.
9. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.
10. عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة في (العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية واللاتينية والعبرية واليونانية)، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.
11. يان هوانغ (**yan Huang**)، معجم أكسفورد للتداولية (**The Oxford Dictionary of Pragmatics**)، ترجمة وتقديم هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2020.

2- الكتب:

12. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ط1، مطبعة عكاظ، الرباط، 1989.
13. أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط1، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2015.
14. بشير البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ط1، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 2012.

15. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولي- من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط1، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
16. جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، مكتبة المثقف، المغرب، 2015.
17. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016.
18. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، 2009.
19. زكي نجيب محمود، برتراند رسل، (د.ط)، مؤسسة هنداوي، مصر، 1960.
20. صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993.
21. صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جريس، (د.ط)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2005.
22. صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2018.
23. طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993.
24. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
25. عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتين، (سلسلة نوابغ الفكر الغربي)، (د.ط)، دار المعارف، مصر، 1967.

26. علي مولا، قصة الفلسفة من البداية إلى يومنا، (د.ط)، منشورات مكتبة علي مولا الرقمية، 2023.
27. محمد عزمي نظمي إسلام، المنطق الصوري والرياضي: دراسة تحليلية لنظرية القياس وفلسفة اللغة، ط1، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2002.
28. محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985.
29. محمد مهران رشوان، فلسفة برتراند راسل، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1976.
30. محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2002.
31. محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية): دارسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2012.
32. مرتضى حبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني: قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونين (قضايا لسانية)، ط1، دار ضفاف، لبنان، 2015.
33. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2005.
34. نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، 2013.
35. هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي **Speech Act Theory:** بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي (بحث في علم

الفعليات **PRAGMATICS**)، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2007.

3- الكتب المترجمة:

36. آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998.

37. إيفارج تونيزن، هل التداولية علم إمبريقي ضمن كتاب تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب (دراسات وبحوث مختارة)، ترجمة وتنسيق حافظ إسماعيلي علوي، ذهبية حمو الحاج، منتصر أمين عبد الرحيم، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016.

38. برتراند راسل، بحث في المعنى والصدق، ترجمة إسماعيل حيدر، مراجعة المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2013.

39. برتراند راسل، فلسفة الذرية المنطقية، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998.

40. برتراند راسل، فلسفتي كيف تطورت، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، تقديم زكي نجيب محمود، ط1، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة، مصر، 1960.

41. بول كوبلي، ليتسا جانز، أقدم لك علم العلامات، ترجمة جمال الجزيري، مراجعة وإشراف وقديم إمام عبد الفتاح إمام، ط1، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2005.

42. بيار كونزمان وآخرون، أطلس– **Dtv** -الفلسفة، ترجمة جورج كتورة، ط8، المكتبة الشرقية، لبنان، 1991.

43. تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف أ إلى حرف ط، ج1، ترجمة نجيب الحصادي، تحرير الترجمة منصور محمد البابور، محمد حسن أبوبكر، مراجعة اللغة عبد القادر الطلحي، ط1، المكتب الوطني للبحث والتطوير، بنغازي، ليبيا، 2003.

44. تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، من حرف ظ إلى حرف ي، ج2، ترجمة نجيب الحصادي، تحرير الترجمة منصور محمد البابور، محمد حسن أبوبكر، مراجعة اللغة عبد القادر الطلحي، ط1، المكتب الوطني للبحث والتطوير، بنغازي، ليبيا، 2003.

45. تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1996.

46. جورج بول، التداولية **Pragmatics**، ترجمة قصي العتابي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2010.

47. جون ر. سورل، الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة غنيم، مراجعة محمد الشيباني، ط1، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2015.

48. جون ماهر، جودي جروفز، أقدم لك نعوم شومسكي، اللغة والسياسة، تحرير ريتشارد أبيجنانزي، ترجمة محي الدين مزيد، مراجعة وإشراف وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2003.

49. جيمس جوردن فينليسون، يورغن هابرماس- مقدمة قصيرة جدا، ترجمة أحمد محمد الروبي، مراجعة ضياء وراد، (د.ط)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2015.

50. فان داك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، 2000.

51. فرانثيسكيوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية: مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل، ترجمة يحي حمداي، ط1، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2014.
52. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، ط1، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986.
53. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2007.
54. لودفيغ فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبد الرزاق بنور، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007.
55. لودفيغ فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة زكي نجيب محمود، (د.ط)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1968.
56. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 2002.
57. هانس سلوجا، فتجنشتين، ترجمة وتقديم صلاح إسماعيل، ط1، المركز القومي للترجمة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2014.

4- المجلات:

58. عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول لنقد الأدبي، العدد66، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005.

ثانيا: الكتب الأجنبية:

1- John Canfield, Philosophy of Meaning, Knowledge and Value in the 20th Century, Taylor & Francis Group, 2016.

2- Marie McGinn, Wittgenstein and the Philosophical Investigations, ROUTedge Philosophy Guidre Books, Edited by Tim Crane and Jonathan Wolff University College London, 1997.

3- Umberto Eco, Semiotics and the Philosophy of Language, Indiana University Press, 1986.

4- Zoltán Szabó and Thomason Richmond, Philosophy of Language (Cambridge Textbooks in Linguistics), Cambridge University Press, Cambridge, 2018.

ثالثا: المواقع الالكترونية:

1- https://arab-ency.com.sy/img/0/logo.png.

2- https://tafsir.app/ibn-uthaymeen/3/140.

3- https://www.almaany.com.

4- https://www.college-de-france.fr/fr.

5- https://www.islamweb.net/ver3/ar.